

كليلة ودمنة

وَضَعَبُ

(بيضا) كبير علماء الهند
ونقله من الفهلوية الى العربية
عبد بن المقفع

وعني بضم غريره وتفسيره وبيان ما فيه طهرا الحيوان والطير
محمد بن ابي البرصقي

دار الفرجاني

القاهرة . طرابلس . لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

أُغْرِمْتُ بِكَلِيلَةٍ وَدِمْنَةٍ إِغْرَامًا ، وَفُتِنْتُ بِهِ افْتِنَانًا . وَوَدَدْتُ لَوْ أَنَّ
النَّاسَ جَمِيعًا مِثْلِي قَدْ أُغْرِمُوا بِهِ وَافْتَنُوا . فَإِنَّ هَذَا السَّفْرَ الْخَطِيرَ عَلَى مَا بَعْدَهُ
مِنْ بَعْدٍ فِي التَّارِيخِ ، وَمَا بِرَوَايَاتِهِ مِنْ خُلْفٍ فِي بَعْضِ الْفَاضِلِ ، لَا يَزَالُ
أَصْدُقُ صُورَةً مِنْ صُورِ الشَّرْقِ عَامَةً . سِوَايَ فِي ذَلِكَ مِرَاقِي حِكْمِهِ وَطَرَائِقُ
اِحْتِيَالِهِ ، وَسِوَايَ فِي ذَلِكَ مَا يَتَخَلَّلُهُ مِنْ تَنْدُرٍ وَتَمَثُّلٍ ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَحْفُظٍ
وَتَحَرُّزٍ . وَلَعَلَّهُ — بَعْدُ — فِي ثَوْبِهِ الْحَاضِرِ أَوَّلُ كِتَابٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ
اجْتَمَعَتْ لَهُ خَصَائِصُ وَمُمِيزَاتٌ يَرْضَى الْعَامَّةُ عَنْهَا وَالْخَاصَّةُ ، وَيُفِيدُهَا الْعَالَمُ
وَالْمُتَعَلِّمُ سِوَاءَ . وَلَعَلَّهُ — بَعْدُ — الْكِتَابُ الَّذِي تَقْرَأُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، بَلْ فِي
كُلِّ شَهْرٍ ، بَلْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَلَا تَزْدَادُ بِكَلِمَاتِهِ الْمَصْطَفَاةَ إِلَّا كَلْفًا ، وَبِأَسْلُوبِهِ
السَّهْلَ الْمُتَمَنِّعَ إِلَّا اسْتِمْتَاعًا ، لَمْ يَذُبْ مِنْهُ لَفْظٌ ، وَلَمْ يُهْلَلْ فِيهِ تَرْكِيبٌ ، فَلَمْ
تَخْلُقْ جِدَّتُهُ ، وَلَمْ تَرِثْ دِيْبَاجَتَهُ عَلَى مَرَكَلِ هَذِي الْقُرُونِ . بَلْ كَانَ مَوْضِعَ إِعْجَابٍ
نَابِغِي الْكِتَابِ وَنَابِغِي الْمُنَشِّئِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَفِي كُلِّ جِيلٍ . وَلَكِنْ الْأَسْلُوبُ
الَّذِي بِهِ يَقْدَمُ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى الطَّالِبِ فِي مِصْرٍ لَا يَكَادُ يَسْتَنْهَضُ مِنْهُ رَغْبَةً
وَلَا يَسْتَرْعِي فِيهِ نَظْرًا . إِذَا كَانَ لَا يَتَنَاوَلُهُ فِي مَدْرَسِنَا إِلَّا كِتَابُ (مُطَالَعَةٍ)
وَهِيَ عِنْدَنَا لَيْسَتْ إِلَّا وَسِيلَةً لِتَقْوِيمِ اللَّفْظِ ، وَإِلَّا مَزَلْنَا لَللِّسَانِ تُبْلَى بِهَا
مَوَاقِعُ الْإِعْرَابِ مِنَ الْكَلِمَاتِ . أَمَّا مَوَارِدُ حِكْمِهِ ، وَأَمَّا مَضَارِبُ أَمْثَالِهِ ،
وَأَمَّا مَا قُصِدَ إِلَيْهِ مِنْ شِجَارِ بَيْنِ بَهِيمَتَيْنِ ، أَوْ حِوَارِ بَيْنِ سَبْعَيْنِ ، فَقَدْ يَكُونُ
ذَلِكَ شَيْئًا آخَرَ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ

شهدت طالباً في رُققة من رُمْلائه يَسْتَهْدِي أستاذَه إلى . وُلِّفَ عربي
يكون له منه عَوْن على الكِتَاب والتحرير ، ويتَّخذ من أسلوبه المثل يترسَّمُه
ويحتذيه ، وما إن جاء كَلِيلَة ودمنة في عد الأستاذ للكتب والمؤلفين حتى
انفرجت شفتا الشاب عن ابتسامةٍ لم تَبِنْ معها ثَنَايه . ولكنها هاجتِ
الأستاذ واستنفرت حِدَّتَه وسَخَطَه ، إذ أحس فيها ما يَنِمُّ على أن الطالب كغيره
مُسْتَهْتَر غير قادر لهذا الكتاب ولا عليه حريص . وكان كلما تشدَّد الأستاذ
في تَسَخُّطه ألحَّ الطالب يقول « أعْرِف هذا الكتاب ونطالعه منذ سنوات »
شافعاً ما يقوله باليمين تَلُوَ اليمين ، جاهداً مغلظاً . حتى إذا فرغ مما كان بينهما
إذا الأمر يتكشف عن اثنين من هؤلاء ، لا يَعْرِفان في لفظ كَلِيلَة ودمنة إلا
أنهما اسمان للمكين متحاربين . وما كان أُعْجَبَ أن ترى هذا العارِف
بالكتاب أشدَّ هذين جهلاً به وبعُدًا عن ألفاظه ومعانيه

من أجل ذلك رَجَوْتُ أن أُحِبَّ فيه الذَّشَّ من الشباب ، فأخذت
في طبعتي هذه أتخيل أمثاله مثلاً مثلاً . ثم عَهِدْتُ بما تخيلت إلى
بعض الرِّسَّامِينَ ، فوضَعُوا من المعاني والصور ما يربو على مائة مَنَظَر ومَشْهُد ،
تُوشِك أن تتَّفَقَ وما أراد واضعه . وهي وإن لم تجيء بما يَبْتَغِيهِ الفن من
عَدِيد جهاته ، إلا أنها أشرفت على شيء مما ابتغيت . ثم حفظت لنفسى كل
حق وحظرت طبعه ونشره والاقتباس منه . وهذه الطبعة أيضاً مَدْرَسِيَّة قد
زُوِّدَتْ بما يُعِين الطالب من ضَبْط وتفسير في أصح رواية وأسلم عبارة . فعسى
أن يَسْتَطِيع الشباب من ثمرات هذا المؤلف الهَدْي في نوعه ، فيحقق الله لي

بذلك ما رَجَوْتُ

المُرسِفي

أول أكتوبر سنة ١٩٢٧

فهرس تاريخ كلية ودمنة

صفحة	صفحة
٢٩ الترجمة العبرانية	١٨ تمهيد
» اللاتينية	٢٠ الكتاب في السنسكريتية
» الشعرية	الترجمة التبتية
» الاسبانية	» الفهلوية
» الانجليزية	» السريانية
» الروسية الحديثة	» العربية
» الهندية الملقية	» السريانية
٣٢ جدول بالترجمات وما تفرع منها	» اليونانية
	» الفارسية الحديثة
	» التركية



فهرس حياة ابن المقفع

صفحة	صفحة
١١	١ حياة ابن المقفع
١٢	» مصدر نبوغه
١٣	٣ عصر ابن المقفع
السياسة والعقائد	٥ براعته في الكتابة
١٤	٦ الكتابة في عصر ابن المقفع
١٥	» الاساليب المستحدثة في
١٧	عصر ابن المقفع
العقائد	٧ أسلوب ابن المقفع
١٩	٨ زهده في السجع
٢١	» سهولة لفظه
»	» حرصه على الایجاز
٢٢	٩ اقلاله من المترادف
مقتله	١٠ الحاجة إلى الترجمة في عصره

فهرس أبواب كلية ودمنة

صفحة	صفحة
٢١٩ القرد والغيلم	٢٤ مقدمة الكتاب
٢٢٦ الناسك وابن عرس	٥٢ بعثة برزويه إلى بلاد الهند
٢٣٠ الجرذ والسنور	٦٥ عرض الكتاب ، ترجمة
٢٣٦ الملك والطائرقة	عبد الله بن المقفع
٢٤٣ الاسد وابن آوى	٧٩ برزويه ، ترجمة برزجمهر
٢٥٢ ايلاذ وبلاد ويراخت	ابن البختكان
٢٦٨ اللبوة والأسوار والشعهر	٩٤ الاسد والثور ، وهو أول
٢٧١ الناسك والضيف	الكتاب
٢٧٣ السائح والصائع	١٥٢ الفحص عن أمر دمنه
٢٧٩ ابن الملك وأصحابه	١٧٢ الحمامة المطوقة
٢٨٥ الحمامة والتعلب ومالك الحزين	١٩٢ البوم والغربان

فهرس الصور

صفحة	صفحة
	(مقدمة الكتاب)
	٢٦ ذو القرنين بين المنجمين
	يختارون له الوقت الصالح
	جيش فور الهندي — حيلة
	٢٧ الاسكندروهي الحيل النحاسية
	٢٨ ذو القرنين وفور الهندي
	يتصارعان على ظهري فرسيهما
	٣٢ الفيل وقد اجتمع عليه الطير
	ينقر عينه
	٣٣ الفيل وقد ارتطم في الهوة
	٤١ دبشليم مغضبا وقد أمر
	بسجن بيدبا
	٤٢ بيدبا في سجنه وقد صدر
	العفو عنه
	٤٤ بيدبا يطاف به في المدينة
	وقد استوزر بعد العفو عنه
	٥١ بيدبا يقرأ هذا الكتاب
٥٣ بين يدي دبشليم في جمع من	
رؤساء بلاده	
كسرى أنوشروان في خلوته	
يفكر في أمر هذا الكتاب	
وقد تمثلت له صورته وناسخه	
٥٨ برزويه يحادث خازن كتب	
الملك في بيته	
٥٩ برزويه مكب على نسخ هذا	
الكتاب	
٦٠ برزويه بين يدي كسرى يقرأ	
هذا الكتاب على أهل فارس	
٦١ كسرى يلبس برزويه التاج	
بين أعيان مملكته	
(باب عرض الكتاب)	
الطماع يأمر الجمالين بحمل ما في	
الكنز — الرجل ينضم	
على ماجناه عليه طمعه	

٦٨ الرجل الجاهل يعجب من

تخطئته بعد أن حفظ الصحيفة

الصفراء

٦٩ الرجل شاعر باللص وينتظر

نتيجة فعلته - الرجل مذعوراً

« بعد غفوته » لتمكن اللص

من غايته

٧٢ { الفقير يترصد باللص -

الفقير جذل مسرور بثوب اللص

٧٧ { الصائد فرح بالصدقة -

الصائد يندم على التهاون في شأنها

(باب برزويه)

٨٤ { اللصوص يتسمعون قول

السري وهم على سطح المنزل -

اللص وقد اعترف بانخداعه

٨٦ { ثاقب اللؤلؤ يضرب بالصنج -

صاحب اللؤلؤ وثاقبه يتنازعان

٩٢ { الرجل في البئر وقد شغلته

حلاوة العسل - الرجل ساقطاً

في فم التنين

(باب الأسد والثور)

٩٥ الرجل يعظ بنيه ويلومهم على

سوء تربيهم

الثور (شترية) وقد ارتطم

٩٧ { في الوحل - شترية وقد

انفض الرجل عنه

٩٨ الأسد (ملك هذه الناحية)

بين حاشيته

١٠٠ { القرد يرقب النجار -

القرد وقد لزم الشق على ذنبه

١٠٥ دخول دمنة على الأسد

١٠٨ الاسد وقد هيجه شترية بخواره

الثعلب يفكر في ضخامة

١٠٩ { صوت الطبل - الثعلب

وقد عاج الطبل حتى شقه

١١٢ { دمنة يجي بشترية لدى الاسد

- الاسد وشترية متصافيين

١١٥ { الغراب والأسود -

الأسود يزدرد فراخ الغراب

١١٦ { العلجوم والسرطان - السمك

والسرطان يستشير العلجوم

صفحة	صفحة
١٤٢ وكيل البحر يفر من العنقاء	العلجوم يأكل السمك —
وجماعة الطير	السرطان وقد ضغط بكليته
شترية يدخل على الأسد	عنق العلجوم فمات
١٤٣ فيتوسم فيه الشر —	الغراب يختطف العقدة —
قتال الأسد والثور	الناس تأخذ العقدة وتقتل
المكارو المغفل يدفنان المال —	الاسود
١٤٧ المكار يبرأ والمغفل يلطم وجهه	الأسد يخدع بظله وظل
أبو المكار يستخرج من الشجرة	الارنب في الحب —
١٤٨ — المكار يطاف به مشهوراً	الأسد يفرق والارنب تعود
والقاضي يصفع أباه	دخول دمنة على شترية كثيراً
١٥١ الأسد متعب وهو ينظر	١٢٨ — إثناس شترية بدمنة
الى الثور	مقاتلة الأسد للفيل —
(باب الفحص عن أمر دمنة)	١٣٤ الفيل يفلت مثخناً بالجراح
١٥٣ كيلة يؤنب دمنة على النيمة	يأتمرون بالجل ليعرض نفسه —
وقد سمعها النمر	١٣٧ وثبتهم على الجل وتمزيقه
١٥٩ دمنة يعترف والفهد يسمع	الطيטوى يتحدث الى زوجه
١٦٠ دمنة بين يدي القضاء	١٣٩ — وكيل البحر يتناول فراخ
الملك يشاور الطبيب الاعمى	الطيטوى
١٦٢ — الجاهل يزعم علمه بالطب	البطتان والسلحفاة —
١٦٣ الجاهل يجمع الدواء في بيت	١٤٠ سقوط السلحفاة وموتها
	١٤٢ الطيטوى يستنجد بالعنقاء —

الحكمة — الجاهل يؤمر
بشرب الدواء القاتل } ١٦٣

شهادة الفهد والنمر —
قتل دمنة في سجنه } ١٧١

(باب الحمامة المطوقة)

الصياد يفرح بصيده والغراب
ينظر اليه — الصياد يتبع الحمام } ١٧٤

الجرذ جاد في قطع الحبائل —
الغراب يطلب ود الجرذ } ١٧٥

الغراب يحمل الجرذ الى مكان
السلحفاة — الجرذ يقص على
السلحفاة والغراب قصته } ١٧٨

الضيف يغضب لتصفيق
الناسك — الجرذان تنعم
بعيش الناسك } ١٨٠

الخنزير يدرك القانص —
الذئب وقد أصابته سية
القوس فقتلته } ١٨١

الغراب يحلق ليرى هل للظبي
طالب — الظبي والجرذ } ١٨٧

والغراب والسلحفاة مستأنسين
الظبي يتراءى للقانص كأنه
جريح — الظبي يستطرد للقانص } ١٩٠

الظبي والجرذ والغراب
والسلحفاة في عريشهم آمنين

(باب البوم والغربان)

هجوم البوم على الغربان
الكراكي تريد تمليك البوم — } ١٩٣

الغراب ينفر الكراكي من البوم
الفيلة في طريقهم الى الماء } ١٩٧

الفيل يسجد للقمر

السنور يتظاهر بالصلاح
والتقوى — السنور ينقض
على الارنب والصفرد } ٢٠٣

الناسك وقد خدع فسلبه
اللصوص عريضه

ملك الغربان يشاور وزراءه —
الوزير الذي طابت نفسه عن
نتف زيشه } ٢٠٦

اللص والشيطان يتجادلان

في أيهما يسبق بعمله —
 ٢٠٩ صاحب البقرة يصحو على
 صراخ اللص والشيطان

الغراب يخدع البوم ليقبلوه —
 ٢١٢ الغراب يتغفل البوم فيدب
 الى أهله

٢١٥ ملك الضفادع يتخذ الأسد
 مركبا — الأسود يتناول غذاءه

(باب القرد والغيلم)

٢٢٠ ابتداء الصحبة بين القرد والغيلم
 — القرد والغيلم متصافيين

القرد يعود على ظهر الغيلم
 ٢٢٢ ليحضر قلبه — القرد يعلو

الشجرة ويسخر من الغيلم
 ابن آوى يزين للأسد
 ٢٢٤ افتراس الحمار — الأسد وقد

خارت قواه فلم يقو على افتراسه

الأسد وقد تمكن من صرع
 ٢٢٥ الحمار — ابن آوى يستل

قلب الحمار

(باب الناسك وابن عرس)

٢٢٧ الناسك يتخيل ما سيحدثه
 من جرة السمن والعسل —
 الناسك وقد سال ما في الجرة
 على رأسه

٢٢٨ ابن عرس يهجم لمقاتلة الأسود
 — ابن عرس مبتهج بعد قتل
 الأسود

٢٢٩ الناسك يقتل ابن عرس —
 الناسك يندم وزوجه تؤنبه

(باب الجرذ والسنور)

الجرذ أمام السنور والبوم
 ٢٣٣ وابن عرس — السنور وقد
 وثب على الشجرة والجرذ
 يدخل جحراً

(باب الملك والطائر فتزة)

٢٣٦ الطائر فتزة يطعم ابن الملك
 وفرخه — ابن الملك يغضب
 فيقتل ابن فتزة

الطائر فترة يققأعين الغلام -
 { ٢٣٧ } يريدون يستأمن فترة لينتقم
 (باب الأسد وابن آوى)

ابن آوى الزاهد المتعفف -
 { ٢٤٤ } ابن آوى الزاهد فى صحبة الملك
 ابن آوى الزاهد يتهم باخفائه
 { ٢٤٨ } اللحم فى منزله - الأسد يأمر
 بابن آوى الزاهد أن يقتل
 أم الأسد تقص خبر السعاية -
 { ٢٥١ } الأسد يرد ابن آوى الزاهد
 الى صحبته وكرامته

(باب ايلاذويلاذوايراخت)

٢٥٣ بلاذ يقص على البراهمة رؤياه
 ٢٥٧ الملكة ايراخت تريد أن
 تعلم ما بالملك

٢٥٩ الملك بلاذ أمام كباريون الحكيم
 ٢٦٢ الملك يأمر وزيره بقتل ايراخت
 ٢٦٢ الملكة ايراخت بين يدي
 الملك حامدة مفكرة

(باب اللبؤة والاسوار والشعر)
 ٢٦٩ اللبؤة والشعر ينظران الى
 بقايا شبليهما

(باب السائح والصائغ)
 ٢٧٤ السائح يخرج الرجل وهذه
 الحيوانات تحذر غدر الانسان
 ٢٧٦ البيريجى السائح بعقد ابنة
 الملك

٢٧٨ الملك يأمر بالسائح أن يعذب
 ٢٧٨ الحية تقدم الى السائح فى
 سجنه ورقاً ينفع من سمها
 ٢٧٩ الصائغ يصلب ويعذب
 لحجوده وكفرانه

الشعلب يتوعد الحمامة لتلقى
 { ٢٨٦ } بفراخها - الشعلب ينقض
 على الفراخ فيأكلها

(الحمامة والشعلب ومالك الحزين)
 الشعلب يخدع مالك الحزين
 { ٢٨٨ } الشعلب وقد وثب على مالك
 الحزين فقتله

فهرس الحواشى

صفحة	صفحة
١٩ الكيسانية	٣ على
٢٠ النظام « النظامية »	» معاوية
٣١ القبرة	» عبد الملك بن مروان
٥٦ أمّا « اعراب »	» الوليد بن عبد الملك
٧٠ دودة القز	٧ محمد المهدي
٧٩ برزويه . برز جهر	٨ بشر بن المعتز « البشرية »
» المقاتلة . الزمازمة	٩ الجاحظ « الجاحظية »
٨٠ إلّا « اعراب »	» الحسن بن وهب
٨١ أمّا « اعراب »	» قطري بن الفجاءة
» إياك والشر « اعراب »	» الحجاج بن يوسف
٨٢ إذا « اعراب »	١٠ اسماعيل بن يسار « الشعوبية »
» رويداً « اعراب »	١١ أثر ابن المقفع في الترجمة
٨٤ قلت بمعنى أحببت	١٤ المعتزلة
٨٨ الحداة	١٥ عبد الله بن محمد الأحوص
٩٠ الاخلاط الاربعة	١٦ مطيع بن إياس
٩٠ لاسيما « اعراب »	١٧ يحيى بن زياد
٩٢ التنين	١٧ حماد عجرد

صفحة	صفحة
١٣٢ النحل	٩٣ إذ « اعراب »
» النيلوفر	٩٤ دبشليم
١٣٨ الطيطوى	» يديبا
١٤٠ السلحفاة	» البراهمة
١٤١ العنقاء	٩٨ الأسد
١٤٤ الخفاش	٩٩ الذئب
١٤٥ التمساح	» بنات آوى ، ابن آوى
» اليراعة	١٠١ الكلب
١٥٠ البازى	» الفيل
١٥٢ الثور	١٠٤ النمر
١٥٦ ويل « اعراب »	١٠٥ فلان وفلانة « اعراب »
١٥٨ لام لأن « اعراب »	١٠٨ الثعلب
١٥٩ الفهد	١١٠ لعل « اعراب »
١٦٤ الخنزير	١١١ النخل
١٦٦ الشعير	١١١ إن أنت « اعراب »
١٦٧ حيث « ماتدل عليها »	١١٤ الغراب
١٧٢ الحمام	١١٥ البط
» الجرذ	» السرطان
١٧٦ السنور	١١٧ سواء « اعراب »
١٨١ الأطباء	١٢٩ منذ ومنذ « اعراب »

صفحة	صفحة
٢١٤ الضفدع	١٨٩ ويح « اعراب »
٢١٩ القرد	١٩٢ البوم
٢٢٦ ابن عرس	١٩٦ الكركي
٢٥٤ البختي	١٩٧ الطاووس
٢٧٢ الحجل	» النعام
٢٨٤ الهدهد	٢٠٠ هلم « اعراب »
	٢٠١ هراق « تصريف »

تاريخ كلية ودمنة

ومنه يتجلى فضل هذا الكتاب وتتمثل فيه عناية
الأئمة به منذ وضعه الى الآن بالترجمة تارة
وبالبحث أخرى. وهو للمؤرخ الكبير جورجى
بك زيدان مؤسس مجلة الهلال مستعيناً بأراء
المستشرقين ومن عُنوا بالكتاب وحفلوا به



﴿ تاريخه وترجمته ﴾

(تمهيد)

لكل شئ تاريخ حتى النبات والجماد ، فإذا مررت بشجرة في صحراء لم يمر بها أحد قبلك ورأيت في ساقها اعوجاجاً وفي أغصانها انحرافاً ، أو رأيت في قاعدتها نخراً أو تجويفاً أو نحو ذلك مما يصيب النبات من آثار العوامل الجوية والطيور والحشرات علمت ما قاسته تلك الشجرة من مصادمة الرياح العاصفة والصواعق المنقضة وما انتابها من مخالب الكواسر وقواضم الحشرات - وهو تاريخها - وإذا كنت عالماً بنواميس النبات لم يعجزك تعيين زمن بعض تلك النوازل بالشهر أو العام . وقد يقع نظرك هناك على حصة ملساء فتدرك القواعد الجيولوجية على ما مرّ بها من الكوارث والطوارئ منذ آلاف من السنين . فإذا كان ذلك شأن ما ليس للإنسان دخل فيه فكيف فيما كان من صنع يده وقد نفخ فيه من روحه ورصمه بشئ من جمال ذوقه كالأبنية والمسلات وسائر المنحوتات والمصنوعات مما نراه في المتاحف والمعارض ، فإن لكل من تلك الآثار تاريخاً منذ خرج من أيدي صانعيه إلى أن ظفر به النقبون ، وتاريخاً آخر منذ اكتشفه إلى الآن

وأجدر أعمال الإنسان بالبقاء والتناقل حتى يطول تاريخها ما كان من ثمرة العقل ونتيجة أعمال الفكرة مما يتعلق بمصالح الناس ولا سيما في أخراهم : كالشرائع الدينية والتعاليم الأخلاقية التي تحفظ في الكتب فتتوالى عليها

القرون وهي باقية بقاء الجبال ، إلا ما قد تقتضيه نوايس العمران من الارتقاء .
ولذلك رأيت لكل من كتب الشرائع تاريخاً طويلاً بين ثقل وشرح
وترجمة وتعديل . اعتبر ذلك في التوراة وما مرت به من الأطوار منذ كتبت
بالعبرانية وجمعت حتى ترجمت إلى اليونانية فالسريانية فاللاتينية فالعربية فإلى
سائر لغات العالم ، وما تخلل ذلك من الشروح والتعليق . وانظر إلى الانجيل
والقرآن وكتب سائر الأديان الكبرى كالبرهمية والبوذية والزرذشتية وغيرها
فإن لكل منها تاريخاً

ويلى كتب الدين ، بالنظر إلى طول البقاء والانتشار ، كتب الأدب
والأخلاق شعراً أو نثراً بخلاف كتب العلم الطبيعي ، فإنها تنتقص بمرور
الأيام . أما تلك فقلماء يتورها تغييراً لأن طبائع البشر ، ولا سيما إحساسهم النفساني ،
لا يزال كما كان من أول عهد العمران . اقرأ ما يقوله هوميروس أو امرؤ القيس
أو غيرها من قدماء الشعراء في وصف العواطف البشرية أو الانفعالات
النفسية فتراه يعبرون عن عواطفك ويدلون على احساسك . ولهذا السبب
حفظ الناس تلك الأقوال وتداولوها وتناقلوها على تفاوت في ذلك يختلف
 باختلاف منزلاتها من البلاغة والسهولة والفائدة وغيرها فعاش بعضها قروناً
عديدة وترجم إلى لغات كثيرة فعاصر الدول القديمة والحديثة على اختلاف
أطوار تمدنها وذهبت الدول وتبدلت العصور ولا تزال هي حية إلى الآن .
ومن أقدم كتب الأدب وأكثرها تداولاً وانتشاراً على اختلاف
الترعات واللغات كتاب (كليله ودمنة) فلا غرو إذا خصصنا للكلام فيه
فصلاً برأسه لما ستراه من أهميته وفضل صاحبه وغرابة تاريخه . وقد كتب

في هذا الباب غير واحد من العلماء المستشرقين أشهرهم البارون دي ساسي
الفرنساوي وبنفي ونولدكي الألمانيان وكيث فالكونر الأنكليزي فاستعنا
بآرائهم وثمار أبحاثهم فيما نحن فيه فنقول :

(١) — تأليف هذا الكتاب في اللغة السنسكريتية

هو كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي
اسمه بيديا مند نيف وعشرين قرنا لملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا
أنه تولى الهند بعد فتح الإسكندر وطفى وبغى فأراد بيديا إصلاحه وتدريبه
فألف هذا الكتاب ، وجعل النصيح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة
الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فإنهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات
لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنون أن معظم ما يتناقله الناس من أمثال
هذه الأقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه
الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال إن بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل
من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه . وترجع مواضع
النصح في هذا الكتاب إلى ما يحتاج إليه الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد
عن سماع كلام الساعى والنمام ، ووخامة خاتمة الأشرار ، ومنافع الأصحاب ،
وعدم جواز الأمن من كيد العدو ، ومضار الإهمال والغفلة ، وآفة التعجيل ،
وفائدة الخزم ، وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى
العواطف ، وضمنه حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع إلى ١٢ باباً وهى :

(١) باب الأسد والثور

- (٢) باب الحمامة المطوقة
 (٣) » اليوم والغربان
 (٤) » القرد والغيلم
 (٥) » الناسك وابن عرس
 (٦) » الجرذ والسنور
 (٧) » الملك والطائر فتزة
 (٨) » الأسد وابن آوى والناسك
 (٩) » اللبوة والأسوار والشهبر
 (١٠) » إيلاذ ويلاذ وإيراخت
 (١١) » السائح والصائح
 (١٢) » ابن الملك وأصحابه

هذه هي أبواب كتاب كيلة ودمنة عند منشئه في اللغة السنسكريتية ،
 ثم أخذ الناس في نقله والزيادة فيه — فنقل الى اللغة التيبية والفارسية ، ومن
 هذه إلى العربية إلى معظم لغات العالم المتمدن حتى الفارسية والهندية فانهم
 نقلوه إليهما من اللغة العربية كما سيجي .

وقد نهض أهل النقد والبحث من العلماء المستشرقين في هذا العصر
 للتنقيب عن النسخة السنسكريتية الاصلية فلم يعثروا عليها ولكنهم وقفوا
 على أبواب منها متفرقة في كتب الهند القديمة ولا سيما المهابهاراتا والبانشاتانترا
 والهيئتوباديسا — فوجدوا الابواب الخمسة الأولى من باب الأسد والثور
 إلى باب الناسك وابن عرس في كتاب البانشاتانترا ومعهناه : الكتب الخمسة
 والثلاثة التالية وجدوها في كتاب المهابهاراتا ، ووقفوا على فصلين آخرين في

المهتوباديسا - ولذلك يظن الأستاذ بنفى صاحب البحث فى هذا الشأن أن هذه الأبواب لما ترجمها برزويه إلى الفارسية القديمة لم تكن مجموعة فى كتاب واحد ، وإذا كان مؤلفها واحداً ، كما زعموا ، فإنها تشتت بعد ذلك ودخلت فى خلال كتب أخرى . فلما نقلها برزويه جعلها كتاباً واحداً عرف بهذا الاسم

(٢) — الترجمة التيبية —

هى أولى الترجمات وأقدمها ولكنهم لم يعثروا إلا على قسم منها اكتشفه انطون شفر - ولا بد من ترجمات أخرى تناقلتها الأمم المجاورة للهند فى الشمال وقد ضاعت بمرور الأعوام .

(٣) — الترجمة الفهلوية أى الفارسية القديمة —

ظل هذا الكتاب محفوظاً فى خزائن ملوك الهند يحرسون عليه حرصهم على أثمن الكنوز ، لا يسمحون لسواهم بالاطلاع عليه غير ما تقدم من نقله إلى التيبية حتى القرن السادس للميلاد لما أفضى عرش فارس إلى كسرى أنوشروان ، وكان محباً لأسباب الإصلاح وأخذ فى نقل العلم والأدب فبلغه خبر هذا الكتاب فاستشار خاصته فى رجل يبعث به لهذه المهمة يكون عارفاً باللسانين السنسكريتي والفارسي مع علم وفلسفة . فاختاروا له طبيباً فيلسوفاً اسمه برزويه بن أزهر . فأُسرَ إليه أمر الكتاب وحرّضه على نقله ونقل ما يتيسر من علوم الهند التى ليس فى اللغة الفارسية شئ منها وأمدّه بما

يحتاج إليه في سبيل ذلك الغرض . فسافر برزويه بعشرين جراباً من المال كل جراب فيه عشرة آلاف دينار حتى قدم بلاد الهند فجعل يجالس الحكماء ويسأل خواص الملك وجلساءه من العلماء والفلاسفة ، ويوهمهم أنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلم والأدب وأنه محتاج إلى معونتهم . ولم يزل كذلك ، وهو يبحث سراً عن مكان ذلك الكتاب في خبر طويل استخدم فيه دهاءه ودرايته ، حتى ظفر بالكتاب ونقله من اللسان الهندي السنسكريتي إلى اللسان الفارسي : وهو يومئذ الفهلوي . ونقل غيره من كتب العلم وعاد إلى أنوشروان ، فأجازه بالأموال وألبسه التاج ، وأجلسه على سريرته تشریفاً له وزيادة في إجلاله . وقد صدر برزويه ترجمته بفصل سماه باب برزويه لبرزجهر بن البختكان ذكر فيه سيرته وحكاية ذهابه بأمر كسرى لنقل هذا الكتاب من الهند . ومن النسخة الفهلوية المذكورة نقلت الترجمتان السريانية الأولى والعربية

(٤) الترجمة السريانية الأولى

سميها الأولى تمييزاً لها عن ترجمة أخرى سيأتي ذكرها . وكان المظنون قبلاً أن النسخة العربية هي أول ما نقل من الفهلوية ولكنهم عثروا على نسخة سريانية تحققوا من قرائن مختلفة وشواهد عديدة أنها نقلت من الفهلوية رأساً بعيد ذهاب برزويه لنقلها من السنسكريتية : ذكر عبد يشوع أسقف نصيبين في قائمة كتبه السريانية رجلاً اسمه (بود) قال : انه كان من أهل العلم وانه ألف كتباً ضد المانية والمارقونية وكانت له رئاسة على نصارى

الهند وفارس نحو سنة ٥٧٠ م الى أن قل (وهو الذي ترجم كتاب كليلة
ودمنة إلى السريانية ، وقد ضبط بود هذا الكتاب على غير المعروف عندنا
فسماه (قَلِيلَجْ وَدَمَنْج) وذلك على ما يظهر أقرب إلى الأصل الفهلوي . ولو
بقيت النسخة الفهلوية إلى الآن لرأينا اسمها أقرب إلى لفظه السرياني منه إلى
العربي . لأن أصل لفظه في السنسكريتية (كراتكاودمناكا) . فالغالب أن
برزويه نقلها إلى الفهلوية بلفظ ينتهي في آخره بالجيم فحفظه المترجم السرياني
وأطلقه المترجم العربي على عادة العرب في نقل بعض الألفاظ الفارسية
التي تنتهي بهذا الحرف . وقد عثروا على نسخة من الترجمة السريانية
الأولى ونشروها مع ترجمتها الألمانية في ليبسيك سنة ١٨٧٦ وهي مؤلفة من
عشرة أبواب فقط

(٥) — الترجمة العربية —

هي أهمُّ ترجمات هذا الكتاب لأنها حفظته وكانت واسطة نقله إلى
سائر اللغات الحية . نقله إلى العربية عبد الله بن المقفع كاتب أبي جعفر
المنصور العباسي وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بأدبها متمكناً من
أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغتين الفهلوية واليونانية ، وقد
نشأ بالبصرة في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالأدباء
والشعراء فبرع في اللغة العربية وأدبها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة إنشائية .
فلما أقدم على نقل كتاب كليلة ودمنة من الفهلوية إلى العربية جاءت عبارته
شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحدّثها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ

إنشاؤه في المواضيع الأدبية باللغة العربية (توفي في أواسط القرن الثاني للهجرة)
صدر ابن المقفع تلك الترجمة بفصل سماه (عرض الكتاب) وصف
به الكتاب وبين فضل العقل والعلم وأوضحه بالأمثال والحكايات على
أسلوب الكتاب الأصلي وأفاض في التحريض على مطالعته وتفهمه . فلما
اطلع عليه العرب أعجبوا به وأخذوا يتدارسونهُ ويتناقلونهُ ، وكان علماء
اللغة الفارسية حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم غيره على نقله
ثانية من الفهلوية إلى العربية . وأقدم من فعل ذلك عبد الله بن هلال
الأهوازي نقله ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ واشتغل
غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه فنظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن
خالد المذكور ، فلما وقف عليه أجازهُ بألف دينار . وتصدى غيره لمعارضته
فصنف سهل بن هرون للمأمون كتاباً عارض فيه كتاب كيلة ودمنة في
أبوابه وأمثاله . على أن هذه الكتب ذهبت كلها ولم يبق إلا ترجمة ابن
المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الأزمان بين تنقيح وتصدير
وتدليل فبلغت أبوابها ٢١ باباً ، بعضها هندي الأصل والبعض الآخر فارسي
والآخر عربي . فالأبواب الهندية ١٢ قد ذكرناها فيما تقدم والفارسية ثلاثة
وهي : مقدمة برزويه التي أشرنا إليها ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان .
وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية : وهي مقدمة الكتاب
على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي ، وباب عرض
الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضيف ،
وباب مالك الحزين والبطة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض

هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية
 وأول من نشر هذه الترجمة أو شيئاً منها المستشرق شولتنس الهولندي
 سنة ١٧٨٦ نشر منها باب الأسد والثور . أما نشرها كاملة فأول من
 أقدم عليه البارون سلفستر دي ساسي المستشرق الفرنسي الشهير فطبعها
 في باريس سنة ١٨١٦ وأرفقها بفصل في أصل الكتاب وما نقل عنه الى
 اللغات الاخرى . ثم طبع طبعات كثيرة في مصر أقدمها طبعة بولاق سنة
 ١٢٤٩ هـ

(٦) — الترجمات المنقولة من النسخة العربية —

ضاعت الترجمة الفهلوية وتبعثر الاصل السنسكريتي واختفت الترجمة
 السريانية الأولى وبعثت النسخة التيبثية عن العالم المتمدن فلم يبق بين
 أيدي الناس الا الترجمة العربية فلما نضج التمدن الاسلامي وتحاكت الامم
 بالمسلمين وأخذوا ينقلون علومهم وآدابهم كان هذا الكتاب في جملة ما نقلوه
 الى ألسنتهم . وبلغ عدد الترجمات التي نقلت رأساً من العربية عشرة وهي
 (١) السريانية (الثانية) نحو القرن العاشر للميلاد (٢) اليونانية سنة
 ١٠٨٠ (٣) الفارسية سنة ١١٢٠ (٤) العبرانية الأولى (٥) العبرانية
 الثانية في القرن الثالث عشر (٦) اللاتينية في ذلك القرن (٧) الاسبانية
 سنة ١٢٥١ (٨) الملقية (٩) الانكليزية سنة ١٨١٩ (١٠) الروسية
 سنة ١٨٨٩ — وتفرع من بعض هذه الترجمات ترجمات أخرى الى الفرنسية
 والاطالية والسلافونية والتركية والألمانية والانكليزية والدنماركية والهولندية

وغيرها حتى بلغ عدد الترجمات جميعاً بضعاً وعشرين ترجمة . ترجع بأسرها إلى العربية إما مباشرة أو بواسطة لغة أخرى واليك البيان :

(١) الترجمة السريانية الثانية

هي غير الترجمة الأولى المنقولة عن الفهلوية سنة ٥٧٠ م . أما هذه فقد نقلت عن العربية بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر للميلاد : نقلها كاهن مسيحي لم يعرف اسمه ولا السنة التي ترجمها فيها . وقد نقل هذه الترجمة إلى اللغة الانكليزية المستشرق كيث فالكونرو ونشرها سنة ١٨٨٥ وصدرها بمقدمة مسهبة في تاريخ هذا الكتاب وترجماته

(٢) الترجمة اليونانية

نقلها عن العربية سميان بن شيث نحو سنة ١٠٨٠ م وكانت ضائعة فعثر عليها الأب بطرس بوسينوس اليسوعي في أثناء بحثه عن أوراق فيها تاريخ ميشال باليولوغوس فوجدها في مكتبة ليوالاتيوس وترجمها إلى اللاتينية ثم نشرت الترجمة اليونانية سنة ١٦٩٧ عن نسخة أخرى وجدوها في همبرج . نشرها ستارك مع ترجمة لاتينية جديدة لاعتباره ترجمة بوسينوس مغلوبة ، وقد طبعت غير مرة وتفرّع منها ترجمتان : الإيطالية والسلافونية فالترجمة الإيطالية تعرف بالقديمة تمييزاً لها عن الترجمات الحديثة ، وقد نشرت في فرازا سنة ١٥٨٣ ثم في بولونيا سنة ١٨٧٢ والترجمة السلافونية تعرف بالترجمة الروسية القديمة تمييزاً لها عن الترجمة الروسية الحديثة نشرت في بطرسبورج سنة ١٧٨٨

(٣) الترجمة الفارسية الحديثة

وفي الفارسية عدة ترجمات من كايّة ودمنة مرجعها كلها الى النسخة العربية . وأقدم من عزم على ترجمتها إلى الفارسية الحديثة أبو الحسن نصر ابن أحمد الساماني في أواسط القرن الثالث للهجرة : أمر أحد العلماء بنقلها من العربية إلى الفارسية فنقلها ثم نظمها شاعره بالفارسية، ولا نعلم مصير هذه الترجمة وإنما ذكرها صاحب كشف الظنون . وأما الترجمات الباقية فأقدمها نقل أبي المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحميد بأمر أبي المظفر بهرام شاه ابن مسعود الغزنوي المتوفى سنة ١١٥١ للميلاد، وأول من نبه إليها دى ساسى وأشار الى وجودها مخطوطة في مكتبة باريس وسماها (نسخة نصر الله) وكتب فيها مقالة انتقادية أثبت أنها ترجمت حوالى سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م) ولم تطبع بعد .

وجدت هذه الترجمة وخلصها وهذبها حسين بن علي الواعظ الكاشفي وصدرها بفدلكة في تاريخ الكتاب وتعرف نسخته في أوربا بترجمة (أنوار السهيلي) نسبة الى الامير السهيلي من أمراء سلطان بيقرا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، وفي هذه الترجمة قصص لا توجد في الأصل العربي، ثم جدد هذه الترجمة في أواخر القرن السادس عشر أبو الفضل بن مبارك في نسخة عرفت باسم (عياردانش) ولم تنشر

الترجمة التركية * وعن نسخة أنوار السهيلي الفارسية نقلت النسخة التركية المعروفة (بهمايون نامه) نقلها علي بن صالح الرومي المعروف بعلي جاجي

والملقب بعبد الواسع عيسى أستاذ الفقه في مدرسة أدرنه على عهد السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦) وقد اشتهرت هذه الترجمة بنقلها الى اللغتين الفرنسية والاسبانية . أما الفرنسية فبدأ بها غالان وأتمها كاردون وطبعت في باريس سنة ١٧٢٤ - وأما الاسبانية فنشرت سنة ١٦٥٢ - ١٦٥٨

(٥ و ٤) الترجمة العبرانية * في العبرانية ترجمتان نقلتا من العربية رأساً تنسب إحداهما الى يوثيل وقد نقلها جون كابوا الى اللاتينية سنة ١٢٢٧ م وعرفت ترجمته باسم Directorium Humanac Vitae ومنها نقل كتاب كلية ودمنة الى معظم لغات أوربا الحديثة . فالترجمة العبرانية المذكورة عظيمة الأهمية في تاريخ هذا الكتاب ، ولكنهم لم يقفوا على تاريخ ترجمتها . على أنها لا ينبغي ان تعدّ أحدث من سنة ١٢٥٠ - وقد عثروا على نسخة وحيدة لها في مكتبة باريس فوصفها دي ساسي مطوّلاً في مفكراته عن المخطوطات . ونشر نيوباورقسا منها مع ترجمة ألمانية في مجلة الشرق والغرب . ونشر النسخة برمتها يوسف ديرنبرج في باريس سنة ١٨٨١ مع ترجمة فرنساوية قابلها بالترجمة اللاتينية

وأما الترجمة العبرانية الأخرى فهي محفوظة في مكتبة كمبريدج نقلها من العربية يعقوب بن العازر أحد كتاب القرن الثالث عشر وهو صاحب المعجم العبراني الشهير باسم « سفر هشالم » وهي كاملة تقريباً وقد نشرها ديرنبرج مع النسخة الأخرى وعلق عليها بعض الملاحظات والانتقادات .

﴿ ترجمات اللغات الحديثة ﴾

والنسخة اللاتينية المتقدم ذكرها نشرت في أواخر القرن الخامس عشر وأخيراً سنة ١٨٨٤ - وقد نقلت الى معظم لغات أوروبا فنقلها غراف البهرت دي ورتنبرج سنة ١٤٨٠ إلى الألمانية ، ونقلها جرمانى آخر إلى الإسبانية في سنة ١٤٩٣ - ونقلها دونى إلى الإيطالية نحو سنة ١٥٥٢ ومنها نسخة في مكتبة كمبريدج . ومن النسخة الجرمانية نقلت إلى الدنماركية سنة ١٦١٨ وإلى الهولندية سنة ١٦٢٣ - ومن نسخة دونى الإيطالية المذكورة نقلت إلى الإنكليزية بقلم السير توماس نورث ونشرت سنة ١٥٧٠ وسنة ١٦٠١ ومن الإسبانية نقلت إلى الإيطالية أيضاً سنة ١٥٤٨ - ونقل هذه الترجمة إلى الفرنسية جبرائيل كوتيه وطبعت في ليدن سنة ١٥٥٦ ونقلت إلى هذه اللغات ترجمات أخرى في أزمنة أخرى لافائدة من ذكرها

(٦) الترجمة اللاتينية الشعرية : وهناك ترجمة لاتينية شعرية يظن أنها

نقلت عن العربية نحو القرن الثالث عشر وتعرف باسم

Baldos' Alter Aesopus

(٧) الترجمة الإسبانية القديمة : وقد نقلها الاسبان رأساً من العربية في

أثناء نقلهم غيرها من آداب العرب في أواسط القرن الثالث عشر وهى غير النسخة الإسبانية التي تقدم ذكرها . ومن الترجمة الإسبانية القديمة نقلت ترجمة لاتينية أخرى عرفت باسم (نسخة ريموند) ذكرها دى ساسى فى جملة مخطوطات مكتبة باريس يؤخذ من مقدمتها أن ريموند بزيار الطبيب نقلها

بإيعاز الملكة حنه دي نافار من الاسبانية إلى اللاتينية سنة ١٣١٣ قدمها إليها

(٨) الترجمة الانكليزية — وهذه الترجمة نقلت عن العربية رأساً

نقلها القس ويندهام ناتشبول ونشرت في اوكسفورد سنة ١٨١٩ — ثم أعاد

طبعها الأستاذ ادوار فاندريك في سنة (١٩٠٥) ليفرقها في تلامذته

(٩) الترجمة الروسية الحديثة — وهي آخر ما نقل من الترجمات

الافرنجية رأساً عن العربية نقلها مخائيل عطايا ونشرت في موسكو سنة ١٨٨٩

(١٠) الترجمة الهندية الملقية — وفي جامعة ليدن ترجمة ملقية منقولة

عن العربية

هذه أهم الترجمات التي نقل إليها هذا الكتاب الجليل ومصدرها النسخة

العربية التي نقلها ابن المقفع في أواسط القرن الثاني للهجرة كما رأيت . وهناك

شذرات من ترجمات أخرى جاء ذكرها في بعض النصوص كالترجمة الحبشية

والأرمنية وترجمة أخرى لاتينية وغيرها

وفي الصفحة التالية جدول فيه نسبة ترجمات هذا الكتاب بعضها إلى

بعض من تصنيفه بالسنسكريتية إلى الآن .

الاصـل السنسـكريـتى (الهنـدى القـديم)

الترجمة الفهلوية (الفارسية القديمة) نحو سنة ٣٥٦ م

السريانية القديمة سنة ٣٥٧ م

الترجمة العربية نحو سنة ٧٥٠ م

الروسية لعطايا الانكليزية. الملقية. الفارسية لنصر الله. الاسبانية القديمة. العبرانية. العبرانية لابن العازر. اللاتينية الشعرية. اليونانية. السريانية الحديثة سنة ١٨٨٩ سنة ١١٢٠ سنة ١٢٥١ في القرن ١٣ قبل سنة ١٣٠٠ سنة ١٠٨٠ نحو القرن العاشر

السلافونية القديمة الايطالية سنة ١٥٨٣

انوار السهيلى اللاتينية ترجمة ريموند في آخر القرن ١٥ سنة ١٣١٣

اللاتينية الديركتوريوم سنة ١٢٧٠ م

همايون نامه

في أول القرن ١٦

الفرنساوية لنالان

الالمانية سنة ١٥٨٣

الانبانية الحديثة سنة ١٤٩٣

الايطالية: ترجمة دوني سنة ١٥٥٢

الدانماركية الهولندية

سنة ١٦١٨ سنة ١٦٢٣

الانكليزية لنورث ١٥٧٠

الفرنساوية سنة ١٥٥٦

حياة ابن المقفع

عناصر الموضوع

مصدر النبوغ — عصر ابن المقفع — براعته في الكتابة — الكتابة العربية في عصر ابن المقفع — الأساليب المستحدثة في عصره — أسلوب ابن المقفع — زهده في السجع — سهولة لفظه — حرصه على الإيجاز — إقلاله من المترادف — الحاجة إلى الترجمة في عصر ابن المقفع — نبوغه في الترجمة — عنايته بالحكم والأخلاق — أثر الآراء الاجتماعية في السياسة والعقائد — الزندقة بين المسلمين — ديانة ابن المقفع — أثر الانتقال الاجتماعي في العقائد — شرعة أدبي الأموية والعباسية — سيرة ابن المقفع — حرصه على الوفاء — مقتله

مصدر النبوغ

ينبغ شأن النابغة ويعلو مكان الرجل العظيم ، فيفنى الناس في إجلاله وتمجيد خصاله ، ويغنون في الإعجاب بذكائه ورجاحة عقله ، ويغرقون في الثناء على ما جمع إلى ثقب البصيرة من حسن الفطنة ، وإلى بُعد النظر من أصالة الرأي ، وما أَلَّفَ بين مضاء العزيمة وشدة الشكيمة ، ومرارة البأس وحلاوة الرحمة ، وما امتاز به من لسان عَضْب وبيان عذب . ثم يصوغ لهم

الخيال من هذه الخصائص كلها شخصاً قد جمع الله له الفضائل ، فيردون إليه ما كان وما يكون : من جسام الأمور وجلال الأعمال

لم يُبعد هؤلاء الناس في شيء من ذلك ولم يُسرفوا ، وإنما رأوا جميلاً فأجلوه وعظموه . ومن ذا الذي ينكر أن الرجل الفذ يظهر العظمة والجلال ؟

غير أن نظر العامة قصير المدى ، فهم يرون أن الرجل العظيم علة ما اختصه الله به من نبوغ . وعلى سُنَّتِهِمْ مضي المترفون من العلماء ، وهم

الذين يُغْنِيهِمْ قليل البحث عن كثيره ، وميسوره عن عسيره

وإنما نبوغ الرجل النابغة وتبريزه حادثة ذات خطر ، لها من الأسباب والعلل ما لغيرها من حوادث التاريخ . فمن أجله فإنما يحلّ البيئة التي أنشأته

والحوادث التي أنبعثت والعصر الذي عاش فيه

ذلك بأنه ليس في هذا العالم شيء إلا وله علة أجنبية منه وسبب ناء

عنه : يعمل فيه ويظهر ما له من نتائج وآثار

وعلى هذا ف لترجمة لنا بغة كائن المتفع لا ينبغي أن تكون وصفاً له

مقصوراً عليه . بل يجب أن تكون بياناً واضحاً وشرحاً مستقصي لأحوال

التاريخ في أيامه ، حتى تستخلص من حياة الفرد حياة أمتة وتستنبط من

أحواله أحوال جيله . ولعمري ما القول في ميلاد الرجل ووفاته وفي أسفاره

١ قيل : سمي كذلك لأنه لما ولي خراج فارس للحجاج ومد يده إلى أموال الناس

ضربه الحجاج فتقفعت يده أي تشنجت . وقيل بل الذي ولاه خالد بن عبد الله القسري

والذي عذبه يوسف بن عمر الثقفى لما تولى العراق بعد خالد . وروى بعض الناس أن

(المقفع) على صيغة اسم الفاعل لا اسم المفعول لأنه كان يعمل القفّاع ويبيعها ، والاول

أرجح عند أهل الرأي

ومؤلفاته بكافٍ لمعرفة نفسه وما انطوت عليه من أسباب حقيقة : هي
مصدر ما ظهر على يديه من تفوق ونبوغ

عصر ابن المقفع

ولقد نشأ ابن المقفع في عصر اضطراب وهلك ، خلف عصر هدوء
واطمئنان . فقد مضى القرن الأول إلا أقله على المسلمين وهم في حروب
وكروب بين فتوح وفتن . فامضوا ثلثه الأول في الفتح وإقامة الملك
وتشديد السلطان ، ثم عدت عليهم عوادي الشر فتنازعوا القوة ، ونهضت
فيهم فتن ذهبت بخيارهم أيام علي^١ . ثم جاءت أيام الجماعة ، فما كاد الناس
يريحون ويستريحون حتى انقبض عنهم ظلها بموت معاوية^٢ . فعادوا إلى
ما كانوا فيه من خلاف وفرقة ، ومن اضطراب وانتقاض أمر ، حتى كان
عصر عبد الملك^٣ . فجمع الأمة ووحد الكلمة ووفق بين الآراء المختلفة
والأهواء المتباينة ، وهذا الناس في أيام بنيه الوليد^٤ وسليمان^٥ ويزيد^٦

١ هو رابع الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول الكريم وزوج ابنته فاطمة
الزهراء وأول من أسلم من الصبيان . قتل سنة ٤٠ هـ ٢ أول ملوك بني أمية وهو
الذي كانت بينه وبين علي الفتن . كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم وأدهى دهاة
العرب ، وتوفي سنة ٦١ هـ ٣ عبد الملك بن مروان رابع خلفاء الأمويين وأول من
تسمى عبد الملك في الاسلام وأول من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الاسلام وكان
النقش على الدنانير بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية ، وتولى الخلافة من سنة ٦٥ إلى
سنة ٨٦ هـ ٤ الوليد هو ابن عبد الملك بن مروان ولي الخلافة يوم وفاة أبيه وكان
عند أهل الشام أفضل خلفائهم فقد بنى المساجد بدمشق وبنى الجامع الأموي ولم يتمه
إلا أخوه سليمان بعد وفاته وتوفي سنة ٩٦ هـ عن ست وأربعين سنة ٥ ثم قام بعده
سليمان فأتم بناء الجامع الأموي وتوفي سنة ٩٨ هـ ٦ يزيد بن عبد الملك كان بينه وبين
أخيه سليمان خلافة ابن عمه عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة سنة ١٠١ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ

وهشام^١، وأيام ابن أخيه عمر^٢ بين ذلك ، اللهم إلا من خارجة تخرج أو طائفة تنجم . وبآخر هذا العصر انتكث قتل بنى أمية وانبثت في أرجاء المملكة الإسلامية دعوة بنى العباس ، وأخذت أطراف الدولة تنفصل . فانقسم بنو أمية بعضهم على بعض ، وأصبح بأسهم بينهم شديداً . وفي هذه الحال السيئة المملوءة بالرعب والفرع شبّ ابن المقفع : فقد ولد من أب فارسي^٣ ينتحل نحلة المَجُوس ويعمل للحجاج : وإنما كانت إمرة الحجاج في أيام الوليد وأبيه . فنشأ بين هذه العواصف المختلفة . فلم يكن له بدّ من أن يثبّت لها ويقاوم زعازعها — ولا سيما إذ كانت له نفس طاموح إلى المعالي نزاعة إلى المجد — وابن المقفع من أصل فارسي كما قدّمنا ، والفرس أهل حضارة قديمة وعزّ تليد ، وبين العلم أسباب متصلة وعريّ موثقة ، فليس عجيباً أن ينشأ ابن المقفع على طرف منه وأثارة صالحة

على أن علوم الفرس وحضارتهم لم تكن وحدها كلّ ما للفرس في هذا العصر ، بل أضيفت إليهم علوم جديدة مصدرها انتحالهم للإسلام وخضوعهم لدولة العرب ، فنبغ فيهم الرّواة والقراء والمؤوّلون وأصحاب الأخبار واللغويون وأهل الغريب وأصحاب معاني الأشعار . وإنما كان همّ الناشئ منهم أن يجدّ في إتقان ما أورثه أسلافهم من العلم وتحصيل ما أفاده عصره من المعرفة ، ليكون ذا فضيلة تقربّه من أهل الملك وذوى السلطان ،

١ ثم قام بعده هشام وتوفى سنة ١٢٥ هـ ٢ هو عمر بن عبد العزيز الذي تولى بين سليمان ويزيد وهو الأشج الذي يقال فيه انه أعبد بنى مروان ٣ وكان اسمه (داذويه)

وترفع شأنه عند أولئك الأميين الذين كانوا لا يأنه أتباعا ، فأصبحوا له ملوكا
فليس بدعاً أن يعنى ابن المقفع بهذه العلوم فيحرز منها قسطاً موفوراً

براعته في الكتابة

ولما كانت دولة العرب في هذا العصر بعيدة الأطراف مختلفة الأعمال ،
والعرب على ذلك أمة أمية قليلة الحظ من الكتابة شديدة الحرص على
مداومتها والاحتفاظ بمضاربها ، والمغلوبون من الفرس والروم أهل دراية
بالسياسة وحذق في العلم وبصر بالأمور كانت لهم من ذلك فرصة حرصوا على
أن يستفيدوا منها وينتفعوا بها . فتفرغت طائفة منهم لإجادة ما يتصل
بأعمال السلطان : من كتابة وحساب ، ومن إدارة ووزارة . فنبغ منهم في
هذا نفر كثير : هم الذين دبّروا أمور الدولة ورفعوا منادها في عصرها
الأخير وفي أيام بني العباس . فكان من كبار كتابهم ابن المقفع الذي جمع
مختلفاً من العلوم ومتنوعاً من الفنون وأجاد الكتابة السياسية حتى كان في
آخر أمره من كتاب الأُمراء

ولسنا بسبيل القول في رسائل ابن المقفع السياسية وكتابات المتصلة
بأعمال الدولة . وإنما نقول : إنه قد اختصّ بفنّين أجادهما كل الإجادة ،
وأتقنهما جيداً الإتقان : أحدهما الترجمة ، والثاني تحبير الرسائل الخلقية التي
ترجع إلى سياسة الملك للرعية وطاعة الرعية للملك

وقد يكون مما ينبغي أن نبين شيئاً من حال الأساليب العربية في

الكتابة ، ومن حال التدوين والتأليف في عصر ابن المقفع ، تمهيداً لبسط القول في الفنين اللذين نبغ فيهما واختص بهما

الكتابة العربية في عصر ابن المقفع

لم يكن للعرب في جاهليتهم وكذلك في صدر الإسلام عهد بتحرير الرسائل وتنميقها ، وإنما كانت قصاراهم إجادة الخطابة ونظم القصيد : يذهبون فيهما المذاهب . فإذا اضطرَّ أحدهم إلى الكتابة فحسبُه من ذلك ما فيه بلاغ وتأدية للمراد مع إيجاز حسن وسهولة فطرية في اللفظ : تماثل يديتهم وأحوالهم الاجتماعية . فلما حضروا بعد البداوة ، وأصبحوا أهل ملك مشيد وسلطان مبسوط على الشعوب ، وخالطوا أمماً ذات حظ من إحسان القول والإجادة فيه ، أخذوا من الكتابة بحظ وكثرت في أنفسهم المعاني الزائدة على المراد المحسنة له

الأساليب المستحدثة في عصره

فلم يكن أحدهم تكفيه أن يُبلغ صاحبه حاجته بلفظ موجز كما كان يفعل في القرن الأول . بل كان يحيطها بمعان كثيرة : يجعلها من بين يديها ومن خلفها : شافعاً مرة ومستعطفاً أخرى ، وذاهباً إلى الإندار حيناً وإلى التبشير حيناً ، إلى غير ذلك من المعاني التي تنتهي إلى التأثير في النفس وأخص ما امتازت به الكتابة العربية في عصرها الأول أن الرسائل كانت تشتمل في أسلوبها على ما يرجع إلى ربط الأمور بأسبابها ، واستنباط النتائج من مقدماتها ، وردّ الأشياء إلى نظائرها والآثار إلى

مصادرها . فترى الكاتب يلتمس العلة لكل حكم ، والسبب في كل قضية راجعاً بكل عمل إلى منشئه من أخلاق الإنسان . يعرف هذا من قرأ رسائل ابن المقفع وعبد الحميد وكتب الخلفاء ومشاورة المهدي لأهل بيته^١ .

وتلك طريقة فارسية يتيبنها من قرأ الحكم والرسائل المنقولة عن بُزْجَمَهْر والأَكْاسِرَة^٢ . بل من قرأ مقدمة بُزْزَوِيَه في هذا الكتاب . ولعل هذه الطريقة لم تكن الشيء الوحيد الذي أخذه العرب عن الفرس في كتابتهم . فقد أخذوا مع ذلك عنهم التبسط في اللفظ والانهدار في ترتيبه . فبينما تقرأ ما يروى لعلّ والخلفاء من الخطب ، فترى نفسك في كلام متناسق الأجزاء متفق الأسلوب متساوٍ في الجزالة ، إذ ترى نفسك في أسلوب ابن المقفع وأضرابه من كتاب هذا العصر ، تنتقل من سهل إلى أسهل ومن يسير إلى أيسر مع ترتيب في المعاني وتهذيب في التركيب

أسلوب ابن المقفع

هذه المزية عامة للكتابة العربية في ذلك العصر . وقد كان لأفذاذ الكتاب ونوابغهم مميزات خاصة استأثروا بها وانفردوا بحسنها ، فكانت أمانة دالة عليهم ومشيرة إليهم . وأخص ما أمتاز به ابن المقفع أشياء قلما اجتمعت لكتاب

١ هو محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور : ثالث الخلفاء العباسيين تولى الخلافة سنة ١٥٨ . وأما هذه المشاورة فكانت حين خرج أهل خراسان عليه وطرّدوا العمال وكسروا الخراج ، قالوا وهو أول من رتب البريد بين مكة والمدينة واليمن من بغال وابل
٢ راجع عيون الاخبار لابن قتبية وغيره

زهده في السجع

فمنها إنزال السجع منزله وجعله بحيث لا ينبغي أن يحرص عليه الكاتب ويستهلك فيه المعنى ويقع به في التعقيد . بل يأخذ ما جاد به الخاطر عفواً ، وسمحت به القريحة من غير تكلف . وإنك لتقرأ الفصل المطول والباب المبسوط من كتب ابن المقفع ، فلا تجد فيه سجة مستكرهة ولا وزناً متكافئاً . وكفى بهذا عاصماً للكاتب من الاستغلاق وغموض المراد

سهولة لفظه

ومنها اصطناع الألفاظ السهلة التي لا تلطف على الدهماء^١ ولا تجفوع عن الألفاء كما يقول بشر بن المعتز^٢ . وتلك صفة الكاتب الذي يقصد بكتابته إلى إفادة العامة والخاصة من غير أن يكون مردولاً ولا ممقوتاً عند طائفة منهما

حرصه على الإيجاز

ومنها الحرص على الإيجاز مع الوفاء بالمعنى ، وليس إيجاز ابن المقفع كما إيجاز الأحنف بن قيس ، بل هو كإطناب علي . فما لا شك فيه أن أوصاف الأساليب من إيجاز وإطناب وسهولة وغرابة تختلف باختلاف

١ الدهماء : جماعة الناس والمراد الطبقة الكثيرة في الامة ٢ بشر بن المعتز هذا : زعيم من زعماء المعتزلة تتبعه طائفة منهم تسمت باسمه فأطلق عليها (البشرية) ومن تعاليمه الخاصة (أن التوبة الاولى موقوفة على الثانية وأنها لا تنفع الا بعدم الوقوع في الذي وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى)

العصور وتتفاوت بتفاوت أحوال الحضارة : أى إنها معانٍ إضافية^١ ليس لها حقائق ثابتة فى أنفسها . فكلام ابن المقفع موجز مختصر بالإضافة^٢ إلى كلام الجاحظ^٣ والحسن بن وهب^٤ وإن كان بالقياس إلى كلام قطري بن الفجاءة^٥ والحجاج بن يوسف^٥ مسهباً مبسوطاً

اقلاله من المترادف

ومنها القصد فى المترادف من اللفظ والمتشاكل من الكلم . وهذه صفة لازمة لمحِبِّ الإيجاز الراغب فيه . فبينما تجد الجاحظ مشغولاً برصف المترادفات والإغراق فيها — حتى إنه ليُعبر عن المعنى الواحد بعبارات عشر متساوية الوضوح — تجد ابن المقفع حريصاً على ألاَّ يلبس المعنى ثوباً سابغاً ضافى الأذيال ، وألاَّ يُسرف فى اللفظ ولا يغلو فى الرديف إلاَّ إذا كان

١ المراد بمقارنته إلى كلام الجاحظ ٢ وأما الجاحظ فهو أيضاً زعيم من زعماء المعتزلة صاحب فرقة تعرف بالجاحظية أديب له أسلوب جميل فى اللغة إلا أنه كما وصفنا واسع المادة غنى الالفاظ لا يعجزه كثرة الترادف والتوارد وتوفى سنة ٢٥٥ هـ ٣ الحسن بن وهب : أديب من أدباء العباسيين وظريف من ظرفائهم له ميل كثير إلى الطرب وشرب الخمر وقضى زهو حياته أيام الوائق والمتوكل . ولبنان وإياه مداعبات خليعة ومثلها مع إبراهيم بن العباس ٤ قطري بن الفجاءة كان من الذين ناوأوا الدولة الأموية زماناً كثيراً طلباً للإصلاح فقد خرج على مصعب بن الزبير حين تولى العراق عن أخيه عبد الله سنة ٦٦ هـ وظل يقاتل ويسلم عليه بالخلافة (٢٠) سنة وقد كان الحجاج يسير إليه الجيش بعد الجيش وهو يلحق بهم الهزائم وبه من اللسن والشجاعة ما جعله فى مصاف عظماء الخطباء والشجعان . وقد انتهى أمره أن عثر به فرسه فاندقت فخذه فمات سنة ٧٨ هـ ٥ الحجاج بن يوسف قائد من قواد العرب المشهورين وداهية من دواهيهم اتخذ عبد الملك بن مروان رئيساً على حرسه ومنحه ولاية العراق أبان اضطرابها ، ويعده أهل الأدب من أول الخطباء الذين يبلغون بالقول وينالون بالكلم

له على صاحبه فضلُ الوضوح أو الزيادة في المعنى
هذه بعض خصائص ابن المقفع في كتابته ، وهي تنطق بنباهة الشأن
وعلو المكانة و بثبوت القدم ورسوخها في هذا الفن
أمّا ما اختص به من فتي الترجمة والكتابة الخلقية فإليك كلمة عنها
غير موجزة ولا منبسطة

الحاجة الى الترجمة في عصر ابن المقفع

لم يكن للعرب حظّ من العلم كما قدّمنا وقد اتّسع بهم العمران ومكّن
لهم في الأرض . فاحتاجوا إلى كثير من العلوم المختلفة ، ولا سيما السياسية
التي تمكّنهم من رياضة الأمم المغلوبة والأخذ بشكائم الشعوب المنهورة التي
تأنف أن تدعن لهم بالسيادة ، لما كان لها في الحضارة والمجد من سابقة
استطالت بها على العرب ، حتى إن بعض الفرس وهو اسماعيل بن يسار
أنشد بين يدي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قصيدة طويلة فخر فيها
بشرف آبائه من الفرس ودلّ على العرب بما لهم من سيادة وسلطان حتى
غضب هشام وأمر به فألقى في بركة من الماء بين يديه . كذلك يروون
فلم يكن من الأمر المستغرب أن ينهض في هذا العصر تراجمة ينقلون
إلى العرب علوم الأمم التي سبقتهم إلى البحث عن أحوال هذا الكون وما

١ هو مولى تيم بن مرة أصله من سبي فارس وهو شديد التعصب الى العجم وله
في ذلك شعر كثير فالتفت حوله رجالات من الفرس ودانوا بدينه فنشأ مذهب الشعوبية
وهو المذهب الذي يرى أن العجم أفضل من العرب ، فانبرى لهم من العرب من يرد عليهم
ويسفه أحلامهم حتى بلغ الجدال بالفريقين حداً ليس لاحدهما فيه دليل سليم على مزاعمه

فيه ، بادئين من ذلك بما تشد الحاجة اليه والحرص عليه . فترجموا لهم في السياسة والطب والنجوم . ولقد كانت الترجمة في أول أمرها مقصورة على ما كتب الفرس وأهل الهند ، لشدة الخالطة بينهم وبين العرب ، ولم يعرف النقل عن اليونانية إلا في أيام المهدي^١ والرشيدي^٢ والمأمون^٣

نبوغه في الترجمة

وكان أسبق المترجمين إلى النقل ابن المقفع ، فقد عني بترجمة كلية^٤ ودمنة : وهو هذا الكتاب الذي ألفه بعض فلاسفة الهند في سياسة الملك ومحاسن الأخلاق

وذكر المؤرخون أن ابن المقفع ترجم غير هذا الكتاب في الحكمة والمنطق^٥ . ومهما يكن ذلك حقاً فإن الكتاب الذي بقي على الدهر وانتفعت به أمم مختلفة هو كتاب كلية ودمنة

وعلينا أن نعرف هنا شيئين : أحدهما مصدر ميل ابن المقفع إلى الترجمة في هذا الفن خاصة ، مع أنه فن قد لا يتلقى بالقبول من أصحاب السطوة وسياسة الدولة . الثاني مصدر بقاء هذا الكتاب واندثار غيره مما ترجمه ابن المقفع في المنطق والحكمة ، حتى اضطر العرب أنفسهم إلى إعادة نقلها أيام الرشيد والمأمون

١ الرشيد : خليفة عباسي تبوأ الخلافة بعد الهادي سنة ١٧٠ الى سنة ١٩٣ هـ فكان خامس خلفاء هذه الدولة ٢ وأما المأمون فهو ابن الرشيد تولى بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨ الى ٢١٨ هـ فكان سابع الخلفاء ٣ قيل ترجم كتب أرسطاطاليس الثلاثة في المنطق وهي كتاب قاطيغورياس وكتاب باري أرمينياس وكتاب أناطوطيقا . وقيل أيضاً ترجم ايساغوجي تأليف فرفيوبس الصوري

فأما الأمر الأول فلا نعرف له مصدراً إلا الحالة الاجتماعية التي كانت عليها الأمة الإسلامية في ذلك العصر : أي اشتعال الحروب واضطرام نيرانها وظلم الخلفاء وعسف الأمراء واحتياج الناس إلى ما يسترشدون به في العلاقة بينهم وبين رعاتهم وافتقار الملوك والأمراء إلى ما يستعينون به على سياسة الرعية وضبط أمورها . فكان هذا الكتاب كان من مقتضيات العصر الذي ترجم فيه . فلم يكن من الممكن استغناء الناس عنه أو رغبتهم عن قراءته واستظهاره

وأما الأمر الثاني فمصدره ما ذكره المؤرخون من أن ابن المقفع قد ترجم المنطق والفلسفة من اللغة الفارسية ، وكانت قد نقلت إليها من اليونانية ، وما ذكر الجاحظ من أن ابن المقفع أيضاً كان لا يحسن الكلام وما يتصل به . فكان نقل هذه العلوم من الفارسية بعد نقلها من اليونانية مع صعوبة معانيها وخفاء أغراضها وقف حائلاً بين ابن المقفع وبين إتقان نقلها ، مع أنه لم يكن بها بصيراً ولا بدقائقها محيطاً . أو كان نقلها من اليونانية إلى العربية من غير واسطة — مع أن الذين نقلوها بعده على علم غزير بها وحذق وفير فيها — كان أوضح وأدنى إلى العقول والأفهام فجَنَحَ الناس إلى كتب غيره وأما كتبه فقد استأثر بها الاندثار والعفاء

عنايته بالحكم والأخلاق

ومن جملة هذا يظهر السبب في عنايته الرجل بالحكم والأخلاق فيما كتب بعد كيلة ودمنة ، إذ يظهر أن هذا الكتاب قد أثر في نفسه تأثيراً

حسناً ، فقال إلى محاكاته واحتذاء مثاله ، وهو مع ذلك بصير بالفارسية مليء بما فيها من حكم وآداب ، ولا يحسن غير ذلك من العلوم المعروفة عند العرب في ذلك العصر

فليس غريباً أن يقتصر في كتابته على هذا الفن . وحسبه أنه قد أدرك المنزلة الرفيعة والمكانة السامية فيه

أثر الآراء الاجتماعية في السياسة والعقائد

يخطئون حين يظنون أن قيام دولة وسقوط أخرى أثر لخاطر جاش به صدر فرد أو جماعة من الناس ، فإن هذه الدولة الناهضة وتلك الدولة العائرة إنما تقوم على أعناق الأمة كلها . فلا يمكن أن تسقط إلا إذا سئمتها الأمة ولا أن تنهض إلا إذا رغبت فيها وحرصت عليها . وإثارة الحب والبغض أو الرغبة والرغبة في نفوس الأمم أمر غير يسير ، بل يحتاج إلى عناء شديد وزمن بعيد ، والآراء الاجتماعية الناشئة عن دين أو فلسفة أو أدب هي التي توجده وتعمل فيه .

فليست الدولة العباسية أثراً لما جاش في نفوس بني هاشم من حب المجد والرفعة ، وإنما هي أثر لعمل كثير قامت به أمة الفرس وجدت فيه حتى استطاعت أن تغلب العرب على قلوبها وأهوائها مستعينة على ذلك بما كان لها من سابقة في المجد ونافلة من السلطان ، وبما شجر بين العرب أنفسهم من الخلاف والفرقة واللجاج في العصبية والادعاء للأباء والانتساب إلى الأجداد . وكما أن هذه الآراء الاجتماعية هي المؤثر الحقيقي في إنهاض

دولة وسقوط أخرى فهي أيضاً المؤثر الحقيقى فى نشوء فنون من العلم والأوان من رأى : ربما يكون بينها وبين ما سبقها من الآراء والفنون تفاوت غير قليل . فقد كانت الأمة الإسلامية فى أيام بنى أمية قائمة على آراء عربية خالصة بينها وبين الدين أشد اتصال . فلما نهض الفرس لإقامة الدولة العباسية راجت فى الأمة آراء جديدة لم يكن لها عهد بها ولا سابق معرفة . فكانت هذه الآراء فى أول أمرها غريبة مستنكرة يعدها عامة الناس ودعهاؤهم مخالفة للدين أو بعيدة منه . وربما كانت كذلك فى نفس الأمر

منشا الزندقة بين المسلمين

وشيوع هذه الآراء هو منشأ ما يسمى عند العرب بالزندقة . فإن الزنادقة نفر ظهر أمرهم وعرفت مقالاتهم فى أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية وهم يرمون بإضمار الكفر وإنكار وحدة الإله والميل إلى أن للعالم إلهين كما يقول المجوس ، ويتبع ذلك أنواع من الإباحة واستحلال المحرمات والخروج مما يآلف الناس فى آرائهم وعقائدهم . وكل هذه نحل فارسية أو راجعة إليها رُمى بها جماعة من نوابغ العرب والموالى . وربما سُمى المعتزلة^١ فى عرف بعض الغلاة زنادقة لشذوذ بعضهم فى المقالات عما تألفه الجماعة .

١ المعتزلة هم الفرقة (الإسلامية) التى اعتزلت أهل السنة وذهبت الى مبادئ خاصة اتخذوها من أصول الدين بالرأى والبرهان . ومن مبادئهم وآرائهم نفى رؤية الله بالابصار فى الآخرة وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها والله تعالى منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم . واتفقوا على أن المؤمن ان ارتكب كبيرة ومات قبل أن يتوب منها خلد فى النار ولهم فى ذلك براهين قلما يثبت أماءها تنقض

ديانة ابن المقفع

وكان ابن المقفع أحد الذين أصابتهم تهمة الزندقة وكثر عليه التشنيع فيها بعد موته . وقد انقسم الناس في أمره بين شيعة له وناع عليه . ونحن نذهب في أمره مذهباً وسطاً . فقد زعم المؤرخون أن ابن المقفع كان ينتحل في أول أمره نحلة أبيه : وهي المجوسية ، وكان اسمه (رَوَزَبَة ^١) فلما كانت دولة بني العباس واتصل بعيسى بن عليّ زعم له أنه اشتاق إلى الإسلام ويحب أن يسلم على يديه . فطلب إليه عيسى أن يغدو عليه بين القواد ورؤساء الأجناد ليكون إسلامه مشهوداً . قالوا : ثم حضر معه المائدة في المساء فجعل يأكل ويرزمزم ^٢ على عادة المجوس . فلما كلفه عيسى في ذلك قال : كرهت أن أيت على غير دين !! . ثم غدا عليه فأعلن إسلامه ، وتسمى (عبد الله) واكتنى (أبا محمد)

وزعموا كذلك أنه مرّ بيت نار بعد إسلامه فتمثل قول الأحوص ^٣
يا ليت عاتكة الذي أتعزل * حذر العدى وبه القواد موكل
إني لأمنحك الصدود وإني * قسماً إليك مع الصدود لأميل

١ وأما كنيته فأبو عمرو ٢ زعموا أن زمنة المجوس ان يتفاهموا بالفاظ تخرج من خياشيمهم فلا تكاد تفهم لها معنى ٣ الاحوص : لقب اشاعر أموى يسمى عبد الله ابن محمد نال من النسيب حظاً ومن البلاغة نصيباً كما أن شعره قد جرائه من الآلام غير قليل كثير التشبيب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة وغيرها وهو وإن لم يتقرب من الملوك ولا حظي عندهم فقد كان هيباً لدى أقرانه الشعراء كجرير والفرزدق محبوباً لدى أهل البصر بالشعر وتأثيره فظالما تغنى بشعره الفحول من المغنين وحسبه من ذلك أن يكثر (عبد) من الغناء به

هذا كل ما تحدّث به المؤرّخون في دين الرجل وعقيدته رويناه إلا أشياء
اغتمزها فيه الجاحظ والمرضى وليس لها في هذا مكان
ومما قدّمناه تستنبط أمور :

الأول — أن إسلام ابن المقفع لم يكن إلا بعد ظهور الدولة العباسية
وهي الدولة التي قامت بأعين الفرس وحدهم . فهم لذلك أطمع ما يكونون في
الاستئثار بسلطانها وحسن المكانة عند الخلفاء وأولى الشوكة فيها ، ولا سيما
إذا كان الرجل منهم ذكي القلب نبيل النفس له من العلم حظ ومن
السياسة نصيب

الثاني — أن إسلام ابن المقفع لم يكن في ظاهر أمره خالصاً لله . وإلا
فما قوله على المائة : كرهت أن أبيت على غير دين ؟! وهل كان من الجهل
بالإسلام والغفلة عنه بحيث يعلم أو يظن أن إسلام الرجل لا يصح عند الله
إلا إذا أعلنه إلى الناس ! وهلاً أشعر قلبه حلاوة الإيمان وطأ نينة اليقين ،
حتى إذا كان الغد أعلن ذلك وجهراً به ! وأى معنى لتمثله شعراً لأحوص حين
مرّ بيت النار ، إلا أن به على دينه القديم وجداً وإلى نجلته الأولى حينئذ
الثالث — أنهم يروون عنه محاورات بينه وبين أصحابه كمطيع بن إياس^١

١ . مطيع بن إياس من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية وليس من فحول الشعراء
في تلك ولكنه كان ظريفاً خليعاً حلوا العشرة مليح النادرة ماجناً متهماً في دينه بالزندقة
نادم الوليد بن يزيد والمنصور ومن بينهما وفيه يقول بعض معاصريه : (كنت ترى رجلاً
يصبر عليه العاقل إذا رآه ولا يصحبه أحد إلا افتضح به) وفيه يقال أيضاً (كان إذا
حضر الملك وإن غاب شاكك وإذا عرفت بصحبته فضحك) . وله مع يحيى بن زياد
وحامد كثير المجون وغزير الهجو والأخبار في ذلك . مستفيضة

ويحيى بن زياد^١ وحماد عجرد^٢ مملوءة بالمجون والافو الذين لا يصدران عن قلب خاشع أو نفس مطمئنة إلى الله . وكل هذا يدل على أن إسلام ابن المقفع لم يكن كإسلام الزهاد والنسك ، وإنما كان كإسلام بعض الأدباء والفلاسفة الذين يصطنعون رضى الحكام ويتقنون كره العامة بما ينتحلون من نخلة وما يُظهرون من دين . ولهم بعد ذلك ميل مع الهوى ومتابعة لظاهر الرأى واتقياد للشهوات : قلما يوافق نفساً سالحة أو قلباً خاشعاً

أثر الانتقال الاجتماعى فى العقائد

وليس شئ من ذلك بغريب . فإن عصرًا كالعصر العباسى قد راجت فيه آراء الفلاسفة ومقالات أهل البدع وأهواء أهل الكتاب كثيرًا ما يخرج نفرًا من المتعلمين يُظهرون الدين ويمجِّهون به ، ولكنهم لا يلتزمون التورع والخشوع ، والبرهان على ذلك فى عصرنا يسير . فقد كنا فى القرن الماضى وليس منّا إلا حريص على الأوضاع الدينية والشعائر الإسلامية يرى التقصير فيها نقصًا والانحراف عنها سبّة وعارًا . فلما اتصلت بيننا وبين الغرب الأسباب والأواصر وتقلنا عن الإفرتجة شيئًا من علومهم وفلسفتهم نشأ فينا نشء حرّ فى الدين (كما يقولون) لا يلتزمون أطواره ولا يحرصون على آدابه

١ يحيى بن زياد الحارثى فى المجون والزندقة والخلاعة هو ومطيع سواسية . مر مطيع بن اياس على حماد عجرد ويحيى بن زياد وهما فى الحديث فقال لهما : فيم تتعاهدان ؟ فقالا : فى قذف المحصنات . فقال : أوفى الارض محصنة فتقذفانها ٢ حماد عجرد هو كصاحبيه مطيع ويحيى غير أنه أشعر منهما . وقد عنى الادباء فى الدولة العباسية بمهاجته بشار بن برد كما عنوا فى الدولة الاموية بالمهاجرة بين جرير والفرزدق . وكانت له مكانة لاتنال حتى أسقطه بشار بما كان بينهما . ويذكرون وفاته سنة ١٦١

ولسنا في سبيل مثل هذا الرأي والشكake منه . وإنما نحن نقيم البرهان على أن عصر الانتقال من حال اجتماعية إلى حال أخرى تشتمل على أشياء يُنكرها الجمهور وتخالف ما له من عادات موروثة وآداب مستحسنة وعقائد محتفظ بها .

والويل ثم الويل لهذا الجمهور إذا كانت تلك الأشياء سيئة في نفسها مردولة في طبيعتها ، ولم يكن له من قوته الفطرية وحرصه على تراثه القديم عاصم يقيه شرّها ويردّ عنه عادية ما فيها من سوء

ولم يكن عصر بني العباس في أوّل أمره إلا عصر انتقال من حال إلى حال . فليس عجيباً أن يكثر فيه المخالفون للجمهور المنكرون لعاداته وآدابه وعقائده . إلا أن الدين لم يزل في ذلك العصر شديد السلطان حسن الأثر قادراً على مقاومة البدعة وردّ المحدثات ، فتغلب بعض التغلب على تلك الأمور السيئة التي نجمت من رواج الفلسفة الوثنية وآراء المجوس وأهواء الصابئة عند المسلمين . ومع أن مذاهب الزنادقة وأضرابهم كانت سيئة المغبة على المسلمين نجد من مؤرّخيهم وأهل العلم منهم من أنكر على أمير المؤمنين المهديّ شدّته على الزنادقة وأخذه فيها بالشبهة ، ورأى أن في الدين وقوته وفي سطوع نوره وجلاء برهانه ما يكفي لردّ بدع المبتدعة . وإذا فستطيع الحكم بأن ابن المقفع قد كان مسلماً في ظاهر أمره وربما بدّرت منه بوادر لا تدلّ على اطمئنان القلب واستشعاره خلاوة الإسلام

فأما الجرم بذات نفسه والإيقان بما انطوت عليه فليس لنا أن نخوض فيهما . بل ينبغي أن نتركهما لله الذي استأثر بعلمهما . وعلمنا أن نشير إلى

دليل آخر على أن الفرس إنما كانوا ينتحلون الإسلام ويظهرونه توسلاً إلى رضى الملوك وابتغاءً للمكانة لديهم ، وحرصاً على أن يستردّوا لأنفسهم عهد الجحد والسطوة ، ويعيدوا بهجة أيام الأكلاسة . بل كثيراً ما كانوا ينتحلون رأى الخليفة ويضمرون غيره : كما يتحدث المؤرخون عن البرامكة أنهم كانوا شيعة لعلى ، وهم على ذلك يظهرون الدين لبني العباس ويقولون بمقالة الكيسانية^١ ، وكذلك تحدّثوا عن الحسن بن سهل وأخيه الفضل وزيرى المأمون

فليس من البعيد أن يكون ابن المقفع قد سما إلى شىء من هذا حين آنس من نفسه النبل والفضل وحسن الفطنة وجودة الرأى ، ولم ير ما يقصّر به عن مناصاة كبار الرجال وسياسة الملك إلا دينه ، فأثر الإسلام ديناً ، واختاره إلى مبتغاه سبيلاً

شرعة أدبى الدولتين

ومما قدّمناه من الكلام عن ابن المقفع يظهر الفرق جلياً واضحاً بين أدبى الدولتين الأموية والعباسية . فقد كان الأوّل لا يُعنى بأكثر من رواية الشعر والخطب وما يتصل بهما من أيام العرب وأخبارها وأنسابها ،

١ الكيسانية : أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقيل تلميذ لاسيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السديدن الاسرار بحملتها من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت الى آخر ما عرف عنهم

ولا يحرص على غير الحِذْق في رواية الحديث والقرآن ومعركة التأويل والتفسير وما قال أهل العلم ، بينما الثاني يجمع من هذا كله مقداراً صالحاً ، ثم يضيف إليه ما أفادته الحضارة وأثَّره العمران من علم وما نقل عن غير العرب من حكمة وفلسفة . وكانت تظهر آثار العلمين في أقوال الرجلين ، فلست ترى في كلام العباسي نظماً ونثراً من السَّذاجة الفطرية والبداهة ما تراه في كلام الأموي . بل يظهر مثل هذا الفرق مع التأمل بين الأديب الأموي والأديب في صدر الإسلام

لذلك يكثر القول في ترجمة العباسي دون غيره ، لأن الأول قد عرّضت له شؤون ، واختلفت عليه أحوال لم ينل مثلها الثاني . فالزندقة لم تكن معروفة في أوائل العصر الأموي . وكذلك الترسُّل في الأساليب والتبسُّط في تركيب الكلام . وربما كان القول في العباسي الناشئ في أيام الرشيد والمأمون أضعاف القول فيمن عاش أيام السفَّاح والمنصور . فليست الترجمة للجاحظ والنظام كالترجمة لابن المقفع ومطيع بن إيس ، لأن الأولين كانا في زمن أكثر حضارة وعمراً من زمن الآخرين ، ولأن المقالات ومذاهب الفلاسفة كانت أكثر شيوعاً وانتشاراً في أيام الجاحظ والنظام منها في أيام ابن المقفع ومطيع . وكذلك الحال كلما اختلفت أعصر الأدياء علواً وهبوطاً ورقياً وسقوطاً

١ النظام كبير من معاصري الجاحظ واسمه إبراهيم بن سيار بن هاني طالع كبيراً من كتب الفلاسفة وخط كلامهم بكلام المعتزلة واتخذ له من ذلك مذهباً يعرف أهله بالنظامية

سيرة ابن المقفع

تحدثنا كتب ابن المقفع بأنه كان من أَرْضَى الناس أخلاقاً وأَكْرَمَهُم
 خللاً وأَحْسَنَهُم شِيمَةً وأَرْقَمَهُ شَمَائِلًا . فَإِنْ مِنْ تَصَدَّرَ عَنْهُ الْيَتِيمَةُ وَأَدَبُ
 الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ طَاهِرَ النَّفْسِ مِنَ الْغَىِّ بَرِيءَ الْقَلْبِ مِنَ
 الرِّجْسِ : قَدْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَابْتَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَلَمْ تُزَعْجْهُ صُرُوفُهَا
 وَلَمْ تُبْطِرْهُ نَعَاوُهَا . وَيَحْدُثُنَا التَّارِيخُ وَأَخْبَارُ الرِّوَاةِ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ
 مِنَ الدُّعَابَةِ وَالْمُجُونِ مَكَّنَهُ مِنْ صُحْبَةِ مُطِيعٍ وَيَحْيَى وَحَمَّادٍ . وَبَيْنَ هَذَيْنِ
 الْحَدِيثَيْنِ مِنَ التَّضَارِبِ وَالتَّنَاقُضِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ . غَيْرَ أَنَّ مِمَّا
 لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الْعِلْمَ وَحْدَهُ قَلَمًا يُوَثِّرُ فِي الْأَخْلَاقِ فَيُصْلِحُ مِنْهَا فَاسِدًا أَوْ
 يُقِيمُ مَنْكَادًا ، وَإِنَّمَا النَّسَافِعُ فِي ذَلِكَ هُوَ الدِّينَ الَّذِي يُشْعِرُ الْقَلْبَ خَشْيَةَ اللَّهِ
 وَالرَّهْبَةَ مِنْهُ ، وَيُحِبُّبُ إِلَيْهِ طَاعَتَهُ وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ . وَقَدْ كَانَ ابْنُ
 الْمُقَفَّعِ مِنَ الدِّينِ بِحَيْثُ قَدْ مَنَّا لَكَ . فَلَيْسَ بِدَعَا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْمُجُونِ حِظٌّ
 أَوْ أَنْ يَضْرِبَ فِي اللَّهْوِ بِسَهْمٍ

أَمَّا كُتُبُهُ الْمَمْلُوءَةُ بِالْحِكْمَةِ الْمَفْعَمَةُ بِالْأَدَبِ فَلَنْ تَعْدُوَ أَنْ تَكُونَ نَتِيجَةً
 مِنْ نَتَائِجِ عِلْمِهِ الْجَمِّ وَأَدَبِهِ الْغَضِّ وَفَضْلِهِ الْكَثِيرِ

حرصه على الوفاء

عَلَى أَنَّا مُلْزَمُونَ أَنْ نَعْتَرِفَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ بِحِظٍّ مَوْفُورٍ مِنْ فَضِيلَةِ الْوَفَاءِ
 لِلصَّدِيقِ وَالنَّصِيحِ لِلرَّئِيسِ . وَحَسَبُكَ بَرَهَانًا عَلَى ذَلِكَ مَوَاسَاتُهُ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ

الكاتب ، فقد أخفاه^١ في بيته سنة . فلما علم السلطان بمكانه منه بعث إليه الشرطه فأتوه فسألوه : أيكما عبد الحميد ؟ فقال كل : أنا هو ، ولج في الطلب حتى تبين السلطان طلبته فأنفذ فيه أمره .

مقتله

وحسبك كذلك برهاناً على ذلك حادثة كانت المؤدية بحياته والذاهبة بنفسه . فقد كان ابن المقفع متصلاً بعبد الله بن علي أيام خروجه على المنصور . فلما فُلت شبّاته واستأمن إلى المنصور كتب ابن المقفع عقد الأمان وشدد فيه وغلظ الأيمان على أمير المؤمنين : فطالق نساءه وأعتق عبيده وأحل الناس من بيعته إن نكث عهده لعبد الله أو غدر به . فأحفظ ذلك المنصور وأسرّها في نفسه لابن المقفع . قال المؤرخون : فأوحى المنصور إلى سفيان بن معاوية عامله على البصرة أن يقتله وكانت بينه وبين ابن المقفع إحن^٢ وقيل بل اغتاله سفيان فلما رفع أمره إلى المنصور رضيّه واحتال في إهدار دم ابن المقفع وصرف الثأرين عما كانوا يبتغون^٣

١ تلك إحدى الروايتين في موت عبد الحميد ٢ ذلك لأن ابن المقفع كان كثير الاستخفاف بسفيان وكان أنف سفيان كبيراً فإذا دخل عليه ابن المقفع استخف به وهزأ قائلاً : السلام عليكما . يعني بذلك سفيان وأنفه . قال له يوماً علي : سمع من كثير ساخرأ : ما تقول يا سفيان في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة . وقال سفيان يوماً : ماندمت على سكوت قط . فقال له ابن المقفع : الحرس زين لك فكيف تندم عليه . فلذلك وأمثاله كان يقول سفيان : والله لأقطعنه أرباً أرباً وعينه تنظر ٣ اغتاله سفيان سرّاً في داره بعد ثلاثين من عمره وسأل عنه سليمان وعيسى فتيل : انه دخل دار سفيان سايماً ولم يخرج ، فخاصمه إلى المنصور وأحضراه بين يديه مقيداً وحضر الشهود الذين شاهدوه دخل داره ولم يخرج . فأقاموا الشهادة . فقال لهم

هذه جملة من حياة ابن المقفع مملوءة بالمعبرة والموعظة تحدث بجلايل
خطره ونباهة شأنه وتنبئ بأن حياة الرجل العظيم مهما يكثر فيها الخير لا تخلو
من هفوة أو كدوة لأنها لم تعد أن تكون حياة إنسان ضعيف لا يملك لنفسه
العصمة ولا يقدر لها من الخير والشر على كثير أو قليل ما

محمد حسن نائل المرصفي

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩١٢ اثنتي عشرة وتسعمائة وألف



صور : أنا أنظر في هذا الامر . ثم قال لهم : رأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج
ابن المقفع من هذا البيت (وأشار الى باب خلقه) وخطبكم ما تروني صانعاً بكم ؟
أقتلكم بسفيان ؟ فرجعوا كلهم من الشهادة وأضرب سليمان عن ذكره وعلم أنه قتل بلمه

باب مقدمة الكتاب

قدّمها بهنود بن سحوان ، ويعرف بعلي بن الشاه الفارسي . ذكر فيها السبب الذي من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندي رأس البراهمة^١ لدبشليم ملك الهند كتابه الذي سماه كلىلة ودمنة ، وجعله على السن البهائم والذئير ، صيانة لفرضه فيه من العوام ، وضناً بما ضمنه عن الطغام^٢ ، وتنزيهاً للحكمة وفنونها ، ومحاسنها وعيونها^٣ . إذ هي للفيلسوف مندوحة^٤ ، ولخاطره مفتوحة ولحبيها تثقيف^٥ ، ولطالبيها تشریف . وذكر السبب الذي من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباد^٦ بن قيروز ملك الفرس برزويه رأس الأطباء إلى بلاد الهند ، لأجل كتاب كلىلة ودمنة ، وما كان من تلطف برزويه عند دخوله إلى الهند ، حتى حضر إليه الرجل الذي استنسخه له سرّاً من خزانة الملك ليلاً ، مع ما وجد من كتب علماء الهند . وقد ذكر الذي كان من بعثة برزويه إلى مملكة الهند لأجل نقل هذا الكتاب . وذكر فيها ما يلزم مطالعه من إتقان قراءته ، والقيام بدراسته ، والنظر إلى باطن كلامه وأنه إن لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه . وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهراً . وقد ذكر السبب الذي من أجله وضع برزويه^٧ باباً مفرداً يسمى باب برزويه المتطبّب ، وذكر فيه شأن برزويه من أوّل أمره

١ البراهمة : قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل وسيأتي ما هو أوضح في أوّل باب الاسد والثور ٢ الضن بالفتح والكسر : البخل . والطغام بالفتح : الاوغاد والارذال الواحد فيه والجمع سواء ٣ عيونها : خيارها ٤ المندوحة والمنتدح : السعة والفسحة ٥ التثقيف : التقويم والتهديب ٦ هو أبو كسرى ٧ وزير كسرى

وَأَن مولده ، إلى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة ، واعتبرا في أقسامها .
وجعله قبل باب الأسد والثور الذي هو أول الكتاب .

قال علي بن الشاه الفارسي : كان السبب الذي من أجله وضع يديا
الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كيلة ودمنة أن الإسكندر ذا القرنين
الرومي ، لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك
المشرق من الفرس وغيرهم . فلم يزل يحارب من نازعه^٢ ، ويواقع من واقعه ،
ويسالم من وادعه ، من ملوك الفرس وهم السابقة الأولى ، حتى ظهر عليهم^٣
وقهر من ناواه^٤ ، وتغلب على من حاربه ، ففترقوا طرائق^٥ ، وتمزقوا حزائق^٦ ،
فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين ، فبدأ في طريقه بملك الهند ليدعوه إلى
طاعته ، والدخول في مملكته وولايته . وكان على الهند في ذلك الزمان ملك
ذو سداوة وباس ، وقوة ومراس^٧ ، يقال له فور^٨ . فلما بلغه إقبال ذي القرنين
نحوه تأهب لمحاربتة ، واستعد لجاذبتة^٩ ، وضم إليه أطرافه^٩ ، وجد في
التألب^{١٠} عليه ، وجمع له العدة^{١١} ، في أسرع مدة ، من الفيلة المعدة للحروب^{١٢}
والسباع المضرة بالوثوب^{١٣} ، مع الخيول المشرجة ، والسيوف القواطع ،
والحراب^{١٤} اللوامع . فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي ، وبلغه ما قد

١ اعتبر : نظر . والحكمة هي ما يبحث فيه عن حقائق الاشياء على ما هي في الوجود
بقدر الطاقة البشرية ٢ خاصة ٣ غلبهم ٤ عاداه ٥ طرائق :
جمع طريقة بمعنى رجال أشرف أو مطلق فرقة ٦ حزائق جمع حزيق وهي كالخزقة
القطعة من كل شيء ٧ المراس : الشدة ٨ يريد استعد لمنازعتة وأصل المجاذبة
التنازع في الجذب ٩ يريد من الاطراف ما تفرق من قواه ١٠ التألب : التجمع
١١ العدة بالضم : ما يعد من مال أو سلاح ١٢ الفيلة كمنية جمع فيل
١٣ من قولهم ضراه به أغراه ١٤ جمع حرب

أعدّ له من الخيل التي كأنها قطع الليل^١، مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا في الأقاليم، تخوّف ذو القرنين من تقصير يقع به إن عجل المبارزة. وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكيد، مع حسن تدبير وتجربة. فرأى أعمال الحيلة والتمهل، واحتفر خندقاً على عسكره^٢، وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لأمره، وكيف ينبغي له أن يقدم على الإيقاع به^٣. فاستدعى بالمنجمين، وأمرهم بالاختيار ليوم موافق، تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه. فاشتغلوا بذلك



ذو القرنين بين المنجمين يخارون له الوقت الصالح

وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة إلا أخذ الصناع المشهورين من صناعاتها بالحنق من كل صنف. فأنتجت له همته، ودأته فطنته، أن يقدم إلى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلاً من نحاس مجوفة، عليها تماثيل من

١ القطع : جزء من الليل يريد منها أن الجيوش لكثرتها وكماقتها تشبه ظلام الليل

٢ الحندق : حفر حول أسوار المدن (معرب) ٣ الاسراع

الرجال على بكر تجرى ، إذا دُنِعت مرّت سِراعا . وأمر إذا فرغوا منها أن
تُحشى أجوافها باللفظ والكبريت ، وتلبس وتقدم أمام الصف في القلب .
ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران ، فإن الفيلة إذا لفت خراطيمها
على الفرسان وهي حامية وات هاربة . وأوعز إلى الصناع بالتشمير والانكماش^١
والفراغ منها . فجدّوا في ذلك وعجلوا . وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين .
فأعاد ذو القرنين رسله إلى فور بما يدعوّه إليه من طاعته ، والإذعان لدولته^٢
فأجاب جواب مصرّ على مخالفته ، مقيم على محاربه . فلما رأى ذو القرنين



مينة الاسكندر وهي بحيل الخاوية

جيش فور السندي

عزيمته سار إليه بأهبطه^٣ ، وقدم فور الفيلة أمامه . ودفعت الرجال تلك الخيل
وتماثيل الفرسان . فأقبلت الفيلة نحوها ، ولفّت خراطيمها عليها

١ الاسراع ٢ الانقياد والخضوع ٣ الأهبة : العدة التي اعتدها للملاقاة مثله

فلما أحسَّت بالحرارة ألقت من كان عليها ، وداستهم تحت أرجلها ،
ومضت مهزومة هاربة ، لا تلوى على شيء^١ ، ولا تمرُّ بأحد إلا وطئته .
وتقطع فوراً^٢ وجمعه ، وتبعهم أصحاب الإسكندر ، وأثنوا^٣ فيهم الجراح .
وصاح الإسكندر : يا ملك الهند ابرز إلينا ، وأبق على عدتك وعيالك ،
ولا تحملهم على الفناء . فإنه ليس من المروءة أن يرمى الملك بعدته في المهالك
المتلفة ، والمواضع المبحجة^٤ ، بل يقيمهم بماله ، ويدفع عنهم بنفسه ، فابرز إلى
ودع الجند ، فأينا قهر صاحبه فهو الأسعد . فلما سمع فور من ذي القرنين
ذلك الكلام ، دعت نفسه لملاقاته طمعاً فيه ، وظنَّ ذلك فرصة



ذو القرنين وفور السندي يتصارعان على ظهري فرسيهما
فبرز إليه الإسكندر ، فتجاولا على ظهري فرسيهما ساعات من النهار

١ أى لا تقف ولا تنظر الى شيء ٢ تشت وتفرق ٣ أكثروا من الاثخان
في الشيء وهو المبالغة فيه والاكثر ٤ أنجحف الدهر بالناس : استأصلهم

ليس يلتقى أحدهما من صاحبه فُرصة ، ولم يزالا يتعاركان . فلما أعيا^١ الإسكندر أمره ، ولم يجد له فرصة ولا حيلة ، أوقع ذو القرنين في عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الأرض والعساكر ، فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكيدة في عسكره ، فصاح به ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه ، وتبعه بأخرى ، فوقع على الأرض . فلما رأت الهند ما نزل بهم ، وما صار إليه ملكهم ، حملوا على الإسكندر ، فقاتلوه قتالا أحبوا معه الموت ، فوعدهم من نفسه الإحسان ، ومنحه الله أكنافهم^٢ ، فاستولى على بلادهم ، وملك عليهم رجلا من ثقاته ، وأقام بالهند حتى استوثق^٣ له ما أراد من أمرهم ، واتفاق كلمتهم . ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ، ومضى متوجهاً نحو ما قصده . فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه ، تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خافه عليهم ، وقالوا : ليس يصلح للسياسة ، ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ، ولا من أهل بيوتهم ، فإنه لا يزال يستذلهم ويستقلهم . واجتمعوا يملكون عليهم رجلا من أولاد ملوكهم ، فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم ، وخلصوا الرجل الذي كان خافه عليهم الإسكندر . فلما استوثق له الأمر ، واستقر له الملك ، طغى وبغى ، وتجبر وتكبر ، وجعل يغزو من حوله من الملوك ، وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا ، فهابته الرعية . فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة ، عبت بالرعية^٤ ، واستصغر أمرهم ، وأساء

١ أعيا : أعجز ٢ يريد مكنهم ٣ اجتمع ٤ استوثق له الأمر : أمكنه
٥ يريد أفسد أحوال الرعية

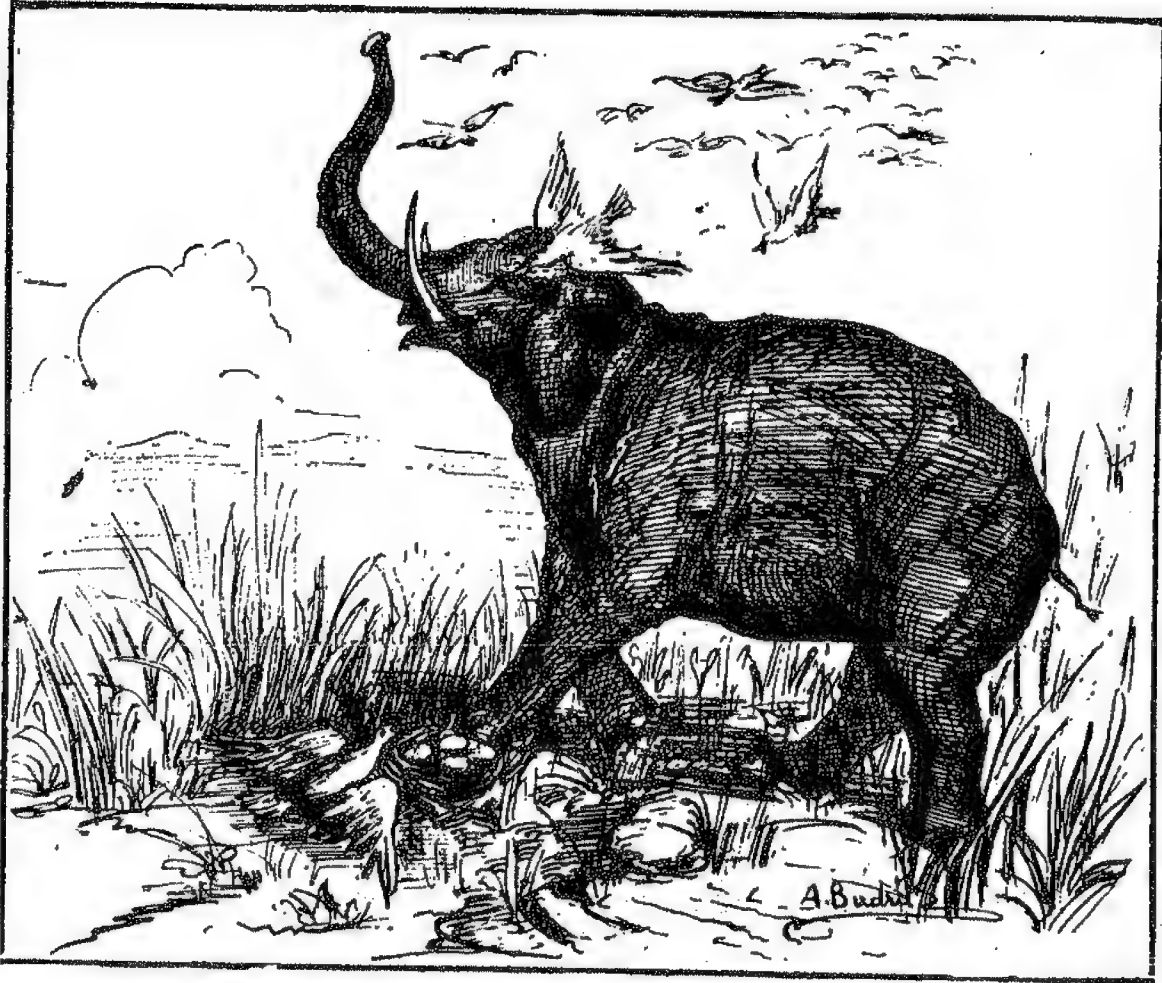
السيرة فيهم ، وكان لا يرتقى حاله إلا ازداد عتوًّا^١ . فمكث على ذلك برهة من دهره^٢ . وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ، ويرجع في الأمور إلى قوله ، يقال له بَيِّدَ بَا . فلما رأى المملك وما هو عليه من الظلم للرعية ، فكر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ، ورده إلى العدل والإنصاف . فجمع لذلك تلاميذه ، وقال : أتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه ؟ إعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم ، وما هو عليه من الخروج عن العدل ، ولزوم الشر ، ورداءة السيرة ، وسوء العشرة مع الرعية . ونحن ما نروض أنفسنا^٣ لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا انردهم إلى فعل الخير ، ولزوم العدل . ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا ، وبلوغ المحذورات إلينا ، إذ كنا في أنفس الجهال أجهل منهم ، وفي العيون عندهم أقل منهم . وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن ، ولا يسعنا في حركتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة . ولا يمكننا مجاهدته بغير أسنتنا . ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا لم تنهنا لنا معاندته . وإن أحسن منا مخالفته وإنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا^٤ . وقد تعلمون إن مجاورة السبع والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة^٥ العيش ، لغدر بالنفس^٦ ، وإن الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى

١ العتو : الاستكبار وخروج الإنسان عن الحد ٢ البرهة : الزمن الطويل
وربما قيل فيها ما تفهمه العامة من أنها الوقت القصير ٣ من قولهم رضت الدابة أروضها : مهدتها وذللتها ويريد : نوطن أنفسنا ٤ هلاكنا ٥ طيبه
٦ اللام في لغدر تسمى لام التعليق ولذا وجب كسر همزة ان السابقة وتعلمون
حيث لم تعمل إلا في المحل لتعلقها عن العمل

ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور ، ويدفع الخوف
لاستجلاب المحبوب . ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول :
إن مجاور رجال السوء ومصاحبهم كراكب البحر ، إن سلم من الفرق لم يسلم
من المخاوف ، فإذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ، ومصادر المخوفات ،
عدّ من الحمير التي لا نفس لها ، لأن الحيوانات البهيمية قد خصت في
طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع ، وتتوقى المكروه ، وذلك أنسألم نرها
تورد أنفسها مورداً فيه هلكتها ، وأنها متى أشرفت على مورد مهلك لها
مالت بطبائعها التي رُكبت فيها — شحاً بأنفسها وصيانة لها — إلى النفور
والتباعد عنه . وقد جمعتم لهذا الأمر لأنكم أشرقتي ومكان سرى ،
وموضع معرفتي ، وبكم أعتضد ، وعليكم أعتمد . فإن الوحيد في نفسه ،
والمنفرد برأيه حيث كان ، فهو ضائع ، ولا ناصر له . على أن العاقل قد يبلغ
بحيلته ما لا يبلغ بالخيال والجنود . والمثل في ذلك أن قُبْرَةَ^١ اتخذت
أدحية^٢ وباضت فيها على طريق الفيل ، وكان للفيل مشرب يتردد إليه ، فمر
ذات يوم على عادته ، ليرد مورده ، فوطئ عَشَّ القُبْرَةِ وهشم بيضها ، وقتل
فراخها . فلما نظرت ما ساءها ، علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره
فطار فوقعت على رأسه باكية . ثم قالت : أيها الملك لم هشمت بيضى ؟
وقتل فراخي وأنا في جوارك ؟ أفعلت هذا استصغاراً منك لأمرى ،

١ القبرة على وزان سكرة : نوع من الصافير ٢ الأدحية بضم الهمزة
وتكسر : مبيض النعامة في الرمل قال الجوهري : لأنها تدحوها برجلها أى تفحصها ثم
أطلقت هنا على مبيض القبرة

واحتقاراً لشأني؟ قال: هو الذي حماني على ذلك . فتركته وانصرفت إلى
جماعة الطير، فشكت إليها ما نالها من الفيل . ثقلن لها : وما عسى أن نبلغ
منه ، ونحن طيور؟ فقالت للعقاق^١ والغربان : أحب منكن أن تصرن معي
إليه فتفقأن عينيه ، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى

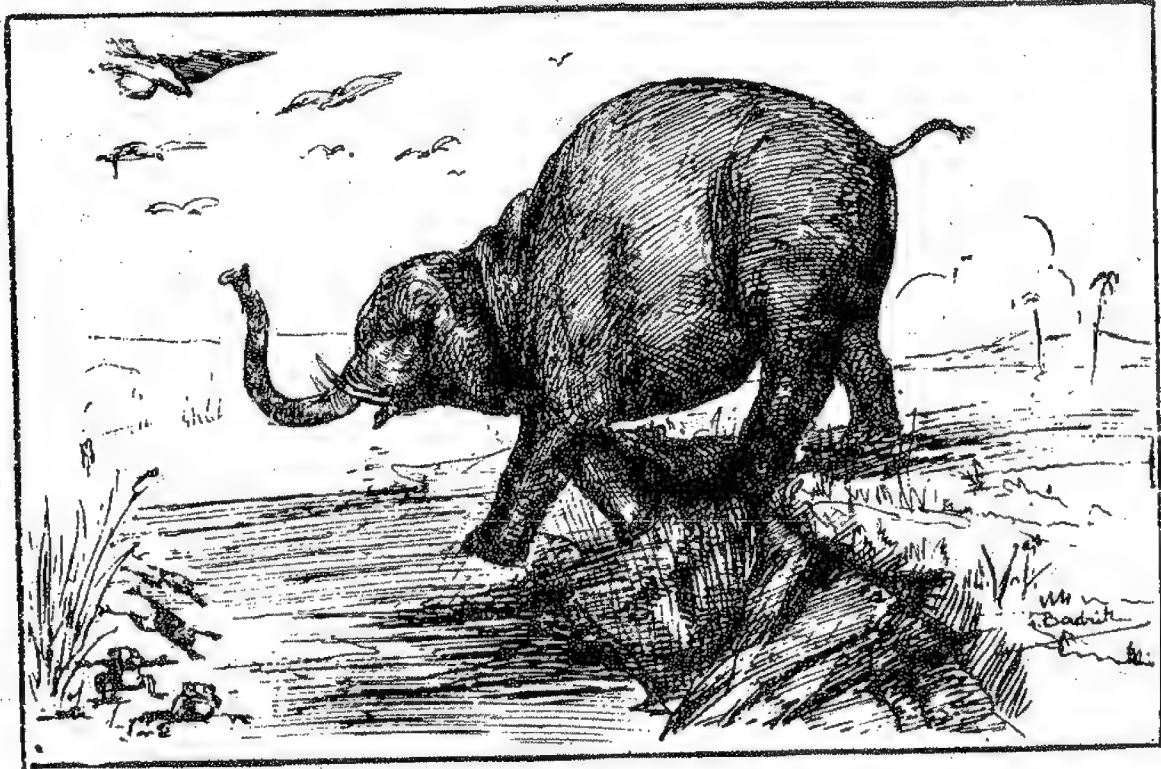


الفيل وقتما جمع على الطير نقر عينه

فأجبتها إلى ذلك ، وذهبن إلى الفيل ، ولم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن
بهما ، وبقِيَ لا يهتدي إلى طريق مطاعه ومشر به ، إلا ما يقمُّه من موضعه^٢
فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة . فشكت إليها ما نالها

١ جمع عقاق وهو طير أبيض بسواد وياض ٢ قم الشيء كنصر : كنسه ،
وقت الشاة وغيرها : أكلت ما على الأرض

من الفيل . قالت الضفادع : ما حيلتنا نحن في عظم الفيل ؟ وأين نبلغ منه ؟
قالت : أحب منكن أن تصرن معي إلى وَهْدَةٍ^١ قريبة منه فتَنَقِّقَنَّ فيها
وتَضْجِجَنَّ ، فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهِوِي فيها . فأَجْبَنَهَا
إلى ذلك ، واجتمعن في الهاوية . فسمع الفيل تقيق الضفادع وقد أجهده
العطش ، فأقبل حتى وقع في الوهْدَةِ فارتطم^٢ فيها



الفيل وقد ارتطم في الوهْدَةِ

وجاءت القُبْرَةُ تُرْفِفُ على رأسه . وقالت : أيها الطاغى المغترّ بقوّته ،
المحتقر لأمرى ، كيف رأيت عِظَمَ حيلتي مع صِغَرِ جُثِّي عند عِظَمِ جُثِّكَ
وصِغَرِ هِمَّتِكَ ؟

فليُشْرِكْ واحد منكم بما يَسْنَحُ له مِنَ الرَّأْيِ . قالوا بأجمعهم : أيها
الفيلسوف الفاضل ، والحكيم العادل ، أنت المقدّم فينا ، والفاضل علينا .

١ الوهْدَةُ : المنخفض من الارض ومثلها الهوة ٢ وقع

وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك ، وفهمنا عند فهمك ؟ غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح تغرير^١ ، والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه ، والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجرّبه على نفسه ، فليس الذنب للحية . ومن دخل على الأسد في غابته لم يأمن وثبته . وهذا المالك لم تفرّعه النوائب ، ولم تؤدّبه التجارب ، ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته ، وإنا نخاف عليك من سورته^٢ ومبادرته بسوء إذا لقيته بغير ما يحب . فقال الحكيم بيدبا : لعمري لقد قلمت فأحسنتم . لكنّ ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة . والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ، ولا ينتفع به في العامة . وقد صحّت عزيمتي على لقاء دّبشليم . وقد سمعت مقالكم ، وتبين لي نصيحتكم والإشفاق علىّ وعليكم . غير أنني قد رأيت رأياً ، وعزمت عزماً ، وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي إيا . فإذا اتّصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا إليّ .

وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة

ثم إن بيدبا اختار يوماً للدخول على الملك ، حتى إذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوّحه^٣ ، وهي لباس البراهمة ، وقصد باب الملك ، وسأل عن صاحب إذنه ، وأرشد إليه ، وسلم عليه ، وأعلمه ، وقال له : إني رجل قصدت الملك في نصيحة . فدخل الأذن على الملك في وقته ، وقال : بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا : ذكر أن معه للملك نصيحة . فأذن له .

١ يزيد الألقاء بالنفس إلى التهلكة ٢ سطوته واعتدائه ٣ جمع مسح وهو الكساء من الشعر

فدخل ووقف بين يديه ، وكفراً وسجدة له ، واستوى قائماً ، وسكت . وفكر
 دبشليم في سكوته وقال : إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرين : إما لالتماس شيء
 يصلح به حاله ، أو لأمر لحقه فلم يكن له به طاقة . ثم قال : إن كان للملوك
 فضل في مملكتها ، فإن للحكماء فضلاً في حكمتها أعظم ، لأن الحكماء أغنياء
 عن الملوك بالعلم ، وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال . وقد وجدت العلم
 والحياء إثنين متآلفين لا يفترقان ، متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر ،
 كملتصافين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفساً بالبقاء بعده تأسفاً
 عليه . ومن لم يستعني من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ،
 ويصنهم عن المواقف الواهنة^٢ ، وينزهمهم عن المواطن الرذلة ، كان ممن حرم
 عقله ، وخسر دنياه ، وظلم الحكماء حقوقهم ، وعد من الجهال . ثم رفع رأسه
 إلى بيدبا ، وقال له : نظرت إليك يا بيدبا ساكتاً لا تعرض حاجتك ، ولا
 تذكر بُغيتك^٣ . فقلت : إن الذي أسكته هيبة ساورته^٤ ، أو حيرة أدركته .
 وتأملت عند ذلك من طول وقوفك ، وقلت : لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على
 غير عادة^٥ ، إلا لأمر حرره لك لذلك ، فإنه من أفضل أهل زمانه ، فهلاً نسأله
 عن سبب دخوله ؟ فإن يكن من ضيم ناله ، كنت أولى من أخذ بيده ،
 وسارع في تشريفه ، وتقدم في البلوغ إلى مراده وإعرازه . وإن كانت بُغيته
 غرضاً من أغراض الدنيا أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب . وإن يكن من

١ عظم . والكفر من معانيه تعظيم الفارسي للملك والتكفير من معانيه إيماء الذي برأسه

٢ الواهنة : الضعيفة والمراد المنحطة ٣ هي الطلبة ٤ غلبته وأخذت برأسه

٥ يحضر إلينا

أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك أن يبدلوه من أنفسهم ولا ينقادوا إليه ، نظرت في قدر عقوبته . على أن مثله لم يكن ليحتريء على إدخال نفسه في باب مسألة الملوك . وإن كان شيئاً من أمور الرعية يقصد فيه أني أصرف عنايتي إليهم نظرت ما هو ، فإن الحكماء لا يشيرون إلا بالخير ، والجهال يشيرون بضده . وأنا قد فسحت^١ لك في الكلام . فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرخ عنه روعه^٢ ، وسرّى عنه ما كان وقع في نفسه من خوفه^٣ ، وكفر له وسجد ، ثم قام بين يديه ، وقال : أوّل ما أقول : أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد ، ودوام ملكه على الأمد ، لأن الملك قد منحني في مقامى هذا محلاً جعله شرفاً لي على جميع من بعدى من العلماء ، وذكرًا باقياً على الدهر عند الحكماء . ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشراً به ، فرحاً بما بدا له منه ، وقال : قد عطف الملك على بكرمه وإحسانه . والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك ، وحملني على المخاطرة لكلامه والإقدام عليه ، نصيحة اختصصته بها دون غيره . وسيعلم من يتصل به ذلك أني لم أقصر عن غاية فيما يجب للمولى على الحكماء . فإن فسح في كلامي ووعاه عني فهو حقيقتي بذلك وما يراه ، وإن هو ألقاه فقد بالغت ما يلزمني ، وخرجت من لوم يلاحتني . قال الملك : يا بيدبا تكلم كيف شئت ، فإنني مُصغٍ إليك ، ومقبل عليك ، وسامع منك ، حتى أستفرغ ما عندك إلى آخره ، وأجازيك على ذلك بما أنت أهله . قال بيدبا : إني وجدت الأمور التي اختص بها

١ فسحت لك : وسعت من قولهم فسح له المكان فرج ووسع ٢ ذهب خوفه

٣ زال ما كان قد نزل به من الخوف

الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء ، وهي جماع ما في العالم^١ : وهي الحكمة ، والعفة^٢ ، والعقل ، والعدل^٣ . والعلم^٤ والأدب^٥ والروية^٦ داخلية في باب الحكمة . والحلم^٧ والصبر^٨ والوقار^٩ داخلية في باب العقل . والحياء^{١٠} والكرم^{١١} والصيانة^{١٢} والأئفة^{١٣} داخلية في باب العفة . والصدق^{١٤} والإحسان^{١٥} والمراقبة وحسن الخلق داخلية في باب العدل . وهذه هي المحاسن ، وأضدادها هي المساوي . فمتى كملت هذه في واحد^{١٦} ، لم تُخرجه الزيادة في نعمة إلى سوء الحظ من دنياه ، ولا إلى نقص في عقابه^{١٧} ، ولم يتأسف على ما لم يُعِن التوفيق ببقائه ، ولم يُحزنه ما تجرى به المقادير في ملكه ، ولم يدهش عند مكروه .

- ١ جماع الشيء بالكسر : جمعه وأما الجماع على وزان رمان فهو اختلاط الناس من قبائل شتى
- ٢ العفة : هي فضيلة الحس الشهواني ، وتظهر في الإنسان إذا صرف شهواته بحسب الرأي أعنى أن يوانق التمييز الصحيح فيصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته . والعفة وسط بين رذيلتين : هما الشره وهو الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي : والجود في الشهوات وهو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة ٣ العدل : مصدر بمعنى العدالة ، وهي فضيلة للنفس يختار بها صاحبها الانصاف من نفسه على نفسه أولاً ثم الانصاف والانتصاف من غيره ٤ العلم عند الحكماء : حصول صورة الشيء في العقل ٥ الأدب : معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ
- ٦ اعمال الفكر والتدبير ٧ الحلم : هو الطمأنينة عند سورة الغضب
- ٨ الصبر : هو مقاومة النفس للهوى حتى لا تنقاد للشكوى ٩ الوقار : التأنى في التوجه نحو المطالب
- ١٠ الحياء : انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من الذم والسب الصادق ١١ الكرم : انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي ١٢ الصيانة : حفظ النفس من مثل المعاييب ١٣ الأئفة : الترفع عن الدنيا ١٤ الصدق هنا : قول الحق في مواطن الهلاك ١٥ الاحسان هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة ١٦ كملت من باب نصر أنصح منها من باب كرم وأما أردأ لغاتها أن تكون من باب علم ١٧ آخرته

فالحكمة كنز لا يفنى على إنفاق ، وذخيرة لا يضرب لها بالإملاق^١ . وحيلة لا تخلق جديتها^٢ ، ولذة لا تصرم مدتها . ولئن كنت عند مقامي بين يدي الملك أمسكت عن ابتدائه بالكلام ، فإن ذلك لم يكن مني إلا لهيبته والإجلال له . ولعمري إن الملوك لأهل أن يُهابوا^٣ ، لا سيما من هو في المنزلة التي جلّ فيها الملك عن منازل الملوك قبله . وقد قالت العلماء : الزم السكوت فإن فيه سلامة ، وتجنب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة . وحكي : أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك . فقال لهم : ليتكلم كل بكلام يكون أصلاً للأدب . فقال أحدهم : أفضل خلة العلم السكوت^٤ . وقال الثاني : إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله . وقال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه . وقال الرابع : أرواح الأمور على الإنسان التسليم للمقادير . واجتمع في بعض الزمان ملوك الأقاليم : من الصين والهند وفارس والروم ، وقالوا : ينبغي أن يتكلم كل واحد منا بكلمة تدوّن عنه على غابر الدهر^٥ . فقال ملك الصين : أنا على

١ الإملاق مصدر أملق الرجل : أنفق ماله حتى افتقر ، وأصله من الملق بالتسكين وهو التلين لأن الفقر يذل الإنسان ويلينه ، ويريد ذخيرة لا تنفك ٢ الجدة بكسر فتشديد : ضد البلى . تخلق : تبلى ، يعني حلة لا تزال على بهجة الجديد . ٣ اللام في لعمري لتأكيد الابتداء وعمري مبتدأ والخبر محذوف وجوباً تقديره (قسمي أو ما أقسم به) ومعنى العمر بالفتح : البقاء فإذا قلت لعمر الله مثلاً كان المراد : أحلف بدوام الله وبقائه ، وفيها لغة أخرى وهي ابدال لام التوكيد راء مفتوحة أيضاً ، وهنا يجوز كسر همزة ان وفتحها لأنه لم يصرح بفعل القسم ٤ الخلة هنا بالفتح ومعناها الخصلة ، وأما الخلة بالكسر فهي نوع من النبات وأما بالضم فهي الألفة والمصادقة ٥ يريد أكثر الأشياء راحة ٦ الغابر : الماضي ، والحاضر ضده

ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قلت . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم
بالكلمة ، فإن كانت له لم تنفعه ، وإن كانت عليه أوبقتّه^١ . وقال ملك فارس
أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلّم بها ملكتها . وقال ملك
الروم : ما ندمت على ما لم أتكلّم به قطّ ، ولقد ندمت على ما تكلمت به
كثيراً . والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر^٢ الذي لا يرجع منه إلى
نفع . وأفضل^٣ ما استظلّ به الإنسان لسانه . غير أن الملك أطال الله مدّته
لما فسّح لي في الكلام وأوسع لي فيه ، كان أولى ما أبدأ به من الأمور التي
هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له دُوني ، وأن أختصّه بالفائدة قبلي . على
أن العقبى هي ما أقصِد في كلامي له ، وإنما نفعه وشرفه راجع إليه ، وأكون
أنا قد قضيت فرضاً وجب عليّ فأقول :

أيها الملك إنك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا
الملك قبلك ، وشيّدوا دُونك ، وبنّوا القلاع والحُصون ، ومهدّوا البلاد ،
وقادوا الجيوش ، واستجاشوا العُدّة^٤ ، وطالت لهم المدّة ، واستكثروا من
السلاح والكرّاع^٥ ، وعاشوا الدُّهور ، في الغبطة والسُرور^٦ . فلم يمنعهم ذلك
من اكتساب جميل الذِّكر ، ولا قطعهم من اغتنام الشكر ، ولا استعمال
الإحسان إلى من خولّوه^٧ ، والإرفاق بمن ولّوه ، وحسن السيرة فيما تقلّدوه^٨ .

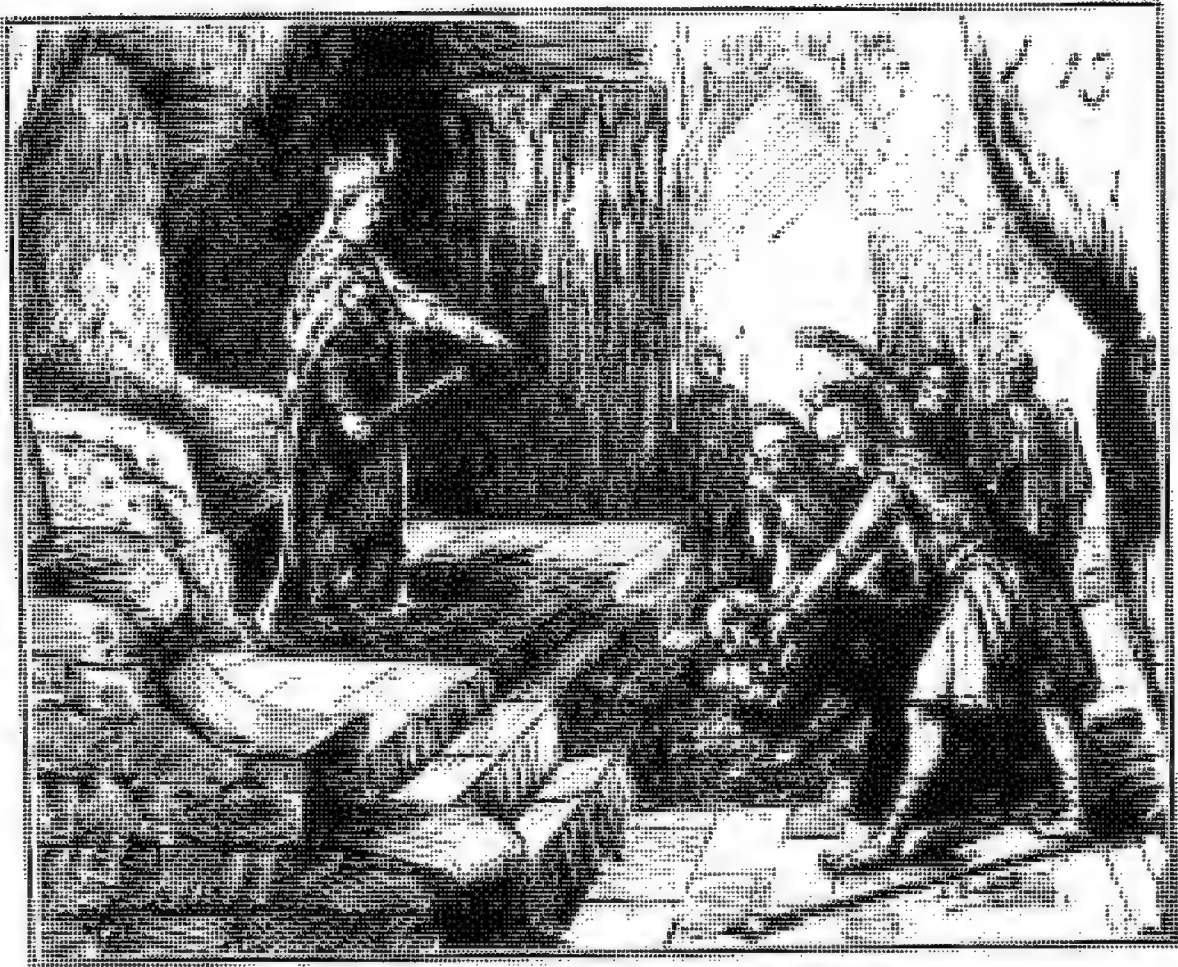
١ أهلكته ٢ الهذيان ٣ وفي نسخة وأعضل ما استضل به الإنسان لسانه
٤ يقال استجاش الجيش : جمعه واستجاش قلانا : استشاره وطلب منه جيشاً
ومدداً يتقوى به ٥ الكراع بالضم اسم يجمع الخيل وقيل الخيل والسلاح
٦ الغبطة بالكسر : وهي هنا حسن الحال ٧ من قولهم خوله الله الشيء
تخويلاً : ملكه إياه

مع عظم ما كانوا عليه من غيرة الملك^١ وسكرة الاقتدار . وإنك أيها الملك — السعيد جدّه ، الطالع كوكب سعيده — قد ورثت أرضهم وديارهم ، وأموالهم ومنازلهم التي كانت عُدَّتْهم . فأقمت فيما خوّلت من الملك ، وورثت من الأموال والجنود ، فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك . بل طغيت وبلغيت ، وعتوت وعلوت على الرعية ، وأسأت السيرة ، وعظمت منك البلية . وكان الأولى والأشبه بك^٢ أن تسلك سبيل أسلافك ، وتتبع آثار الملوك قبلك . وتتقو^٣ محاسن ما أبقوه لك ، وتقلع^٤ عما عارّه لازم لك ، وشينه واقع بك ، وتحسن النظر برعيتك ، وتسُنَّ لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجليل نخره . ويكون ذلك أبقى على السلامة ، وأدوم على الاستقامة فإن الجاهل المغتر من استعمل في أموره البطر والأمنية ، والحازم اللبيب من ساس الملك بالمدارة والرفق . فانظر أيها الملك ما ألقى إليك ، ولا يثقلن ذلك عليك . فلم أتكلّم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به ، ولا التماس معروف تكافئني فيه . ولكني أتيتك ناصحاً مشفقاً عليك

فلما فرغ بيدياً من مقالته وقضى مناصحته ، أوغر صدر الملك^٥ ، فأغلظ له في الجواب استصغاراً لأمره . وقال : لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحداً من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ، ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شأنك ، وضعف مُنتِكَ^٦ ، وعجز قوّتك ؟ ولقد أكرّث

١ الغرة بالكسر : اسم من الاغترار ٢ من أشبه الولد أباه : اذا شاركه في صفة من صفاته ٣ تتبع ٤ تكف وتنزع ٥ أوغر قلبه : ملأه غيظاً ٦ قوّتك

إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ ، وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ ، فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ حَدَّكَ ، وَمَا أَجْدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ التَّنْكِيلِ بِكَ^١ ، فَذَلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاءَ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ مَا رَمَتْ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ ، إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصَلَّبَ



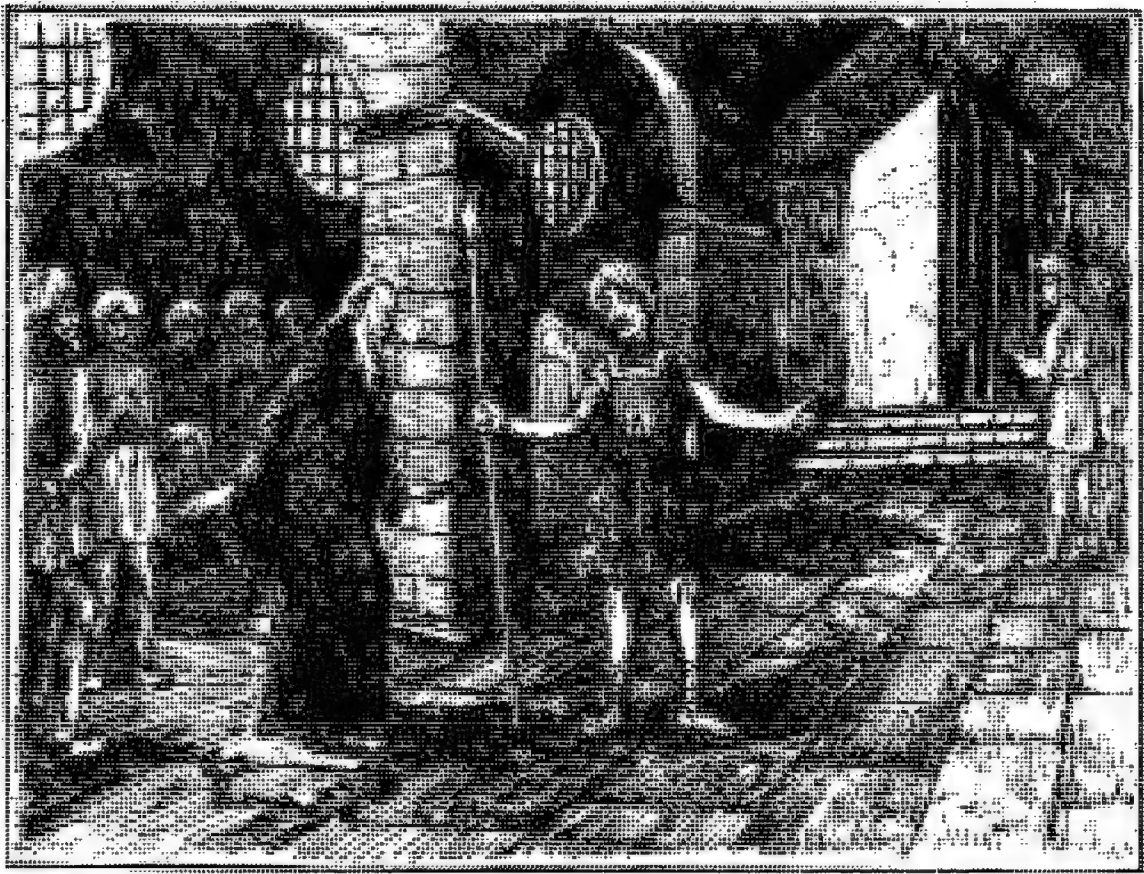
وَبَشِيرِيمَ مَغْضِبًا وَتَدَامْرَ بَسْجِنٍ بَيْدَبَا

فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فَكَرَفِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ عَنْهُ^٢ . ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ فِي طَلَبِ تَلَامِيذِهِ ، وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ ، فَهَرَبُوا فِي الْبِلَادِ وَاعْتَصَمُوا بِجَزَائِرِ الْبَحَارِ^٣ . فَكَثَّ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ ،

١ يريد : مَنْ أَنْ أَجْعَلَكَ عِبْرَةً وَنَكَالًا لغيرِكَ ٢ رجع عما قد عزم عليه

٣ اعتصم بالشئ : امتنع به وتحصن

ولا يلتفت إليه ، ولا يجسر أحد أن يذكره عنده . حتى إذا كان ليلة من الليالي سهر الملك سهواً شديداً^٢ ، فطال سهوه ، ومد إلى الفلك بصره ، وتفكر في تفلك^٣ الفلك وحركات الكواكب ، فأغرق الفكر فيه^٤ ، فسلك به إلى ، استنباط شيء عرّض له من أمور الفلك والمسألة عنه^٥ . فذكر عند ذلك بيدبا ، وتفكر فيما كلفه به ، فارعوى^٦ لذلك ، وقال في نفسه : لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف ، وضيعت واجب حقه ، وحملني على ذلك سرعة الغضب . وقد قالت العلماء : أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك : الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتاً^٧ . والبخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده^٨ .



بيدبا في سجنه وتصدر العفوة

- | | |
|--------------------------|--|
| ١ كان هنا تامة بمعنى حدث | ٢ يريد أرق وسهر وأقضى عليه المضجع فلم ينام |
| ٣ استدارة | ٤ يريد بالغ وأمعن |
| ٥ المسألة بمعنى السؤال | ٦ ارتدع ورجع عن عزمه |
| ٧ بنضاً | ٨ يريد ميسرته وغنام |

والكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره . والعنف في المحاورة ، فإن السفه ليس من شأنها . وإني أتى إلى رجل نصّح لي ولم يكن مبلغاً^١ ، فعاملته بضدّ ما يستحقّ ، وكافأته بخلاف ما يستوجب . وما كان هذا جزاءه مني . بل كان الواجب أن أسمع كلامه ، وأنقاد لما يُشير به

ثم أنفذ في ساعته من يأتيه به . فلما مثّل بين يديه^٢ قال له : يا بيدبا أأنت الذي قصّدت إلى تقصير همّتي ؟ وعجّزت رأيي في سيرتي بما تكلمت به آنفاً^٣ . قال له بيدبا : أيها الملك الناصح الشفيق ، والصادق الرفيق ، إنما نبأْتُكَ بما فيه صلاح لك ولرعيّتك ، ودوام ملكك لك . قال له الملك : يا بيدبا أعد عليّ كلامك كله ، ولا تدع منه حرفاً إلا جيئت به . فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مُصغٍ إليه . وجعل دَبْشليم كلما سمع منه شيئاً ينكت الأرض بشيء كان في يده^٤ . ثم رفع طرفه إلى بيدبا وأمره بالجلوس . وقال له : يا بيدبا إني قد استعذبت كلامك ، وحسن موقعه في قلبي . وأنا ناظر في الذي أشرت به ، وعامل بما أمرت . ثم أمر بتيوده فخلّت . وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول . فقال بيدبا : يا أيها الملك إن في دون ما كلمتك به نهيّة^٥ لمثلك . قال : صدّقت أيها الحكيم الفاضل . وقد وليتكَ من مجلسي هذا إلى جميع أقاصي مملكتي . فقال له : أيها الملك أعفني من هذا الأمر

١ من البلاغات وهي الوشايات كأنه جمع بلاغة ، يقال : لا يفلح أهل البلاغات ، والفعل بلغ بالتشديد أو بلغ بمعنى أوصل ٢ وقف وشخص بين يديه ٣ سابقاً ٤ وذلك أن تضرب الأرض بقضيب فتؤثر فيها وهو مما يفعله المفكر المهوم ٥ النهيّة بالضم اسم من النهى ، ودون بمعنى أقل

فإني غير مضطلع بتقويمه إلا بك . فأعفاه من ذلك . فلما انصرف علم أن
الذي فعله ليس برأى ، فبعث فردّه . وقال : إني فكرت في إعفائك مما
عرّضته عليك ، فوجدته لا يقوم إلا بك ، ولا ينهض به غيرك ، ولا يضطلع
به سواك . فلا تخالفني فيه . فأجابه بيدبا إلى ذلك



بيدبا يطاف به في المدينة وقد استوزر بعد العفو عنه

وكان عادة ذلك الزمان إذا استوزروا وزيراً أن يعقدوا على رأسه تلجاً
ويركب في أهل المملكة ، ويطاف به في المدينة . فأمر الملك أن يفعل
بيدبا ذلك . فوضع التاج على رأسه ، وركب في المدينة ، ورجع فجلس
بمجلس العدل والإنصاف ، يأخذ للذي من الشريف ، ويساوي بين القوى
والضعيف ، وردّ المظالم ، ووضع سنن العدل ، وأكثّر من العطاء والبذل .
واتّصل الخبر بتلاميذه فجاءوه من كل مكان فرحين بما جدّد الله له من جديد

رأى الملك في بيدبا ، وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا في إزالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة . واتخذوا ذلك اليوم عيداً يُعَيِّدون فيه . فهو إلى اليوم عيد عندهم في بلاد الهند

ثم إن بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدبشليم تفرَّغ لوضع كتب السياسة ونشيط لها^١ . فعمل كتباً كثيرة فيها دقائق الحيل . ومضى الملك على ما رَسَم له بيدبا من حسن السيرة والعدل في الرعية . فرغبت إليه الملوك الذين كانوا في نواحيه ، وانتقادت له الأمور على استوائها ، وفرحت به رعيته وأهل مملكته . ثم إن بيدبا جمع تلاميذ فأحسن صلتهم ، ووعدهم وعداً جميلاً . وقال لهم : لست أشك أنه وقع في نفوسكم وقت دخولي على الملك أن قلتم : إن بيدبا قد ضاعت حكمته ، وبطلت فكرته ، إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى . فقد علمتم نتيجة رأيي ، وصحة فكري . وإني لم آت به جهلاً به ، لأنني كنت أسمع من الحكماء قبلي تقول : إن الملوك لها سورة كسورة^٢ الشراب . فالملوك لا تفيق من السورة إلا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء . والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها ، وتأديبها بحكمتها ، وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم ، ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل . فوجدت ما قالت الحكماء فرضاً واجباً على الحكماء ملوكهم ليوقظوهم من رقبتهم ، كالطبيب الذي يجب عليه في صناعته حفظ الأجساد على صحتها

أوردّها إلى الصحة . فكّر هت أن يموت أو أموت ، وما يَبْقَى على الأرض
إلا من يقول : إنه كان بيدبا. الفيلسوف في زمان دَبْشليم الطاغى فلم يَرُدّه
عما كان عليه . فإن قال قائل : إنه لم يمكنه كلامه خوفاً على نفسه ، قالوا :
كان الهَرَب منه ومن جواره أولى به . والانتزاع عن الوطن شديد^١ .
فرايت أن أجود بحياتي ، فأكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدى
عذراً ، فحملتها على التفرير أو الظفر بما أريده^٢ . وكان من ذلك ما أتم
معانيوه^٣ . فإنه يقال في بعض الأمثال : إنه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى
ثلاث : إما بمشقة تناله في نفسه ، وإما بوضيعة^٤ في ماله ، أو وكس في دينه^٥ .
ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . وإن الملك دبشليم قد بسط لسانه^٦
في أن أضع كتاباً فيه ضروب الحكمة^٧ . فليضع كل واحد منكم شيئاً في أى
فن شاء ، وليعرضه على ، لا تُنظر مقدار عقله ، وأين بلغ من الحكمة فهمه .
قالوا : -- أيها الحكيم الفاضل ، واللييب العاقل -- والذي^٨ وهب لك
ما منحك من الحكمة والعقل والأدب والفضيلة ، ما خطر هذا بقلوبنا ساعة
قط ، وأنت رئيسنا وفاضلنا ، وبك شرفنا ، وعلى يدك انتعشنا^٩ ، ولكن
سنجهد أنفسنا فيما أعرّت . ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زماناً
يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به

١ الانتزاع : الانتقال ويريد منه الارتحال ٢ التفرير : تعريض النفس
للهاكة ، ويريد إما أن تقبر وإما أن تظفر ٣ كان : حدث ٤ الوضيعة : الخسارة
٥ الوكس : النقص وفعله من باب ضرب يتعدى ويلزم ٦ أى أطلقه
٧ أنواعها ٨ الواو للقسم والذي مقسم به ٩ أى لا ينهض ولا يعلو
ذكرنا إلا على يدك

ثم إن الملك دبشليم لما استقر له الملك ، وسقط عنه النظر في أمور
الاعداء^١ ، بما قد كفاه ذلك بيدبا ، صرف همهته إلى النظر في الكتب التي
وضعتها فلاسفة الهند لأبائه وأجداده ، فوقع في نفسه^٢ أن يكون له أيضاً
كتاب مشروح ينسب إليه ، وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من
قبله . فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم ذلك إلا بيدبا . فدعاه وخلص به ،
وقال له : يا بيدبا إنك حكيم الهند وفيلسوفها ، وإني فكرت ونظرت في خزائن
الحكمة التي كانت للملوك قبلي ، فلم أرفيهم أحداً إلا وقد وضع كتاباً يذكر
فيه أيامه وسيرته ، ويذنب عن أدبه وأهل مملكته : فمنها ما وضعه الملوك
لأنفسها ، وذلك لفضل حكمة فيها ، ومنها ما وضعته حكماؤها . وأخاف أن
يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ، ولا يوجد في خزائني كتاب
أذكر به بعدي ، وأنسب إليه ، كما ذكر من كان قبلي بكتبهم . وقد
أحببت أن تضع لي كتاباً بليغاً تستفرغ فيه عقلك : يكون ظاهره سياسة
العامه وتأديبها ، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك
وخدمته ، فيسقط بذلك عني وعنهم كثير مما نحتاج إليه في معاناة الملك ،
وأريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذكراً على غابر الدهور^٣ . فلما سمع
بيدبا كلامه خر له ساجداً^٤ ورفع رأسه ، وقال : أيها الملك السعيد جدّه
— علا نجمك ، وغاب نجمك ، ودامت أيامك — إن الذي قد طبع

١ يريد أن بيدبا قد كفي الملك متاعب النظر في أمر الملك والتدبير في أحواله

٢ أي خطر بهاله ٣ الغابر من الاضداد فيطلق على الماضي والباقي وهو المتصود

٤ خر : انكب على الارض . وساجداً : حال مؤكدة ومثله في القرآن يخرون

الاذقان بسجدا

عليه الملك من جودة القرينة^١، ووفور العقل حرّكه إلى على الأمور،
وسمّت به نفسه وهمته إلى أشرف المراتب منزلة، وأبعدها غاية — وأدام
الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعانني على بلوغ مراده —
فليأمر الملك بما شاء من ذلك، فإنني صائر إلى غرضه مجتهد فيه برأيي. قال
له الملك: يا بيدبا لم تزل موصوفاً بحسن الرأي وطاعة الملوك في أمورهم،
وقد اختبرت منك ذلك، واخترت أن تضع هذا الكتاب، وتعمل فيه
فكرك، وتجهّد فيه نفسك، بغاية ما تجد إليه السبيل. وليكن مشتملاً على
الجد^٢، والهزل، واللاهو^٣، والحكمة، والفلسفة^٤. فكفر له بيدبا وسجد،
وقال: قد أجبت الملك أدام الله أيامه إلى ما أمرني به، وجعلت بيني وبينه
أجلاً^٥. قال: وكم هو الأجل؟ قال: سنة. قال: قد أجلتك. وأمر له
بجائزة سنوية تعينه على عمل الكتاب. فبقي بيدبا مفكراً في الأخذ فيه وفي
أى صورة يبتدئ بها فيه وفي وضعه

ثم إن بيدبا جمع تلاميذه وقال لهم: إن الملك قد ندبني لأمر فيه
فخرى وفخر^٦، وقد جمعتكم لهذا الأمر. ثم وصف لهم ما سأل الملك من
أمر الكتاب، والغرض الذي قصده فيه، فلم يقع لهم الفكر فيه^٧. فلما لم يجد

١ الجودة بالفتح والضم ٢ الجد: أن يراد باللفظ معناه الحقيقي أو المجازي
وهو ضد الهزل ٣ هو الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي ٤ الفلسفة:
ترادف الحكمة اصطلاحاً يونانية وتأويلها: محبة الحكمة، وقد يراد بالفلسفة: التأنيق
في المسائل العلمية والتفنن فيها وربما كان المراد من ذكرها (بعد) لفظ الحكمة
٥ جعل بمعنى اتخذ. والأجل: الموعد ٦ يقال ندبه إلى الأمر والأمر: دعاه
ورشحه للقيام به وبابه نصر ٧ يريد فلم يخطر لهم شيء مما يريد

عندهم ما يريد ففكر بفضل حكمته ، وعلم أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل ، وإعمال الفكر . وقال : أرى السفينة لا تجرى في البحر إلا بالملاحين^١ لأنهم يعدّلونها . وإنما تسلك اللجة بمدبرها الذي تفرد بإمرتها^٢ . ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الفرق . ولم يزل يفكر فيما يعمل في باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلاميذه كان يثق به ، فخلا به منفرداً معه ، بعد أن أعدّ من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيئاً ، ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة ، وجلسا في مقصورة^٣ وردّا عليهما الباب . ثم بدأ في نظم الكتاب وتصنيفه ، ولم يزل هو يملئ وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه ، حتى استقرّ الكتاب على غاية الإتقان والإحكام ، ورتّب فيه أربعة عشر باباً^٤ : كل باب منها قائم بنفسه . وفي كل باب مسألة والجواب عليها ، ليكون لمن نظر فيه حظّ من الهداية^٥ . وضمّن تلك الأبواب كتاباً واحداً ، وسماه كتاب (كليات ودمنة) ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطيور ، ليكون ظاهره لهواً للخواص والعوام ، وباطنه رياضة لعقول الخاصة^٦ . وضمّنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه ، وأهله وخاصته ، وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه ، وآخرته وأولاه ، ويحضّه على حسن طاعته للملوك ، ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له . ثم جمعه باطناً وظاهراً كرسم سائر الكتب التي

١ الملاحون : الذين يديهم سياسة السفينة وتديرها
٢ الامرة بالكسر : الولاية
٣ المقصورة : أقل من الدار ولا تسع كثيرين
٤ بعض النسخ تعد الأبواب
خمسة عشر جاعلة باب الفحص عن أمر دمنة باباً مستقلاً
٥ الحظ : النصيب
٦ الرياضة : التدريب والتمرين

برسم الحكمة . فصار الحيوان لهواً ، وما ينطق به حكماً وأدباً . فلما ابتدأ
بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق ، وكيف يكون الصديقان ،
وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذى النخمة . وأمر تلميذه أن يكتب
على لسان بيدبا مثل ما كان الملك قد شرطه في أن يجعله لهواً وحكمة : فذكر
بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدها ، واستجهل حكمته . فلم يزل
هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سألهم الملك ، حتى فتق لهما العقل أن يكون
كلامهما على لسان بهيمتين . فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم .
وكانت الحكمة ما نطقا به . فأصغت الحكماء إلى حكمه ، وتركا البهائم
واللهو ، وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم ، ومالت إليه الجهال عجباً من
محاورة بهيمتين ، ولم يشكوا في ذلك ، واتخذوه لهواً ، وتركا معنى الكلام
أن يفهموه ، ولم يعلموا الغرض الذي وضع له ، لأن الفيلسوف إنما كان
غرضه في الباب الأول أن يخبر عن تواصل الإخوان كيف تتأكّد المودة
بينهم على التحفظ من أهل السعاية^١ ، والتحرز من وقوع العداوة بين المتحابين ،
ليجروا بذلك نفعاً إلى نفسه . فلم يزل بيدبا وتلميذه في المقصورة حتى استتم
عمل الكتاب في مدة سنة . فلما تمّ الحول^٢ أنفذ إليه الملك أن قد جاء الوعد
فإذا صنعت ؟ فأنفذ إليه بيدبا : إني على ما وعدت الملك ، فلما أمرني بحمله
بعد أن يجمع أهل المملكة ، لتكون قراءتي هذا الكتاب بحضرتهم . فلما
رجع الرسول إلى الملك سرّ بذلك ، ووعدته يوماً يجمع فيه أهل المملكة . ثم
نادى في أقاصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب . فلما كان ذلك اليوم

أمر الملك أن يُنصب لبيدبا سرير مثل سريره ، وكراسي لاُبناء الملوك والعلماء . وأنفذ فأحضره . فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك : وهي المُسُوح السود . وحمل الكتاب تلميذه ، فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرًا . فلما قُرب من الملك كفر له وسجد ، ولم يرفع رأسه . فقال له الملك : يا بيدبا ارفع رأسك ، فإن هذا يوم هُناء وفرح وسرور ، وأمره أن يجلس . فحين جلس لقراءة الكتاب



بيدبا يقرأ هذا الكتاب بين يدي وشليم في جميع من نساء بلاؤ

سأله عن معنى كل باب من أبواب الكتاب ، وإلى أي شيء قصد فيه ؟ فأخبره بغرضه فيه ، وفي كل باب . فازداد الملك منه تعجبًا وسرورًا . فقال له : يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي وهذا الذي كنت أطلب .

١ أي ما تجاوزت الذي أريد وقد وافق

فاطلب ما شئت وتحكم . فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجِدِّ . وقال : أيها الملك ، أما المال فلا حاجة لي فيه ، وأما الكِسوة فلا أختار على لباسي هذا شيئاً ، ولست أُخلى الملك من حاجة . قال الملك : يا بيدبا ما حاجتك ؟ فكل حاجة لك قبلنا مقضية . قال : يأمر الملك أن يدون كتابي هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم ، ويأمر بالمحافظة عليه ، فإني أخاف أن يخرج من بلاد الهند ، فيتناوله أهل فارس إذا علموا به ، فالملك يأمر ألا يخرج من بيت الحكمة . ثم دعا الملك بتلاميذه ، وأحسن لهم الجوائز . ثم إنه لما ملك كسرى أنوشروان ، وكان مستأثراً بالكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل ، وقع له خبر الكتاب ، فلم يقرّ قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطّف حتى أخرجه من بلاد الهند فأقرّه في خزائن فارس

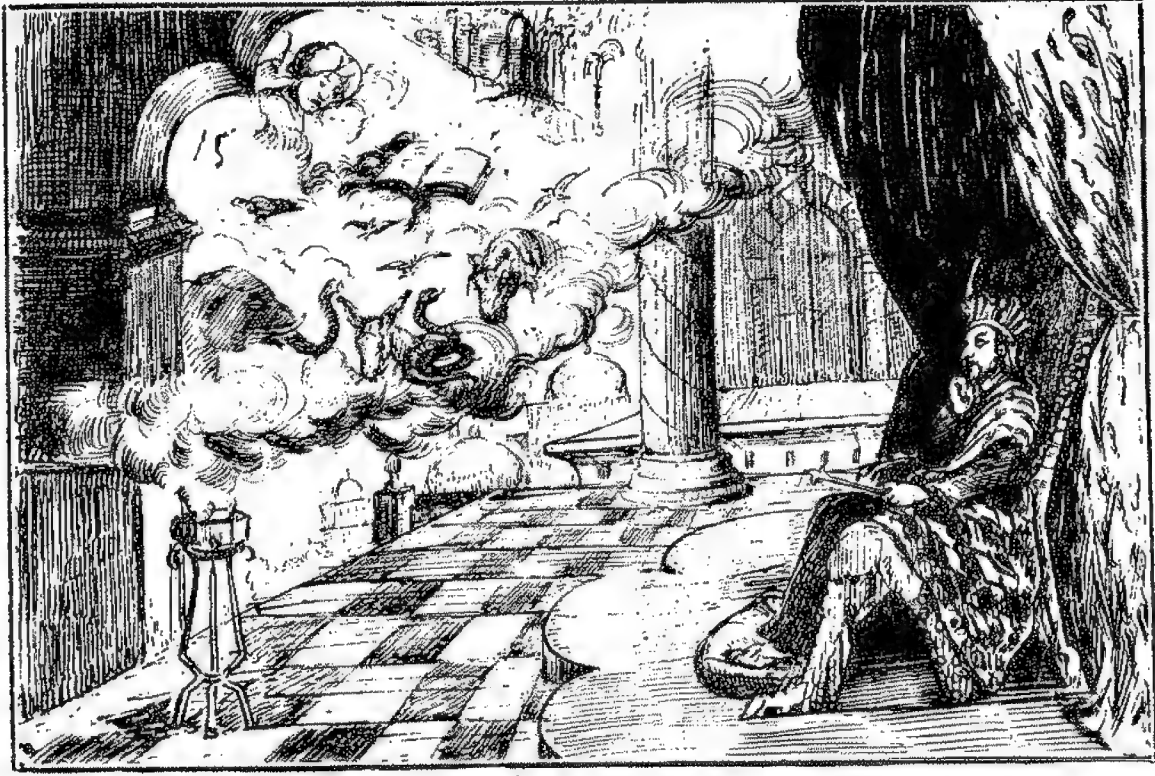
باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند

أما بعد . فإن الله تعالى خلق الخلق برحمته ، ومنّ على عباده بفضله وكرمه ، ورزقهم ما يقدرون به على إصلاح معاشهم في الدنيا ، ويُدركون به استنقاذ^١ أرواحهم من العذاب في الآخرة . وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومنّ به عليهم العقل الذي هو الدّعاة لجميع الأشياء ، والذي لا يقدر أحد في الدنيا على إصلاح معيشته ، ولا إحراز نفع^٢ ، ولا دفع ضرر إلا به . وكذلك طالب الآخرة المجتهد في العمل المنجى به رُوحه لا يقدر على إتمام

٢ يقال : أحرزت المال حصلت عليه

١ تخلص

عمله وإكماله إلا بالعقل ، الذي هو سبب كل خير ، وِفَتْاح كل سعادة .
فليس لأحد غنى عن العقل . والعقل مكتسب بالتجارب والأدب . وله
غريزة مكنونة في الإنسان ، كامنة كالنار في الحجر : لا تظهر ولا يرى
ضوءها حتي يُقَدِّحها قَادِح من الناس^١ . فإذا قُذِحت ظهرت طبيعتها .
وكذلك العقل كامن في الإنسان ، لا يظهر حتي يُظهِره الأدب ، وتقويته
التجارب . ومن رُزِقَ العقل ومن به عليه ، وأعين على صدق قريحته
بالأدب ، حَرَّص على سعد جده^٢ ، وأدرك في الدنيا أمله ، وحاز في الآخرة
ثواب الصالحين . وقد رَزَقَ الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ،



كسرى أنوشروان في خلوة يفكر في أمر هذا الكتاب قد تشلت له صورة وناسخه

ومن العلم أجزله ، ومن المعرفة بالأُمور أصوبها ، ومن الأفعال أسدها^٣ ،
ومن البحث عن الأصول والفروع أنفعه ، وبلغه من فنون اختلاف العلم

١ القادح الذي يحك الزند ليخرج الشرر ٢ الجد بالكسر : الحظ

٣ يريد أكثرها صوابا

و بلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قطُّ من الملوك قبله ، حتي كان فيما طلب
وبحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند : علم أنه أصل كل أدب ،
ورأس كل علم ، والدليل على كل منفعة ، ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ، ومعرفة
النجاة من هولها . فأمر الملك وزيره بُرْزُجَهْرَ أن يبحث له عن رجل أديب
عاقل من أهل مملكته ، بصير بلسان الفارسية ، ماهر في كلام الهند ،
ويكون بليغاً باللسانين جميعاً ، حريصاً على العلم ، مبادراً في طلبه ،
مجتهداً في استعمال الأدب ، والبحث عن كتب الفلسفة . فأتاه برجل
أديب ، كامل العقل والأدب ، معروف بصناعة الطب ، ماهر في الفارسية
والهندية : يقال له بُرْزَوِيه . فلما دخل عليه كفر وسجد بين يديه . فقال
له الملك : يا بُرْزَوِيه ، إني قد اخترتك لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك
وحرصك على طلب العلم حيث كان . وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون
في خزائنها . وقصَّ عليه ما بلغه عنه ، وقال له : تجهِّز فاني مُرَحِّلك إلى
أرض الهند ، فتلطَّف بعقلك ، وحسن أدبك ، وناقذ رأيك ، لاستخراج
هذا الكتاب من خزائنها ومن قبَل علماءهم ، فتستفيد بذلك وتفيدنا .
وما قدرت عليه من كتب الهند ، مما ليس في خزائنا منه شيء فاحمله معك
وخذ معك من المال ما تحتاج إليه ، وعجِّل ذلك ، ولا تُقصر في طلب العلوم
وإن أكَثرت فيه النفقة فإن جميع ما في خزائني مبدول لك في طلب العلوم ،
وأمر بإحضار المنجمين . فاختراروا له يوماً يسير فيه ، وساعة صالحة يخرج
فيها ، وحمل معه من المال عشرين جراباً : كل جراب فيه عشرة آلاف

دينار. فلما قديم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ، ومجالس السوقة^١ ،
وسأل عن خواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في
منازلهم^٢ ، ويتلقاهم بالتحية ، ويخبرهم بأنه رجل غريب : قديم بلادهم لطلب
العلوم والأدب ، وأنه محتاج إلى معاونتهم في ذلك . فلم يزل كذلك زماناً
طويلاً ، يتأدّب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه ، وكأنه لا يعلم منه شيئاً .
وهو فيما بين ذلك يسترُ بغيتته وحاجته . واتخذ في تلك الحالة لطول مقامه
أصدقاء كثيرين : من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ، ومن أهل كل
طبقة وصناعة . وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلاً واحداً : قد اختاره
لسرّه ، وما يحبُّ مشاورته فيه ، للذي ظهر له من فضله وأدبه ، واستبان له
من صحة إخائه . وكان يُشاوره في الأمور ، ويرتاح إليه في جميع ما أهمّه ،
إلا أنه كان يكتُم منه الأمر الذي قديم من أجله ، لكي يبلّوه ويخبره ،
وينظر : هل هو أهل أن يُطلعه على سرّه ، فقال له يوماً وهما جالسان :
يا أخي ، ما أريد أن أكتُمك من أمرى فوق الذي كتمتك ، فاعلم أني
لأمرٍ قديمٍ ، وهو غير الذي يظهر مني . والعقل يكتفي من الرجل
بالعلامات من نظره ، حتى يعلم سرَّ نفسه ، وما يُضمّره قلبه . قال له الهندي :
إني وإن لم أكن بدأتك وأخبرتكَ بما جئت له ، وإياه تريد ، وأنت تكتُم
أمرّاً تطلبه وتظهر غيره ما خفي على ذلك منك ، ولكني لرغبتي في إخائك

١ السوقة بالضم : الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقيل سموا كذلك
لأن الملك يسوقهم إلى ما شاء ومنه قول جبلة بن الأيهم : ألا يفضل في هذا الدين ملك
على سوقة فقيل له : إن الملك والسوقة عندنا سواء ٢ أي يزورهم ويترقب دورهم

كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدْ اسْتَبَانَ مَا تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا ^١ إِذْ قَدْ
أَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ بِهِ ، وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ ،
وَمُظْهِرُكَ لِكُ سِرِّكَ ، وَمَعْلَمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ لَهَا . فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِأَدْنَى
لِتَسْلُبُنَا كَنْزَنَا النِّفِيسَةَ ، فَتَذْهَبُ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتَسُرُّ بِهَا مَلِكَكَ .
وَكَانَ قَدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمَوَاطِنَتَكَ عَلَى
طَلَبِ حَاجَتِكَ ، وَالتَّحْفُظُ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ الْكَلَامُ مَعَ طَوْلِ مُكْثِكَ
عِنْدَنَا ، بِشَيْءٍ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى سِرِّكَ وَأَمُورِكَ أَزْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ ،
وِثْقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرِ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْصَنُ مِنْكَ
عَقْلًا ، وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبَرَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا أَكْتَمُ لِسَرِّهِ مِنْكَ ،
وَلَا سِيْمًا فِي بِلَادِ غَرْبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ .
وَإِنْ عَقَلَ الرَّجُلُ إِيَّيْنِ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ : الْأُولَى الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ
الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِيحْفَظَهَا . وَالثَّلَاثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالتَّحَرُّيُّ لَمَّا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ
مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سَرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالخَامِسَةُ
أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِيقَ اللِّسَانِ ^٢ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسَرِّهِ

١ أَمَّا : حَرْفُ شَرْطٍ وَتَفْصِيلٍ وَتَوْكِيدٍ قَالُوا وَيَجِبُ أَنْ يَرْبُطَ جَوَابُهَا بِالْفَاءِ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ
تَعَالَى (أَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) فَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَيْ فِيَقَالَ لَهُمْ
أَكْفَرْتُمْ ، وَيَفْصَلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَاءِ بِوَاحِدٍ مِنْ سِتَّةِ أُمُورٍ : الْمُبْتَدَأُ نَحْوُ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ ، وَالْخَبَرُ نَحْوُ أَمَّا فِي الدَّارِ الْفَرِيدِ ، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ
نَحْوُ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَالرَّابِعُ اسْمٌ مَنْصُوبٌ نَحْوُ فَأَمَّا
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَالْخَامِسُ اسْمٌ مَعْمُولٌ لِمُخْذُوفٍ يَفْسِرُهُ مَا بَعْدَ الْفَاءِ نَحْوُ أَمَّا الْمُبْتَهَمُ فَوْضِيهِ ،
وَالسَّادِسُ ظَرْفٌ لِمَعْمُولٍ لَا أَمَّا وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيهَا مَعْنَى الْفِعْلِ الَّذِي نَابَتْ عَنْهُ نَحْوُ أَمَّا الْيَوْمَ
فَأِنِّي ذَاهِبٌ ٢ مِنْ قَوْلِهِمْ مَا لِي نَلَانُ كَمَا فَرَحَ : تَوَدَّدَ وَتَلَطَّفَ وَأَظْهَرَ بِأَسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ

وسرّ غيره حافظاً . والسابعة أن يكون على لسانه قادراً : فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته^١ . والثامنة إن كان بالحفل لا يتكلم إلا بما يسأل عنه . فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير إلى نفسه . وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك ، وبانت لي منك . فالله تعالى يحفظك ، ويعينك على ما قَدِمْتَ له . فمصادقتك إياي وإن كانت لتسلبني كنزى ونخري وعلمي ، تجعلك أهلاً لأن تُسَعَفَ بحاجتك ، وتُشْفَعَ بِطَلَبِكَ^٢ ، وتُعْطَى سُؤْلُكَ . فقال له بَرَزَوِيه : إني قد كنت هيات كلاماً كثيراً ، وشعبت له شعوباً ، وأنشأت له أصولاً وطُرُقاً ، فلما انتهيت إلى ما بدأْتُني به : من إطلائك على أمرى والذي قَدِمْتَ له ، وألقيته على من ذات نفسك ، ورغبتك فيما ألقىت من القول ، اكتفيت باليسير من الخطاب معك ، وعرفت الكبير من أموري بالصغير من الكلام ، واقتصرت به معك على الإيجاز ، ورأيت من إسعافك إياي بحاجتي ما دلّني على كرمك وحسن وفائك ، فان الكلام إذا أُلْقِيَ إلى الفيلسوف ، والسرّ إذا استودع إلى اللبيب الحافظ ، فقد حُصِّنَ وبلغ به نهاية أمل صاحبه ، كما يُحَصِّنُ الشَّيْءُ النَّفِيسَ فِي الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ . قال له الهندي : لا شيء أفضل من المودة ، ومن خلّصت مودّته كان أهلاً أن يَخْلِطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ ، ولا يَتَّخِرَ عَنْهُ شَيْئاً ، ولا يَكْتُمُهُ سِرّاً ، فإن حفظ السرّ رأس الأدب . فإذا كان السرّ عند الأمين الكتوم فقد احترز من التضيق ، مع أنه خليق ألا يتكلم به . ولا يتم سرّ بين اثنين قد عَلاماه

١ التبعة بفتح فكسر : ما يطلب من ظلامة ونحوها ٢ من شفعت الشيء بالشيء : ضمته إليه ، والطلبة : المطلوب

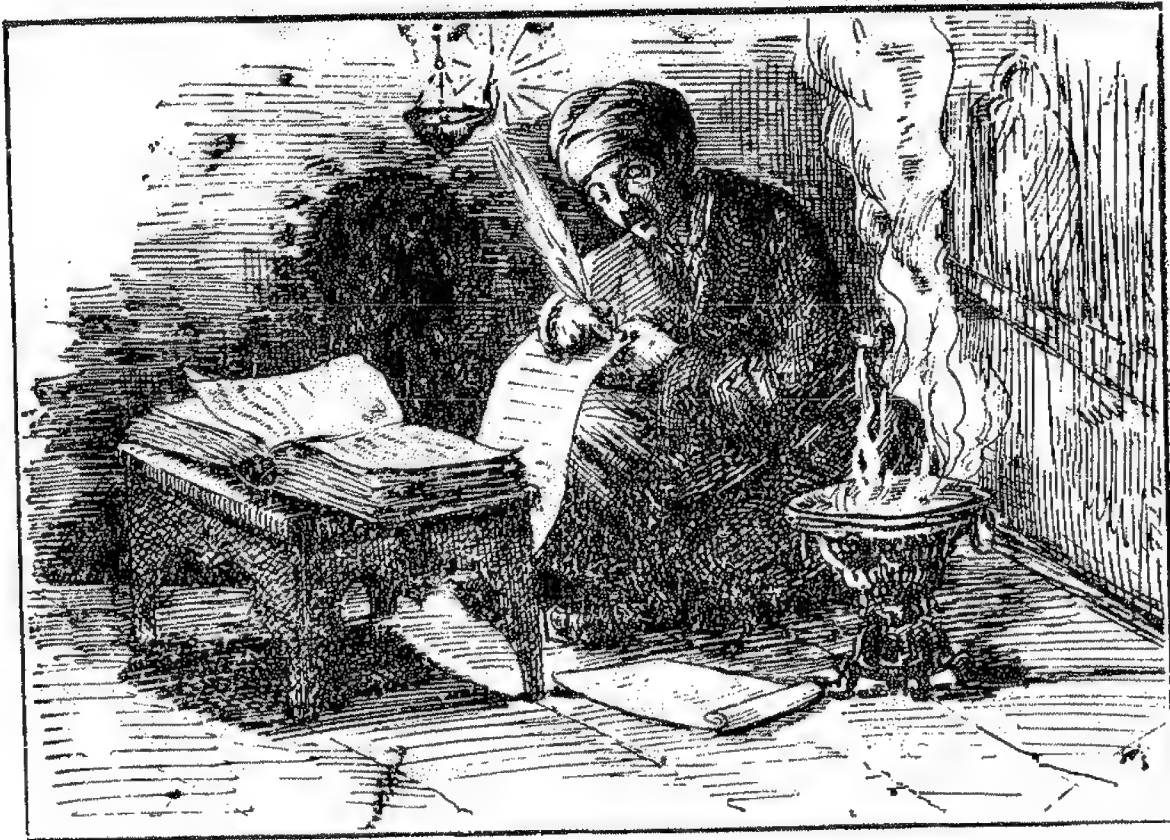
وتفاوضاه . فإذا تكلم بالسراً اثنان فلا بدّ من ثالث من جهة أحدهما .
فإذا صار إلى الثلاثة فقد شاع وذاع ، حتى لا يستطيع صاحبه أن يجحده
ويكابر عنه ، كالغيم إذا كان متقطعاً في السماء ، فقال قائل : هذا غيم متقطع
لا يقدر أحد على تكذيبه . وأنا قد يُدْخِلُنِي من مودَّتِكَ وخالطتك سرور



برزوية بجادش خازن كتب الملك في بيته

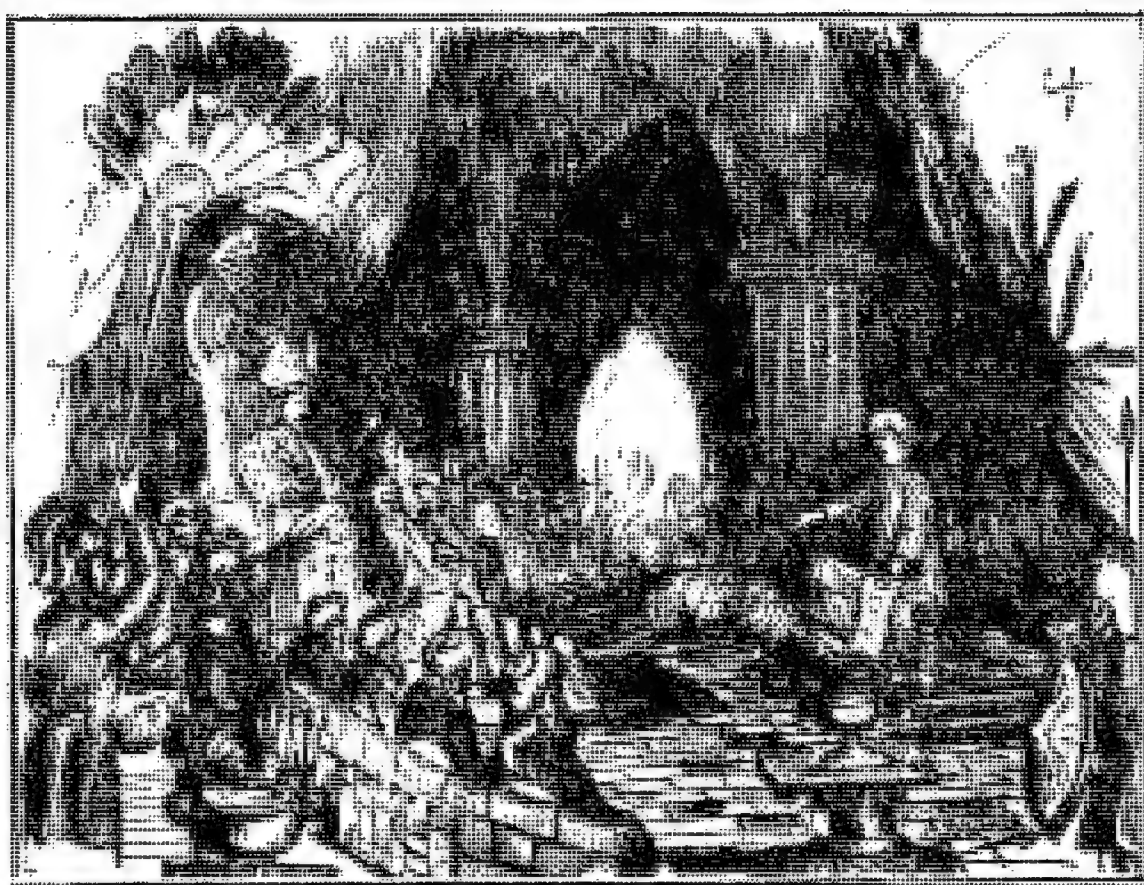
لا يُعَدِّله شيء ، وهذا الأمر الذي تطلبه مني أعلم أنه من الأسرار التي
لا تُكتم فلا بدّ أن يفشو ويظهر ، حتى يتحدث به الناس . فإذا فشا فقد

سَعَيْتَ فِي هَلَاكِي هَلَا كَالَا أَقْدِرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ ، لَأَنْ
مَلِكُنَا فَظًّا غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ
هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ! وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَاسْمَعْتِكَ
بِحَاجَتِكَ ، لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ . قَالَ بَرَزَوِيه : إِنْ الْعُلَمَاءُ قَدْ مَدَحَتْ
الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى الْفُوزِ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَدِمْتُ
لَهُ لِمَثَلِكَ ذَخَرْتَهُ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ ، وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوَفُورِ عَقْلِكَ
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي ، وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ ، بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ
الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنَا أَرْجُو أَلَّا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ
هَذَا الْأَمْرِ ، لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ وَأَنْتَ مُقِيمٌ . وَمَا أَقَمْتُ فَلَا ثَلَاثَ بَيْنَنَا . فَتَعَاهِدَا
عَلَى هَذَا جَمِيعًا . وَكَانَ الْهِنْدِيُّ خَازِنُ الْمَلِكِ ، وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ . فَأَجَابَهُ
إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكِتَابِ ، فَأَكْبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ ، وَنَقَلَهُ مَنْ



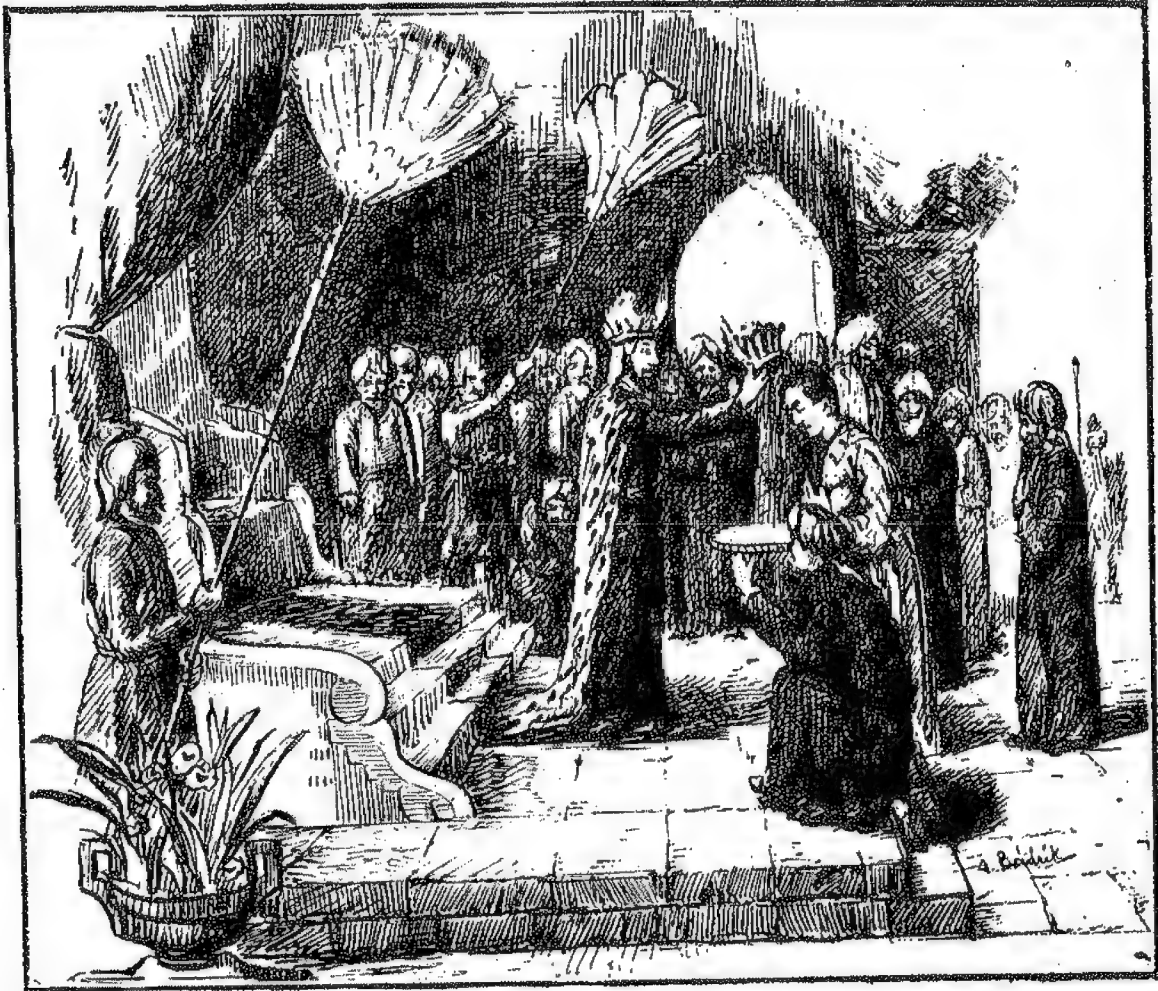
برزويه مكتبة شيخ الكائن

اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي . وأتعب نفسه ، وأنصب بدنه ليلاً ونهاراً . وهو مع ذلك وجِلٌّ وفَزِعٌ من ملك الهند ، خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب في وقت ، ولا يُصادفه في خزانته . فلما فرغ من انتساخ الكتاب وغيره : مما أراد من سائر الكتب ، كتب إلى أنوشروان يعلمه بذلك . فلما وصل إليه الكتاب سرَّ بذلك سروراً شديداً . ثم تخوَّف معالجة المقادير أن تُنغص عليه فرحه ، فكتب إلى برزويه : يأمره بتعجيل القدوم . فسار برزويه متوجهاً نحو كسرى . فلما رأى الملك ما قد مسَّه من الشُّحوب والتعب والنَّصب قال له : أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس ، أبشر وقرَّ عيناً ، فاني مشرفك وبالغ بك أفضل درجة . وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام . فلما كان اليوم الثامن أمر الملك أن يجتمع إليه الأمراء والعلماء . فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ، ففتحها وقرأها



برزويه بين يدي كسرى يقرأ هذه الكتب على أهل فارس

على من حضر من أهل المملكة . فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحاً شديداً ، وشكروا الله على ما رزقهم ، ومدحوا برزويه وأثنوا عليه . وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة . وأمره أن يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة . وقال : يا برزويه إني قد أمرت أن تجلس على مثل سريرى هذا ، وتلبس تاجاً ،



كسرى يلبس برزويه التاج بين ائيمان مملكة

وتترأس على جميع الأشراف . فسجد برزويه للملك ودعا له ، وطلب من الله وقال : أكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة ، وأحسن عني ثوابه وجزاءه . فاني بحمد الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجد ، العظيم الملك ، فلا حاجة لي بالمال . لكن لما كفى الملك ذلك

وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّ ، أَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا طَلِباً لِمَرْضَاتِهِ ،
وَامْتِثَالاً لِأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِرَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخْتاً^١ مِنْ طَرَائِفِ
خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبِضَ بَرْزَوِيهِ مَا اخْتَارَهُ وَرَضِيهِ مِنَ الثِّيَابِ
قَالَ : — أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ ، وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ أَبَدَ الْأَبَدِ — إِنْ الْإِنْسَانُ إِذَا
أَكْرَمَ وَجِبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ اسْتَوْجِبَهُ تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا
رِضَاءُ الْمَلِكِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيْتَهُ مِنْ عَنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لَمَّا أَعْلَمْتُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ
الشَّرَفُ يَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ، فَانِي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعاً رِضَاكُمْ ، أَرَى
الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا ، وَالشَّاقَّ هَيِّنًا ، وَالنَّصَبَ وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً ، لَمَّا أَعْلَمْتُ
أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضَاءٌ وَقُرْبَةٌ عِنْدَكُمْ^٢ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي
بِهَا ، وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي ، فَإِنْ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ .
قَالَ أَنْوَشِرَوَانُ : قُلْ ، فَكُلْ حَاجَةً لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَّةً ، فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ ،
وَلَوْ طَلَبْتَ مِشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا ، وَلَمْ نَرُدَّ طَلِبَتَكَ ، فَكَيْفَ مَا سَوَى
ذَلِكَ ، فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمُ^٣ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُولَةٌ لَكَ . قَالَ بَرْزَوِيهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ
لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَانْكَامِشِي^٤ فِي طَاعَتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي
بَذَلُ مَهْجَتِي فِي رِضَاكَ^٥ ، وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيماً ، وَلَا وَاجِباً
عَلَى الْمَلِكِ ، وَلَكِنْ لِكْرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدٌ إِلَى مَجَازَاتِي ، وَخَصَنِي وَأَهْلَ

١ التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، ويطلق أيضاً على السرير من خشب وغيره
وقد استعمل غالباً في سرير الملك وهو فارسي معرب وأصله : تختة أي خشب

٢ أصل القربة ما يتقرب به إلى الله من البر وعمل الصالحات ٣ يريد :

لا تستحي ٤ اسراعى فيها بجحد ٥ المهجة بالضم : النفس

يأتي بعلو المرتبة ورفع الدرجة ، حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل ، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء . قال أنوشروان : أذكر حاجتك فعلى ما يسرك . فقال برزويه : حاجتي أن يأمر الملك — أعلاه الله تعالى — وزيره بزرجمهر بن البختگان ، ويُقسم عليه أن يُعمل فكره ، ويجمع رأيه ويُجهد طاقته ، ويُفرغ قلبه في نظم تأليف كلام مُتَقَن مُحْكَم ، ويجعله باباً يذكر فيه أمرى ويصف حالى ، ولا يدع من المبالغة في ذلك أقصى ما يقدر عليه ، ويأمره إذا استتمه أن يجعله أول الأبواب التي تقرأ قبل باب الأسد والثور ، فإن الملك إذا فعل ذلك فقد بلغ بى وبأهلى غاية الشرف وأعلى المراتب ، وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقياً على الأبد ، حيثما قرئ هذا الكتاب . فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته ، وما سمعت إليه نفسه من محبة إبقاء الذكر ، واستحسنوا طلبته واختياره ، قال كسرى : حباً وكرامة لك يا برزويه ، إنك لأهل أن تُسعف بحاجتك ، فما أقل ما قنعت به ، وأيسره عندنا ! وإن كان خطره عندك عظيماً . ثم أقبل أنوشروان على وزيره بزرجمهر فقال له : قد عرفت مُناصحة برزويه لنا ، وتجشّمه^٢ المخاوف والمهالك فيما يقربه منا ، وإتعا به بدنه فيما يسرنا ، وما أتى به إلينا من المعروف ، وما أفادنا الله على يد من الحكمة والأدب الباقي لنا نخره ، وما عرضنا عليه من خزائننا لنجزيه بذلك على ما كان منسه ، فلم تمل نفسه إلى شيء من ذلك ، وكان بُغيته وطلبته منا أمراً يسيراً رآه هو الثواب منّا له ، والكرامة

الجليلة عنده ، فإنني أحب أن تتكلم في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته .
واعلم أن ذلك مما يسرني ، ولا تدع شيئاً من الاجتهاد والمبالغة إلا بلغته ،
وإن نالتك فيه مشقة : وهو أن تكتب باباً مضارعاً لتلك الأبواب التي في
الكتاب ، وتذكر فيه فضل برزويه ، وكيف كان ابتداء أمره وشأنه ، وتنسبه
إليه وإلى حسبه وصناعته ، وتذكر فيه بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا ،
وما أفدنا على يديه من هنالك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا ، وكيف كان
حال برزويه وقدمه من بلاد الهند . فقل ما تقدر عليه من التقرير والاطناب
في مدحه ، وبالغ في ذلك أفضل المبالغة ، واجتهد في ذلك اجتهاداً يسر
برزويه وأهل المملكة ، وإن برزويه أهل لذلك مني ، ومن جميع أهل المملكة
ومنك أيضاً لمحبتك للعلوم . واجتهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي
ينسب إلى برزويه أفضل من أغراض تلك الأبواب عند الخاص والعام ،
وأشدّ مشاكلة لحال هذا العلم ، فانك أسعد الناس كلهم بذلك لانفرادك
بهذا الكتاب . واجعله أول الأبواب . فاذا أنت عملته ووضعت في موضعه
فأعلمني لأجمع أهل المملكة وتقرأه عليهم ، فيظهر فضلك واجتهادك في محبتنا
فيكون لك بذلك نحر . فلما سمع برزجهر مقالة الملك خراً له ساجداً ، وقال :
— أدام الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة
والأولى — لقد شرفتني بذلك شرفاً باقياً إلى الأبد . ثم خرج برزجهر من
عند الملك ، فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه إلى المعلم ومُضِيَّه إلى

بلاد الهند في طلب العقاقير^١ والأدوية ، وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم إلى أن بعثه أنوشروان إلى الهند في طلب الكتاب ، ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلاقته ومذهبه أمراً إلا نسقه وأتى به بأجود ما يكون من الشرح . ثم أعلم الملك بفراغه منه . فجمع أنوشروان أشرف قومه وأهل مملكته ، وأدخلهم إليه ، وأمر بزرجمهر بقراءة الكتاب ، وبرزويه قائم إلى جانب بزرجمهر . وابتدأ بوصف برزويه حتي انتهى إلى آخره . ففرح الملك بما أتى بزرجمهر من الحكمة والعلم ، ثم أثنى الملك وجميع من حضره على بزرجمهر ، وشكروه ومدحوه ، وأمر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلى وأوان ، فلم يقبل من ذلك شيئاً غير كسوة كانت من ثياب الملوك ، ثم شكر له ذلك برزويه ، وقبل رأسه ويده . وأقبل برزويه على الملك . وقال : — أدام الله لك الملك والسعادة — فقد بلغت بي وبأهلي غاية الشرف بما أمرت به بزرجمهر من صنعة الكتاب^٢ في أمري وإبقاء ذكرى

باب عرض الكتاب ، ترجمة عبد الله بن المقفع

هذا كتاب كَلِيَّةٌ وَدِمْنَةٌ : وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا . ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتمسون أن يعقل عنهم ،

١ العقاقير : هي الأدوية أو أصولها واحدا عقار بالتشديد ومنه يقال (حديد جيد العقاقير أي كريم الطبع)
٢ يريد الكتابة وهي وما نشر مصدر لكتب

ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ، ويتتغون إخراج ما عندهم من العلل ،
 حتي كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطيور ،
 فاجتمع لهم بذلك خلال . أمّا هم فوجدوا مُنصرَفًا في القول ، وشِعَابًا
 يأخذون منها . وأما الكتاب فجمع حكمة ولهُوًا ، فاختره الحكماء لحكمته ،
 والسفهاء للهو ، والمتعلّم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر
 يُربط في صدره ولا يدرى ما هو ، بل عرف أنه قد ظفّر من ذلك بمكتوب
 مرقوم ، وكان كالرجل الذي لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنّزا له
 كنوزًا ، وعقدًا له عقودًا ، استغنى بها عن الكدح فيما يعمّله من أمر
 معيشته ، فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من
 وجوه الأدب

وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجود التي وُضعت له ،
 وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عند ما نسبته إلى البهائم ، وأضافه^٢ إلى غير
 مُفصح ، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا . فان قارئه متى لم يفعل
 ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ، ولا أي ثمرة يجتنى منها ، ولا أي نتيجة
 تحصل له من مقدّمات ما تضمنه هذا الكتاب . وإنه وإن كان غايته
 استتمام قراءته إلى آخره دون معرفة ما يقرأ منه ، لم يعد عليه شيء يرجع
 إليه نفعه . ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير إعمال
 الروية فيما يقرؤه كان خليقًا ألا يُصيبه إلا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء

أنه اجتاز بعض المفاوز ، فظهر له موضع آثار كنز ، فجعل يحفر ويطلب ،
فوقع على شيء من عين وورق^١ . فقال في نفسه : إن أنا أخذت في نقل
هذا المال قليلاً قليلاً طال علي ، وقطعتني الاشتغال بنقله وإحرازه عن
اللذة بما أصبت منه . ولكن سأستأجر أقواماً يحملونه إلى منزلي ، وأكون
أنا آخرهم ، ولا يكون قد بقي ورأي شيء يشغل فكري بنقله ، وأكون قد
استظهرت^٢ لنفسي في إراحة بدني عن الكد يسير أجره أعطيتهم إياها .



الرجل يدير على بابنا عليه طرفة

الطلع يأمر الحمالين يحمل ما في الكنز

ثم جاء بالحمالين ، فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق ، فينطلق به إلى
منزله ، فيفوز به . حتى إذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم إلى منزله
فلم يجد فيه من المال شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً ، وإذا كل واحد من الحمالين

١ العين : الذهب ، والورق بوزن كتف وتمروجل : الدراهم المضروبة وقد يحرك
فيكون على وزن قمر ٢ يريد استعنت

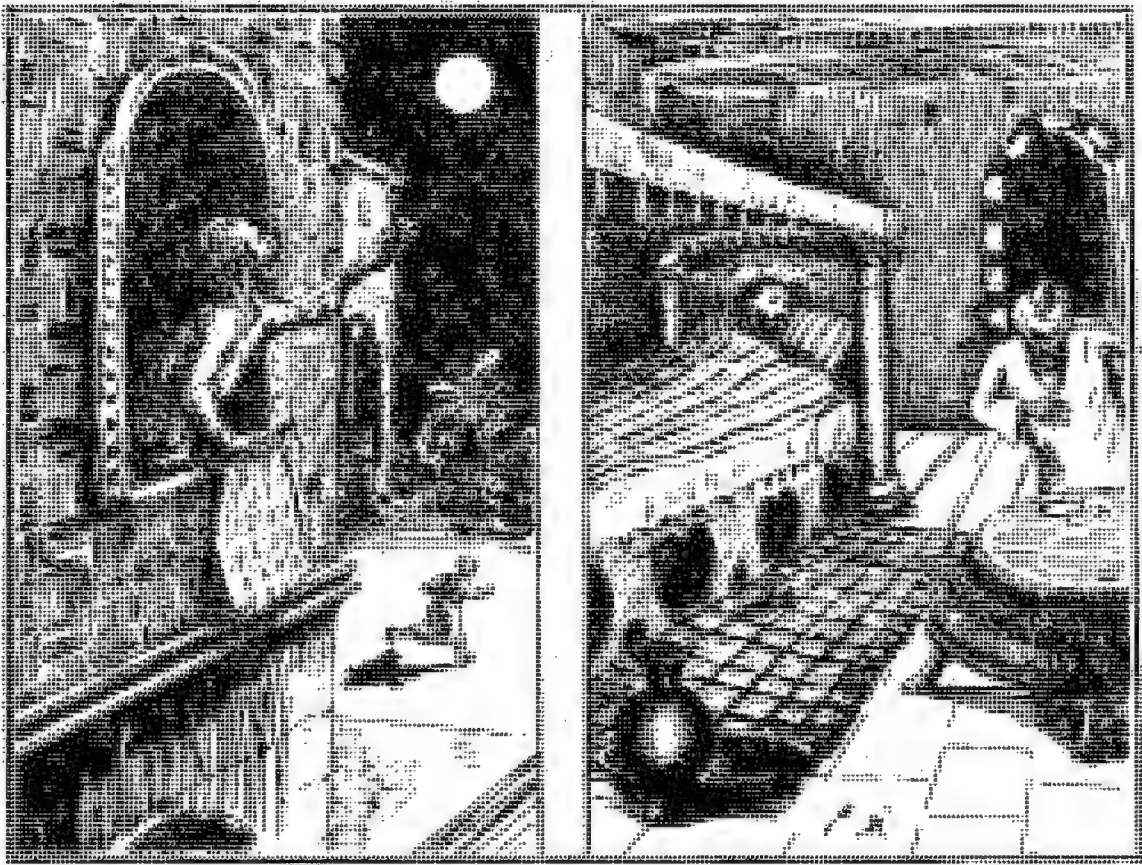
قد فاز بما حمّله لنفسه ، ولم يكن له من ذلك إلا العناء والتعب ، لأنه لم يفكر في آخر أمره . وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما بدا له من خطّه ونقشه . كما لو أن رجلاً قدّم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسّر . وكان أيضاً كالرجل الذي طلب علم الفصيح من كلام الناس ، فأتى صديقاً له من العلماء له علم بالفصاحة ، فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح ، فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه . فانصرف المتعلم إلى منزله ، فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها . ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب ، فأخذ في محاورتهم ، فجرت له كلمة أخطأ فيها ، فقال له بعض الجماعة : إنك قد أخطأت ، والوجه غير ما تكلمت به . فقال : كيف أخطئ



الرجل الجاهل بعجب من تخطئة بعد أن حفظ الصحيفة الصفراء

وقد قرأت الصحيفة الصفراء ؟! وهي في منزلي . فكانت مقالته لم أوجب للحجة عليه ، وزاده ذلك قرباً من الجليل ، وبعداً من الأدب .

ثم إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغي له أن يعمل بما علم منه ، لينتفع به ، ويجعله مثلاً لا يحيد عنه . فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذي زعموا أن سارقاً تسوّر عليه وهو نائم في منزله . فعلم به . فقال : والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أذعره ، ولا أعلمه أني قد علمت به ، فاذا بلغ مراده قمت إليه ، فنغصت ذلك عليه . ثم إنه أمسك عنه ، وجعل السارق يتردد وطال تردده في جمعه ما يجده . فغلب الرجل النعاس فنام . وفرغ اللص مما أراد ، وأمكنه الذهاب .



الرجل شاعر بالبحر يتيقظ نتيحة فطنته الرجل ندعوها (بعبء غفوة) يتمكن البصر من غايته

واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به . فأقبل على نفسه يلومها

وعرف أنه لم ينتفع بعلمه بالصل ، إذ لم يستعمل في أمره ما يجب . فالعلم لا يتم إلا بالعمل . فهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به سمي جاهلاً . ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركب أهواء^١ هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد جهله . ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جرب به هو ، أو أعلمه به غيره كان كالمرضى العالم بردىء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقله ، ثم يحمله الشره^٢ على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علته . وأقل الناس عذراً في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه ، وعرف فضل بعضه على بعض . كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير ، والآخر أعمى ، ساقهما الأجل إلى حفرة فوقعا فيها كانا إذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة ، غير أن البصير أقل عذراً عند الناس من الضير ، إذ كانت له عينان يبصر بهما ، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره ونفعه به وحرمان نفسه منه . ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها ، وليس لها في ذلك شيء من المنفعة . وكدودة القز التي تحكيم صنعته ولا تنتفع به^٣ .

١ الاهواء جمع هوى وهو ديل النفس الى ما تستلذه من الشهوات ، ويريد : وجدها قد زاغت عن الطريقة المثلى ٢ الشره : شدة الحرص في الاكل والشرب وغيرها ٣ دودة القز ويقال لها الدودة الهندية . قالوا انها تكون أولاً بزرراً كحب

فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعِظَةِ نفسه . ثم عليه بعد ذلك أن يُقْبِسَهُ^١ ،
فإن خلا لا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقبسها : منها العلم والمال ، ومنها
اتخاذ المعروف . وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ، ويكون كالأعمى
الذي يُعَيِّرُ الأعمى عماه . وينبغي لمن طلب أمراً أن يكون له فيه غاية ونهاية
يعمل بها ، ويَقِفَ عندها ، ولا يتمادى في الطلب ، فإنه يقال : من سار
إلى غير غاية يُوشِكُ أن تنقطع به مَطِيَّتُهُ ، وأنه كان حقيقاً ألا يُعْنِي نفسه
في طلب ما لا حدَّ له ، وما لم ينله أحد قبله ، ولا يتأسَّفَ عليه ، ولا يكون
لدنيا مُؤثراً على آخرته ، فإن من لم يُعَلِّق قلبه بالغايات قلَّت حسرته عند
مفارقتها . وقد يقال في أمرين إنهما يجملان بكل أحد : أحدهما النُّسكُ^٢ ،
والآخر المال الحلال . ولا يليق بالعاقل أن يُؤَنَّبَ نفسه على ما فاتته وليس
في مقدوره ، فربما أتاح الله له ما يهتأ به ولم يكن في حِسبانِه : ومن أمثال
هذا أن رجلاً كان به فاقة وجوع وعُرى ، فألجأه ذلك إلى أن سأل أقاربه
وأصدقاءه ، فلم يكن عند أحد منهم فضلٌ يعود به عليه . فبينما هو ذات ليلة

التين يخرج من الدود عند فصل الربيع أصغر من الذر وفي لونه ثم يجعل في حق ويوضع
في الأماكن الدفئة حتى إذا ما خرج أطعم ورق التوت ولا يزال يكبر حتى يصير قدر الأصبع
وينتقل من السواد إلى البياض في ستين يوماً على الأكثر ثم يأخذ في النسج على نفسه
بما يخرج من فيه حتى ينقد ما في جوفه منه ويكمل عليه ما يبينه إلى أن يصير في قدر
الجوزة ويصير محبوساً نحو عشرة أيام فإن أريد الانتفاع بحريه ترك في الشمس يوماً أو
بعض يوم حتى يموت ثم أخذ الحرير . وأما أن أريد البذر حفظ من حرارة الشمس بعد
النسج فينقب ويخرج من اللفافة فراش ذو أجنحة ثم تبرز الانثى البذر المذكور من قبل
١ أقبسه العلم وقبسه آياه مكسور العين في المضارع : أعلمه آياه

٢ النسك مثله وبضمتين : العبادة

في منزله إذ بَصُرَ سارق فيه . فقال : والله ما في منزلي شيء أخاف عليه ،
فليجد السارق جهنمه . فبينما السارق يجول إذ وقعت يده على خابية فيها
حنطة . فقال السارق : والله ما أحب أن يكون عنائي الليلة باطلاً ، ولعلني
لا أصل إلى موضع آخر ، ولكن سأحمل هذه الحنطة . ثم بسط قميصه ليصُبَّ
عليه الحنطة . فقال الرجل : أيذهب هذا بالحنطة ؟ وليس ورائي سواها ،
فيجتمع عليّ مع العري ذهاب ما كنت أقتات به ، وما تجتمع والله هاتان
الخلتان على أحد إلا أهلكتا . ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت



الفقير يجد سرور بثوب اللص

الفقير يترصد باليص

عند رأسه ، فلم يكن للسارق حيلة إلا الهرب منه ، وترك قميصه ونجا بنفسه ،
وغدا الرجل به كاسياً^٢ . وليس ينبغي أن يركن إلى مثل هذا ويدع ما يجب

٢ الكاسي المكتسى ضد العريان

١ الهراوة بالكسر : العصا أو الضخمة

وهو من نواذر اللغة

عليه من الحذر والعمل في مثل هذا لصلاح معاشه ، ولا ينظر إلى من
توأتية المقادير وتساعده على غير التماس منه ، لأن أولئك في الناس قليل .
والجمهور منهم من أتعب نفسه في الكد والسعي فيما يصلح أمره ، وينال به
ما أراد . وينبغي أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه . ولا
يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء ، فيكون كالحمامة التي تفرخ الفراخ
فتؤخذ وتذبح ، ثم لا يمنعها ذلك أن تعود فتفرخ موضعها ، وتقيم بمكانها ،
فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح . وقد يقال : إن الله تعالى قد جعل لكل
شيء حداً يوقف عليه . ومن تجاوز في الأشياء حداً أوشك أن يلحقه
التقصير عن بلوغها . ويقال : من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه .
ويقال : في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها :
منها أمر معيشته . ومنها ما بينه وبين الناس . ومنها ما يكسبه الذكر الجميل
بعده . وقد قيل في أمور من كن فيه لم يستقم له عمل : منها التواني . ومنها
تضييع الفرص . ومنها التصديق لكل مخبر . فرب مخبر بشيء عقاله ولا
يعرف استقامته في صدقه . وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهماً ، ولا يقبل
من كل أحد حديثاً ، ولا يتأدى في الخطأ إذا ظهر له خطؤه ، ولا يقدم على
أمر حتي يتبين له الصواب ، وتتضح له الحقيقة ، ولا يكون كالرجل الذي
يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال ، فلا يزداد في السير إلا جهداً ،
وعن القصد إلا بُعداً . كالرجل الذي تقدي عينه فلا يزال يحكها ، وربما
كان ذلك الحك سبباً لذهابها . ويجب على العاقل أن يصدق بالقضاء

والقدَر ، ويأخذ بالحزم ، ويُحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه ، ولا يلمس صلاح نفسه
بفساد غيره ، فانه من فعل ذلك كان خليقاً أن يُصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه
فانه يقال : إنه كان رجل تاجر ، وكان له شريك ، فاستأجرا حانوتا ،
وجعلا متاعهما فيه ، وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت ، فأضمر في
نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه^١ ، ومكر الحيلة في ذلك^٢ . وقال : إن
أتيت ليلاً لم آمن أن أحمل عدلا من أعدالي ، أو رزمة من رزمي^٣ ولا
أعرفها ، فيذهب عنائي وتعي باطلا ، فأخذ رداءه وألقاه على العِدْل الذي
أضمر أخذه . ثم انصرف إلى منزله . وجاء رفيقه بعد ذلك ليُصلح أعداله ،
فوجد رداء شريكه على بعض أعداله . فقال : والله هذا رداء صاحبي ،
ولا أحسبه إلا قد نسيه ، وما الرأي أن أدعه هاهنا ، ولكن أجعله على رزمه
فلعله يسبقني إلى الحانوت فيجده حيث يُحب . ثم أخذ الرداء فألقاه على
عِدْل من أعدال رفيقه ، وأقفل الحانوت ، ومضى إلى منزله . فلما جاء الليل
أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ما عزم عليه ، وضمن له جعلاً على حملة^٤
فصار إلى الحانوت فالتمس الأزار في الظلمة ، فوجده على العِدْل ، فاحتمل
ذلك العِدْل وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحيان على حملة^٥ ، حتي أتى منزله

١ العِدْل بالكسر : الفرارة أى الجواق والجمع عدول وأعدال ٢ لعل مكر
هنا ضمنت معنى أضمر ٣ الرزمة بالكسر : ما جمع في ثوب واحد وقيل قدر
ثلث الفرارة أو ربعها من تمر ودقيق . ومن هنا يعرف أن صاحب المكر السيء إذا
أقدم عليه كان له من نفسه شعور بأن النتيجة ربما عادت عليه بالوبال ٤ الجعل
بالضم ومثله الجعيلة : الأجر الذى يأخذه الإنسان على العمل ٥ يتراوحيان أى
يحملة هذا مرة وذاك أخرى

ورمى نفسه تعباً . فلما أصبح افتقده^١ ، فاذا هو بعض أعداله ، فندم أشدَّ
الندامة^٢ . ثم انطلق نحو الخانوت فوجد شريكه قد سبقه إليه ، ففتح
الخانوت ووجد الغدل مفقوداً ، فاغتم^٣ لذلك غمّاً شديداً ، وقال : وا سواتاه
من رفيق صالح قد ائتمنتني على ماله وخلفني فيه . ماذا يكون حالي عنده ؟
ولست أشك في تهمة إياي . ولكن قد وطئت نفسي على غرامته . ثم أتى
صاحبه فوجده مغتماً . فسأله عن حاله . فقال : إني قد افتقدت الأعدال ،
وفقدت عدلاً من أعدالك ، ولا أعلم بسببه ، وإني لا أشك في تهمة
إياي . وإني قد وطئت نفسي على غرامته . فقال له : يا أخي لا تغتم ، فإن
الخيانة شرّ ما عمله الانسان ، والمكر والخديعة لا يؤديان إلى خير ،
وصاحبهما مغرور أبداً ، وما عاد وبال البغي إلا على صاحبه . وأنا أحد من
مكر وخدع واحتال . فقال له صاحبه : وكيف كان ذلك ؟ ! فأخبره بخبره ،
وقصّ عليه قصته . فقال له رفيقه : ما مثلك إلا مثل اللص والتاجر . فقال
له : وكيف كان ذلك ؟ !

قال : زعموا أن تاجراً كان له في منزله خايتان إحداهما مملوءة حنطة
والأخرى مملوءة ذهباً ، فترقبه بعض اللصوص زماناً . حتى إذا كان بعض
الأيام تشاغل التاجر عن المنزل ، فتغفله اللص ، ودخل المنزل ، وكمن في
بعض نواحيه . فلما همّ بأخذ الحسابة التي فيها الدنانير^٣ أخذ التي فيها
الحنطة ، وظنّها التي فيها الذهب . ولم يزل في كدّ وتعب ، حتى أتى بها منزله

١ أصبح دخل في الصباح وفاعلها هو ٢ كذلك عاقبة الذين أساءوا النية
٣ الحايية : الحب وأصلها الهمز لأنها من خبأت

فلما فتحها وعلم ما فيها ندِم . قال له الخائن : ما أبعدت المثل ، ولا تجاوزت القياس . وقد اعترفتُ بذنبي وخطئي عليك ، وعزيز عليَّ أن يكون هذا هكذا . غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء . فقبل الرجل مَعذرتَه ، وأضرب عن توبيخه وعن الثقة به ، وندِم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقديم جهله

وقد ينبغى للناظر في كتابنا هذا ألا تكون غايته التصفح لتزائيقه . بل يُشرف على ما يتضمَّن من الأمثال ، حتى ينتهي منه ، ويقف عند كل مثل وكلمة ، ويُعمل فيها رويته ، ويكون مثل أصغر الإخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعهم بينهم : فأما الكبيران فانهما أسرعاً في إتلافه وإنفاقه في غير وجهه . وأما الصغير فانه عند ما نظر ما صار إليه أخواه من إسرافهما وتخليهما من المال أقبل على نفسه يُشاورها . وقال : يا نفسي ، إنما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه ، لبقاء حاله وصالح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس ، واستغنائه عما في أيديهم ، وصرفه في وجهه من صلة الرِّحِم ، والإِنفاق على الولد ، والإِفضال على الإخوان ، فمن كان له مال ولا ينقعه في حقوقه كان كالذي يُعدُّ فقيراً وإن كان مُوسراً ، وإن هو أحسن إمساكه والقيام عليه لم يعدم الأمرين جميعاً : من دنيا تبقى عليه ، وحمد يُضاف إليه . ومتى قصدَ إنفاقه على غير الوجوه التي عَلمت لم يلبث أن يُتلفه ويبقى على حَسرة وندامة . ولكن

١ يقال أشرف عليه : أطل ولا يكون ذلك إلا من عل . ولما كان المطل على الشيء يكون متحققاً منه استعملت هنا يشرف بمعنى يحقق ويدقق

الرأى أن أمسك^١ هذا المال ، فاني أرجو أن ينفَعني الله به ، ويُغني أخويَّ على يديَّ ، فانما هو مال أبي ومال أبيهما ، وإن أولى الإنفاق على صلة الرَّحيم وإن بُعدت ، فكيف بأخويَّ؟! فأنفذ فأحضرهما ، وشاطرهما ماله . وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يُديم النظر فيه من غير ضَجَر ، ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظنَّ أن نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين ، أو محاورة سبعٍ لثور ، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود . ويكون مثله مثل الصيَّاد الذي كان في بعض الخلجان يصيد فيه السمك في زورق^٢ ، فرأى ذات يوم في أرض الماء صدقة تتلأُّ حسناً ، فتوَّهمها جوهراً له قيمة ، وكان قد ألقى شبكته في البحر ، فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه ، فخلاها^٣ وقذف نفسه في الماء ليأخذ الصدقة^٤ .



(١) الصائد شرح بالصدقة (٢) الصائد يندم على التردد في شاطئ

فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن ، فندم على ترك ما في يده

- ١ أمسك الشيء : حبسه والمراد وقفه على نفسه ٢ سفينة صغيرة
٣ تركها ٤ الصدقة : واحدة الصدف وهو غشاء الدر

للطمع ، وتأسف على ما فاته . فلما كان اليوم الثاني تنحى عن ذلك المكان وألقى شبكته ، فأصابت حوتا صغيراً ، ورأى أيضاً صدقة سنية فلم يلتفت إليها ، وساء ظنه بها ، فتركها . فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها ، فوجد فيها دُرّة تساوى أموالاً . وكذلك الجهال إذا أغفلوا أمر التفكير في هذا الكتاب وتركوا الوقوف على أسرار معانيه ، وأخذوا بظاهره . ومن صرف همهته إلى النظر في أبواب الهزل كان كرجل أصاب أرضاً طيبة حرّة وحبّاً صحيحاً ، فزرعها وسقاها ، حتى إذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك ، فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة ، وأجمل عائدة وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على السنة البهائم غير الناطقة ، ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشبان ، فتستمال به قلوبهم ، لأنه هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات

والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ، ليكون أنساً لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشدّ للنزهة في تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة ، فيتخذ الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل ، فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدأً

والغرض الرابع وهو الأقصى . وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة .
(انتهى باب عرض الكتاب)

باب برزويه ، ترجمة بزرجمهر بن البختگان^١

قال برزويه رأس أطباء فارس وهو الذي تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند « وقد مضى ذكر ذلك من قبل » : إن أبي كان من المقاتلة ، وكانت أمي من عظماء بيوت الزمزمة^٢ ، وكان منشئ في نعمة كاملة ، وكنت أكرم ولد أبوي عليهما ، وكانا بي أشد احتفاظاً من دون إخوتي . حتى إذا بلغت سبع سنين أسلماني إلى المؤدب ، فلما حذقت في الكتابة شكرت أبوي ، ونظرت في العلم ، فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب ، لأنني كنت عرفت فضله . وكلما سددت منه علماً ازددت فيه حرصاً وله أتباعاً . فلما هممت نفسي بمداواة المرضى ، وعزمت على ذلك أمرتها ، ثم خيرتها بين الأمور الأربعة التي يطلبها الناس وفيها يرغبون ، ولها يسعون ، فقلت : أي هذه الخلال أبتغي في عملي ؟

١ أما برزويه فهذا الباب جميعه في تأريخ حياته . وأما بزرجمهر فهو — كما قالوا — وزير كسرى أنوشروان العادل كان عاقلاً سديد الرأي ظهرت عليه سيما العقل وحصافة الرأي فاستوزره كسرى لذلك وجعل له المقام الأول حتى أصبح لا يبت في أمر إلا استشاره فيه ، وبزرجمهر هذا تروى أقاويل كثيرة تنبئ عن قوة فهمه وسمو ادراكه

٢ المقاتلة والزمزمة طائفتان من المجوس وتنسب الأخيرة الى الزمزمة وهو الكتاب الذي زعم زرادشت انه أوحى اليه به . وأقسام هذا الكتاب ثلاثة : قسم في أخبار الأمم الماضية وقسم في حديثان المستقبل وقسم في نواذيرهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبله وأن الصلوات في الطلوع والزوال والغروب وانها ذات سجدة ودعوات . وجدد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوشهر أخذها ورتب لهم عيدين : النيزوز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي

وأياها أخرى بي ؟ فأدرك منها حاجتي (أmaal ؟ أم الذكر ؟ أم اللذات ؟ أم الآخرة ؟) وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء من واظب على طبه ، لا يبتغي إلا الآخرة فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة ، لئلا أكون كالتاجر الذي باع ياقوتة ثمينة بخززة لا تساوي شيئاً . مع أني قد وجدت في كتب الأولين أن الطبيب الذي يبتغي بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا . وأن مثله مثل الزارع الذي يعمر أرضه ابتغاء الزرع ، لا ابتغاء العشب^١ ، ثم هي لا محالة^٢ نابت فيها ألوان العشب ، مع يانع الزرع^٣ . فأقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة . فلم أدع مريضاً أرجو له البرء ، وآخر لا أرجو له ذلك إلا أني أطمع أن يخف عنه بعض المرض ، إلا^٤ بالغت في مداواته ما أمكنني القيام عليه بنفسى ، ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح ، وأعطيته من الدواء ما يتعالج به ، ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ، ولم أغبط^٥ أحداً من نظرائي الذين هم دوني في العلم ، وفوقي في الجاه والمال وغيرهما ، مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولاً ولا عملاً . ولما تآقت

١ العشب : الكلاً الرطب في أول الربيع قالوا ولا يقال له حشيش حتى يهيج ويدخل فيه أحرار البقول وذكورها ٢ لا محالة : كلمة توضع موضع لا بد ولا حيلة وهي مفعلة من الحول والقوة ٣ يريد الزرع الناضج ٤ لا هنا والسابقة بمعنى الواو وهي عاطفة وليس لها معنى للاستثناء ٥ يقال غبط فلاناً بما ناله غبطاً بالفتح وغبطة بالكسر وفعله كضرب وعلم : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه لما أعجبه منه وعظم عنده وهذا جائز وليس بحسد . فان تمنيت زوال ما عنده فهو الحسد ، وهناك فرق آخر في الاستعمال وهو أن غبط تتعدى الى الثاني بالباء ، وأما حسد فتعدى اليه بعل

نفسى إلى غشيانهم^١ ، وتمنت منازلهم ، أثبت لها الحصومة . فقلت لها :
يا نفس^٢ أما تعرفين^٣ نفك من ضرك ! ألا تتبين عن تمنى ما لا يناله
أحد إلا قل انتفاعه به ! وكثر عناؤه فيه ، واشتدت المؤونة عليه ، وعظمت
المشقة لديه بعد فراقه . يا نفس^٤ أما تذكرين ما بعد هذا الدار ! فيُنسبك
ما تشرهين إليه منها ، ألا تستحيين من مشاركة الفجار في حب هذه
العاجلة الفانية التي من كان في يده شيء منها فليس له ، وليس بباق عليه ،
فلا يآلفها إلا المغترُّون الجاهلون : يا نفس انظري في أمرك ، وانصرفي عن
هذا السفة ، وأقبلى بقوتك وسعيتك على تقديم الخير ، وإياك والشر^٥ .
واذكرى أن هذا الجسد موجود لأفان ، وأنه مملوء أخلاطا فاسدة قذرة ،
تعقدها الحياة ، والحياة إلى نفاذ ، كالصنم^٦ المفصلة أعضاؤه ، إذا رُكبت
ووضعت يجمعها مسار واحد ويضم بعضها إلى بعض ، فإذا أخذ ذلك
المسار تساقطت الأوصال . يا نفس لا تغترى بصحبة أحبائك وأصحابك
ولا تحرصى على ذلك كل الحرص ، فإن صحبتهم على^٧ ما فيها من السرور

١ غشيم : نزل عليهم وحل دارهم ٢ نفس منادى مضاف الى ياء المتكلم
ثم حذف الياء وكسر ما قبلها دليلا عليها أو قلبت ألفاً وحذفت وفتح ما قبلها دليلا على
الألف المحذوفة ٣ أما هنا حرف عرض (وهو الطلب برفق ولين) بمعنى لولا
وهى بهذا المعنى خاصة بالفعل ، وقيل الهمزة للاستفهام وما نافية ٤ لم تحذف
الياء وحينئذ يجوز سكونها وتحريكها بالفتح وهذان النوعان وما تقدمهما أربعة يزداد
عليها اثبات الياء بعد قلبها ألفاً فيكون المجموع خمسة أوجه تجوز في كل منادى أضيف
الى ياء المتكلم ٥ اياك : محذر ، والشر محذر منه . وفي اعراب مثل هذا التركيب
أقوال أسهلها انهما معمولان لعاملين واجب حذفهما وتقدير الجملة (اياك باعدوا حذر الشر)
٦ الصنم تمثال على هيئة انسان أو حيوان ٧ على هنا بمعنى مع

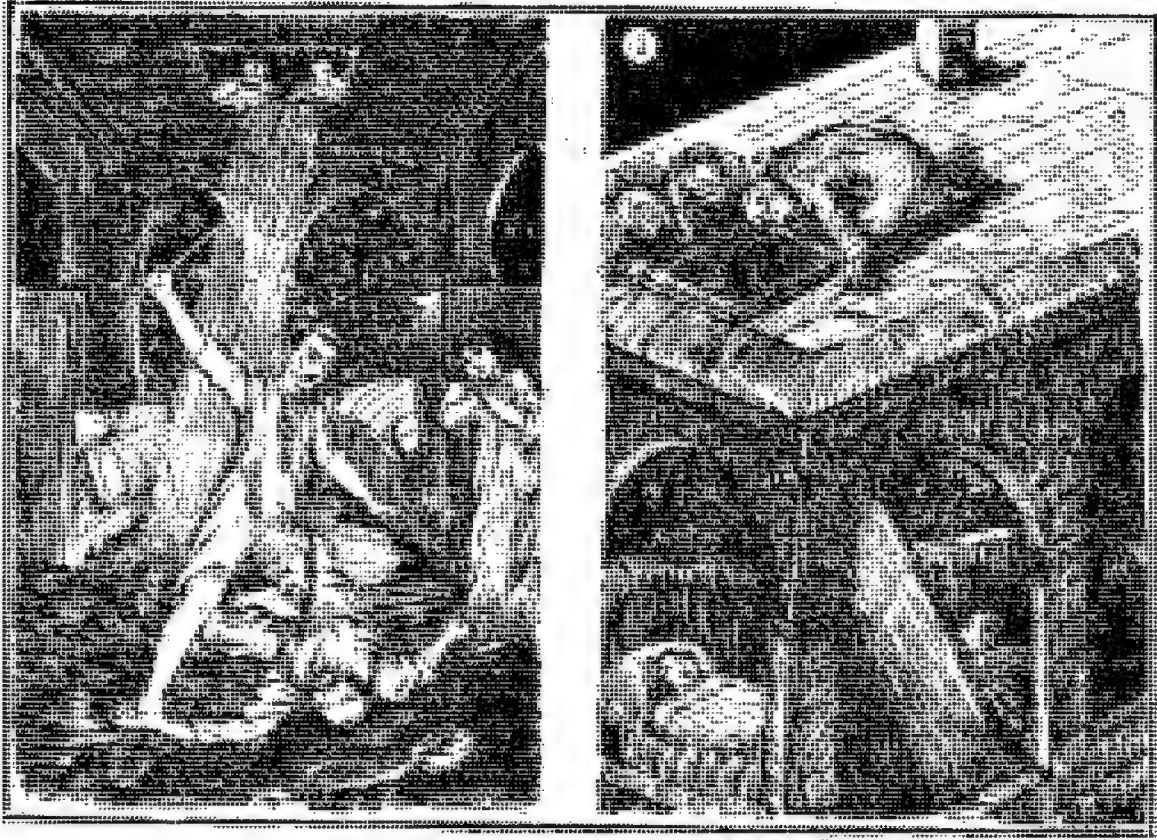
كثيرة المؤونة ، وعاقبة ذلك الفراق . ومثلها مثل المغرقة التي تستعمل في
حديثها^١ لسخونة المرق ، فإذا انكسرت صارت وقوداً : يا نفس لا يحملنك
أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم ، فإذا أنت^٢
كالدخنة الأرجة^٣ التي تحترق ويذهب آخرون بريحتها . يا نفس لا يبعد
عليك أمر الآخرة ، فتميل إلى العاجلة في استعجال القليل ، وبيع الكثير
باليسير ، كالتاجر الذي كان له ملء بيت من الصندل^٤ ، فقال : إن بعته وزنا
طال علي ، فباعه جزافاً^٥ بأبخس الثمن . وقد وجدت آراء الناس مختلفة ،
وأهواءهم متباينة ، وكل على كل راد ، وله عدو ومغتتاب ، ولقوله مخالف .
فلما رأيت ذلك لم أجد إلى متابعة أحد منهم سبيلاً ، وعرفت أني إن
صدقت أحداً منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع ، لذي
زعموا في شأنه : أن سارقاً علا ظهر بيت رجل من الأغنياء ، وكان معه
جماعة من أصحابه ، فاستيقظ صاحب المنزل من حركة أقدامهم ، فعرف
امراته ذلك ، فقال لها : رويداً^٦ ، إني لأحسب اللصوص علواً البيت ،

١ من قولهم حدث السكين حدة بالكسر وفعالها كضرب تشجنت ورق حدها
٢ إذا هنا حرف مفاجأة تختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ومعناها الحال
وتقع رابطة بين الشرط والجواب إذا كانت الأداة إذا أو إن ٣ الدخنة بالضم :
ذريعة يبخر بها البيوت . والأرجة : ذات الرائحة الطيبة ٤ الصندل : شجر هندي
طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب أخضر وعناقيد وأما الصندل الأحمر فهو مسحوق
قشر هذا الشجر يستعمل لتلوين بعض المستحضرات . وأما الأصفر فهو شجر يستخرج
من قشره عطر هو المستعمل في الطب كما أنه المراد في هذا المقام ٥ الجزاف : بيع
الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه ٦ رويداً مصدر أرود مصغراً تصغير الترخيم بطرح
جميع الزوائد تقول رويداً أي مهلاً وهو المعنى هنا . وهو يستعمل في أربعة أوجه :

فَأَيُّظَنِي بِصَوْتِ يَسْمَعُهُ اللَّصُوصُ ، وَقُولِي : أَلَا^١ تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ
أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ، فَإِذَا نَهَيْتَكَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ
فَأَلْحِي عَلَى السُّؤَالِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا ، وَأَنْصَتَ اللَّصُوصُ
إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهَا . فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : أَيُّهَا الْمَرْأَةُ^٢ قَدْ سَأَلَكَ الْقَدَرُ إِلَى رِزْقٍ
وَاسِعٍ كَثِيرٍ ، فَكُلِّي وَاسْكُتِي ، وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ لَمْ أَمْنِ أَنْ
يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهُ هُنَّ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي
أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَعَمْرِي^٣ مَا بَقَرْنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أَخْبِرُكَ
أَنِّي لَمْ أَجْعِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ ! وَمَا
كَانْتَ تَصْنَعُ ؟ ! قَالَ : ذَلِكَ لَعَلَّ أَصْبَتَهُ فِي السَّرِقَةِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى يَسِيرٍ
وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهَمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِيَّ . قَالَتْ : فَاذْكُرْ لِي ذَلِكَ . قَالَ :
كَانَتْ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَقْمَرَةِ أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَعْلُو دَارَ بَعْضِ الْأَغْنِيَاءِ
مِثْلَنَا ، فَأَنْتَهَيْتُ إِلَى الْكُوَّةِ^٤ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوْءُ ، فَأَرَقِي بِهِذِهِ الرُّقِيَّةَ ،
وَهِيَ (شَوْلْمُ شَوْلْم) سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنُقُ الضَّوْءَ ، فَلَا يُحَسُّ وَقَوْعِي أَحَدٌ ،
فَلَا أَدْعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتَهُ . ثُمَّ أَرَقِي بِتِلْكَ الرُّقِيَّةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنُقُ

اسم فعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ، فالاسم نحو رويداً عمراً بمعنى أمهله والصفة
نحو ساروا سيراً رويداً والحال نحو سار القوم رويداً والمصدر نحو رويد عمر بالاضافة
وتلحقه كاف الخطاب فتصرف فتقول رويدك ورويدكما الخ ١ ألا هنا للعرض كالسابقة
٢ المرأة بدل من لفظ أي لأنه جامد ٣ الفاء : فاء الفصيحة وهي الواقعة في
جواب شرط مقدر فكأنها قالت اذا شئت أن تفصح عن حالك فوالله ما بقربنا أحد
يسمعنا واللام على ذلك للابتداء . وعمرى مبتدأ محذوف وجوبا تقديره قسمي
٤ الكوة : الحرق في الخائط

الضوء ، فيجد بني فأصعد إلى أصحابي ، فتمضي سالمين آمنين . فلما سمع



الضوء اعترفوا بخدمته

الصوص يستمعون قول البشري وهم على سطح المنزل

الصوص ذلك قالوا : قد ظفّرنا الليلة بما نريد من المال . ثم إنهم أطلوا
المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد هجعا . فقام قائدهم إلى
مدخل الضوء وقال : (شولم شولم) سبع مرات . ثم اعتنق الضوء لينزل إلى
أرض المنزل ، فوقع على أم رأسه منكسًا ، فوثب إليه الرجل بهراوته ، وقال
له : من أنت ؟ قال : أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدًا ، وهذه
ثمرة رقيتك — فلما تحرّزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن صدّقه أن
يوقعني في مهلكة ، عدت إلى طلب الأديان والتماس العدل منها ، فلم أجد
عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ، ولم أرفيا كلفوني به شيئا يحق
لي في عقلي أن أصدق به ولا أن أتبعه . فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه

١ قلت هنا يجوز أن تكون بمعنى أحبت من قول العرب قال به : أحبه ، وحينئذ

الرأى أن ألزم دين آبائى وأجدادى الذين وجدتهم عليه . فلما ذهبت ألتبس العذر لنفسى فى لزوم دين الآباء والأجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة ، بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الأديان والمسألة عنها^١ وللنظر فيها . فمَجَسَّ^٢ فى قلبي وخطر على بالي قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط^٣ أهلها وتخرم الدهر حياتهم^٤ ، ففكرت فى ذلك . فلما خيفت من التردد والتحوُّل رأيت ألا أتعرض لما أتخوَّف منه المكروه ، وأن أقصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الأديان ، فكيفت يدي عن القتل والضرب وطرحت نفسى عن المكروه والغضب^٥ والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة^٦ ، وأضمرت فى نفسى ألا أبغى على أحد ، ولا أكذب بالبعث ، ولا القيامة ، ولا الثواب ولا العقاب . وزايلت الأشرار بقاى ، وحاولت الجلوس مع الأخيار بجهدى ، ورأيت الصلاح ليس كمثله^٧ صاحب ولا قرين ، ووجدت مكسبه — إذا وفق الله وأعان — يسيراً ، ووجدته يدل على الخير ، ويشير بالنصح ، فعل^٨ الصديق بالصدق ، ووجدته لا ينقص

يكون المعنى (فأحببت) أن ألزم دين آبائى ، والباء محذوفة مع ان ألزم قياساً ، أو تكون قلت بمعنى (رأيت) وليس هنا حذف . والمعنى على كليهما مقبول
١ السؤال ٢ بمعنى خطر ٣ الاعتباط : الموت ٤ أصل التخرم : القطع والاستقبال ويريد اهلاكهم ٥ الغضب : تثير يحصل عند غليان الدم ليحصل عنه التشنج للصدر ٦ الغيبة بالكسر : أن تذكر غيرك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبتته وان لم يكن فيه فقد بهته أى قلت عليه ما لم يفعله ٧ الكاف . زائدة والمعنى ليس شيء مثله ففى داخله على الخبر المقدم وقد منع ظهور فتحته حركة الكاف ٨ فعل : يرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف يقدر بقوله و (ذلك فعل) . وأما النصب فلا أنه مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره (يفعل فعل)

على الإنفاق منه ، بل يزداد جِدَّةً وحُسْنًا ، ووجدته لا خوف عليه من
السلطان أن يَغْصِبَهُ ، ولا من الماء أن يُغْرِقَهُ ، ولا من النار أن تُحْرِقَهُ ،
ولا من اللصوص أن تَسْرِقَهُ ، ولا من السباع وجوارح الطير أن تُمزِّقَهُ ،
ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير يناله في يومه وَيَعْدِمُهُ في غده
على الكثير الباقي نعيمه ، يُصِيبُهُ ما أَصَابَ التاجر الذي زعموا أنه كان له
جوهر نفيس ، فاستأجر لثَقْبَهُ رجلاً في اليوم بمائة دينار ، وانعَلَمَ به إلى
منزله ليعمل ، وإذا في ناحية البيت صَنْجٌ موضوع . فقال التاجر للصانع :
هل تُحَسِّنُ أن تلعب بالصَنْجِ^١ ؟ قال : نعم . وكان بلعبه ماهراً . فقال التاجر :
دونك والصَنْجِ^٢ ، فأسمعنا ضربك به . فأخذ الرجل الصَنْجَ ، ولم يزل يُسمع



صاحب اللؤلؤ وثاقبه تينازمان

ثاقب اللؤلؤ يضرب بالصنج

١ الصنج بالفتح : صحيفة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى فتحدث صوتاً
يطرب منه سامعوه إذا كان للضارب به مهارة فيه ٢ دون : اسم فعل بمعنى خذ ، والواو زائدة

التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع ، والتاجر يُشير بيده ورأسه طرباً ،
حتى أمسى^١ . فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر : مُر لي بالأجرة . فقال له
التاجر : وهل عَمِلْتَ شيئاً تستحقُّ به الأجرة ؟ فقال له : عَمِلْتُ ما أَمَرْتَنِي
به ، وأنا أَجِيرُكَ ، وما استعملتني عَمِلْتُ . ولم يزل به حتى استوفى منه مائة
دينار ، وبقي جوهره غير مثقوب . فلم أزد في الدنيا وشهواتها نظراً إلا
ازددت فيها زهادة ، ومنها هرباً . ووجدت النَّسْكَ هو الذي يمهّد للمعاد^٢ ،
كما يمهّد الوالد لولده . ووجدته هو^٣ الباب المفتوح إلى النعيم المقيم . ووجدت
الناسك قد تدبّر فعلته بالسكينة ، فشكر وتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضي ولم
يهم ، وخلع الدنيا فنجا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار طاهراً ،
واطرح الحسد فوجبَت له المحبة ، وسخّت نفسه بكل شيء ، واستعمل
العقل وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يخف الناس ، ولم يدب اليهم ،
فسلم منهم . فلم أزد في أمر النَّسْكَ نظراً إلا ازددت فيه رغبة ، حتى هَمَمْتُ
أن أكون من أهله . ثم تخوّفت ألا أصبر على عيش الناسك ، ولم آمن
— إن تركت الدنيا وأخذت في النَّسْكَ — أن أضعف عن ذلك ، ورفضت
أعمالاً كنت أرجو عائدتها^٤ ، وقد كنت أعملها فأنفع بها في الدنيا ، فيكون
مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مرّ بنهر وفي فيه ضلع^٥ ، فرأى ظلها في
الماء ، فهوى لياخذها ، فأتلف ما كان معه ، ولم يجد في الماء شيئاً . فهبّت

١ أي دخل في المساء وعم الظلام ٢ المعاد إعادة الاجسام في اليوم الآخر

٣ هو : ضمير فصل ليس له محل من الاعراب ، والباب : المفعول الثاني لوجد

٤ منفعتها ٥ لأن الضلع مؤنثة

النسك مهابة شديدة ، وخِفت من الضجر وقلة الصبر ، وأردت الثبوت على
حالي التي كنت عليها . ثم بدا لي أن أسبر ما أخاف ألا أصبر عليه من
الأذى والضيق والحشونة في النسك ، وما يُصيب صاحب الدنيا من البلاء .
وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا ولذاتها إلا وهو متحول إلى
الأذى ومولد للحزن . فالدنيا كالماء المالح الذي لا يزداد شارب به شرباً إلا
ازداد عطشاً . وهي كالعظم الذي يُصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم ، فلا
يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمى فاه . وكالحيدة^١ التي تظفر بقطعة من
اللحم ، فيجتمع عليها الطير ، فلا تزال تدور وتدأب حتى تعيا وتعطب ،
فإذا تعبت ألقت ما معها . وكالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي
يُذاق منه حلاوة عاجلة ، وآخره موت ذعاف^٢ . وكأحلام النائم^٣ التي يفرح
بها الإنسان في نومه ، فإذا استيقظ ذهب الفرح . فلما فكرت في هذه
الأمر رجعت إلى طلب النسك ، وهزني الاشتياق إليه . ثم خاصمت
نفسى إذ هي في شرورها سارحة ، وقد لا تثبت على أمر تعزم عليه كقاض
سميع من خصم واحد فخكم له ، فلما حضر الخصم الثاني عاد إلى الأول
وقضى عليه . ثم نظرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقه ،

١ الحيدة بكسر ففتح هي الطائر المعروف وتعد من أخس الطير إلا في المجاورة
فإنها لا تخطف فراخها من الطيور وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثاً وخرج منها
ثلاثة أفراخ ومدة حضانتها عشرون يوماً . وهي أمارسوداء أو رمداء وتخطف فريستها
خطفاً وتمتاز عن غيرها بوقوفها في الطيران ولم يكن ذلك لغيرها من الطيور ٢ قاتل
٣ الأحلام جمع حلم بضمين وهو ما يراه النائم في منامه خيراً كان أو شراً كالرؤيا
وربما فرقوا بينهما فجعلوا الحلم للشر والرؤيا للخير

فقلت : ما أصغر هذه المشقة في جانب رَوْح الأبد وراحته ! ثم نظرت فيما
تشره إليه النفس من لذة الدنيا ، فقلت : ما أمرّ هذا وأوجعه ! وهو يدفع
إلى عذاب الأبد وأهواله . وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها
حلاوة طويلة ؟ ! وكيف لا تمرّ عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة ؟ ! وقلت :
لو أن رجلاً عرّض عليه أن يعيش مائة سنة لا يأتي عليه يوم واحد إلا
بُضع منه بضعة^١ ، ثم أعيد عليه من الغد ، غير أنه يُشرط له إذا استوفى
السنين المائة نجا من كل ألم وأذى ، وصار إلى الأمن والسرور كان حقيقاً
ألا يرى تلك السنين شيئاً . وكيف يأتي الصبر على أيام قلائل يعيشها في
النسك ، وأذى تلك الأيام قليل يعقب خيراً كثيراً ؟ ! فلنعلم أن الدنيا
كلها بلاء وعذاب . أوليس الإنسان إنما يتقلب في عذاب الدنيا من
حين يكون جنيناً إلى أن يستوفى أيام حياته ؟ ! فإذا كان طفلاً ذاق من
العذاب ألواناً : إن جاع فليس به استطعام ، أو عطش فليس به استسقاء ،
أو وجع فليس به استغائة ، مع ما يلقي من الوضع والحمل واللف والدّهن
والمسح . إن أنيم على ظهره لم يستطع تقلّباً ، ثم يلقي أصناف العذاب مادام
رضيعاً ، فإذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ في عذاب الأدب^٢ ، فأذيق
منه ألواناً : من عُنْف المعلم وضجر الدرس وسامة الكتابة . ثم له من الدواء
والحمية والأسقام والأوجاع أوفى حظ . فإذا أدرك كانت همته في جمع المال
وتربية الولد ومخاطرة الطلب ، والسعي والكد والتعب . وهو مع ذلك يتقلب

١ بضع : قطع ، والبضعة بالفتح وتكسر : القطعة من اللحم ٢ المراد من
الادب هنا التعليم

مع أعدائه الباطنية اللازمة له : وهي الصفراء والسوداء والرييح والبنغم والدم^١ والسم المميت والحية اللادغة ، مع الخوف من السباع ، والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح . ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه . فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً ، وكان قد آمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها ، لوجب أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ، ويتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الأحبة والأهل والأقارب وكل مضمون به من الدنيا ، والإشراف على الهول العظيم بعد الموت . فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقاً أن يُعدّ عاجزاً مفرطاً محبباً للدناءة مستحقاً للوم . فمن ذا الذي يعلم ولا يحتال لغد جهده في الحيلة ، ويرفض ما يشغله ويلهبه من شهوات الدنيا وغرورها ، ولا سيما^٢ في هذا الزمان الشبيه بالصافي وهو كدير فإنه وإن كان الملك حازماً ، عظيم المقدرة ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ،

١ الاخلاط الاربعة : كذا يذكر الطب القديم ويعنى من ذلك : الصفراء والسوداء والدم والبنغم ولكل تعريف خاص به ومركز من جسم الانسان ٢ أما لاسيما فلا نذكر منها هنا الاحكام المعروفة بكتاب المعارف بل نزيد عليها انها قد يلبها ظرف وشرط وجار ومجرور وفعل ، وكل هذه الانواع في قوة الجملة (غير الاخير) ولها حكم الجملة الواقعة بعد لاسيما . ولا يجوز حذف (لا) منها وذكر ثعلب وجوب ذكر الواو قبل لا ، ولكنها وردت بغيرها ، وكذلك لا يجوز أن يؤتى بعدها بواو فلا تقول : لاسيما والامر كذا ، وكذلك سمع تخفيف الياء

ومثل لاسيما في جميع أحكامها : لاسيما وسواها ، وقيل يشبهها أيضاً لا ترما ، ولو ترما ، الا أن هذين لا يلبهما الا الرفع ، ويتعين حينئذ أن تكون ما موصولة مفعولا ل ترى وأما (تر) فهو مجزوم (بلا) حذف منه الألف ، والمرفوع بعده خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة ، وأما بعد لو فحذفت الألف شذوذاً مثال ذلك قام القوم لا ترما زيد ، والتقدير لا تبصر — أيها المخاطب — الشخص الذي هو زيد ، فانه في القيام أولى به منهم ولو كانت مكان (لا) (لو) كان التقدير لو تبصر الذي هو زيد لرأيت أنه أولى بالقيام منهم

عدلاً مرجوًّا صدوقاً شكوراً ، رَحْبُ الذراع^١ مفتقداً^٢ مواظباً مستمراً عالماً
بالناس والأُمور ، محباً للعلم والخير والأخيار ، شديداً على الظلمة ، غير جبان
ولا خفيف القياد ، رفيقاً بالتوسع على الرعية فيما يحبُّون والدفع لما يكرهون .
فإننا قد نرى الزمان مُدبراً بكل مكان . فكأن أُمور الصدق قد نُزعت من
الناس ! فأصبح ما كان عزيزاً فقده مفقوداً ، وموجوداً ما كان ضائعاً وجوده .
وكأن الخير أصبح ذابلاً ! والشر ناضراً ! وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله !
وكأن الحق ولى كسيراً^٣ ! وأقبل الباطل تابعه ! وكأن اتباع الهوى وإضاعة
الحكم أصبح بالحكام موكلًا ، وأصبح المظلوم بالحيف مقرراً ، والظالم لنفسه
مستطيلاً ! وكأن الحرص أصبح فاعراً^٤ فاهٍ من كل جهة يتلقف ما قرب
منه وما بُعد ! وكأن الرضا أصبح مجهولاً ! وكأن الأشرار يقصدون السماء
صعوداً ! وكأن الأخيار يريدون بطن الأرض ! وأصبحت المروءة مقدوفاً
بها من أعلى شرف إلى أسفل درك ، وأصبحت الدناءة مُكرَّمةً مُمكنةً ،
وأصبح السلطان منتقلاً عن أهل الفضل إلى أهل النقص ! وكأن الدنيا
جذلة مسرورة ، تقول : قد غُيِّبت الخيرات ، وأُظْهِرت السيئات . فلما
فكرت في الدنيا وأُمورها وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ،
ثم هو لا يتقلب إلا في الشرور والهموم ، عرفت أنه ليس إنسان ذو عقل يعلم
ذلك ثم لا يحتال لنفسه في النجاة ، فعجبت من ذلك كل العجب . ثم نظرت
فإذا الإنسان لا يمنعُه عن الإحتيال إلا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من

١ أى واسع الخلق ، ويراد من الذراع أيضاً : النفس ٢ افتقد الشيء : طلبه في
غيبته ، والمراد أنه بجائنة ٣ الكسير : المكسور ، والمراد المهزوم ٤ أى فاتحاه

الشمّ والذّوق والنظر والسمع واللمس ، لعلّه يُصيب منها الطفيف ، أو يقتنى منها اليسير . فإذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتمتست للإنسان مثلاً ، فإذا مثله مثل رجل نجى من خوف فيل هائج إلى بئر ، فتدلى فيها ، وتعلق بغصنين كانا على سماءها ، فوقعت رجلاه على شيء في طيّ البئر ، فإذا حياّت أربع ، قد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن . ثم نظر فإذا في قاع البئر تين فاح فاه ، منتظر له ليقع فيأخذه



الرجل ساقطان في التين

الرجل في البئر وقد شغلته ملاوة العسل

فرفع بصره إلى الغصنين ، فإذا في أصلهما جرّذان : أسود وأبيض ، وهما

١ التين من الحيوانات التي كثر فيها القال واختلف في وجودها ، فمن المؤرخين من يقول انه حيوان خرافي وهمي ليس له صورة في الوجود ، ومنهم من ذكر له أوصافاً وقوة وضخامة ومسكناً . أما الأوصاف فتارة يجعلونه أفعى هائلة وطوراً يجعلونه حيواناً ذا أرجل يسكن الصحارى أو يسكن الأنهار أو بلا أرجل ويقوى على السباحة وربما أصبح أسراباً أسراباً ويقولون ان له صغيراً حاداً وبطشاً يصرع الفيل الشديد ويلتذ بسباع الأنعام على أن مسافة الحلف واسعة لا طائل تحتها والمسألة هنا مسألة فرض وتمثيل

يقرضان الفصنين دائبين لا يفتران ، فينما هو في النظر لأمره ، والاهتمام
لنفسه ، إذا أبصر قريباً منه كواراة فيها عسل نحل^١ ، فذاق العسل ، فشغلته
حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتبس الخلاص
لنفسه ، ولم يذكر أن رجله على حيات أربع ، لا يدرى متى يقع عليهن ،
ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الفصنين ، ومتى انقطعا وقع على التنين .
فلم يزل لاهياً غافلاً مشغولاً بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك ،
فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ، وخافاتٍ وعاهاتٍ . وشبهت
بالحيات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن ، فإنها متى هاجت أو
أحدها كانت كحمة^٢ الأفاعي والسّم المميت . وشبهت بالفصنين الأجل
الذي لا بدّ من انقطاعه . وشبهت بالجرذين الأسود والأبيض الليل والنهار
الذين هما دائبان في إفناء الأجل . وشبهت بالتنين المصير الذي لا بدّ منه .
وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشم
ويلمس ويتشاغل عن نفسه ، ويلهو عن شأنه ، ويصدّ عن سبيل قصده .
فحينئذ صار أمرى إلى الرضا بحالى وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملى ،
لعلّ أصادف باقى أيامى زمانا أصيب فيه دليلاً على هداى ، وسلطانا على

١ اذ (هنا) عند ابن الشجرى زائدة للتوكيد وعند غيره حرف للمفاجأة (كابن
مالك والشلوبيني) وعند آخرين ظرف فمن قال انها ظرف أعربها بدلاً وعلقها بمحذوف
يدل عليه الكلام وقولهم اذ نحن اذ ذاك فعلى تقدير الخبر فى الموضعين أى اذ نحن
متألفون واذ ذاك كأننى ٢ الكواراة بالضم وتكسر وتشدد الواو شىء يتخذ للنحل
من القضببان أو الطين ضيق الرأس ٣ الحمة بالضم : الابرة التى تضرب بها
العقرب ونحوها ، أو تلدغ به الحية وغيرها

نفسى ، وقواما لأمرى . فأقمت على هذه الحال ، وانتسخت كتباً كثيرة ،
وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب .
(انقضى باب برزويه المتطبب)

باب الأسد والثور وهو أول الكتاب

قال دبشليم^١ الملك لبيدا^٢ الفيلسوف ، وهو رأس البراهمة^٣ : اضربلى
مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحملهما على العداوة
والبغضاء . قال بيدبا : إذا ابتلى المتحابان بأن يدخل بينهما الكذب
المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا^٤ : ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض
دستاوند رجل شيخ ، وكان له ثلاثة بنين ، فلما بلغوا أشدهم^٥ أسرفوا في

١ دبشليم : قيل انه ملك هندي من سلالة من قهرهم الاسكندر الاكبر حين
زحف الى الهند سنة ٣٢٦ قبل المسيح ٢ نشأ أثناء القرن الرابع قبل المسيح
وألف هذا الكتاب وقد ضبطته دائرة المعارف بكسر الباء . ومن هذا الكتاب يستدل
على حصافة عقل الرجل ورباطة جأشه ٣ البراهمة ويقال لهم أيضاً البرهميون هم
أصحاب الرتبة الاولى من عبدة برهم الهنود وهو أكبر آلهتهم : يعتبرون الشمس التي
هى ينبوع النور والحرارة الاله الوحيد وأول المعبودات فاستدل بذلك على أنهم فرع
قديم من أهل العبادة القديمة المجوسية التي أصلحها زرادشت وهم أربعة أصناف :
الكهنة ، والعلماء ، ثم الحرييون ومنهم الحكام وتقدم انهم يسمون أيضاً بالمقاتلة
ثم أهل الزراعة ، ثم الفعلة أى أصحاب الحرف . والبراهمة يعتقدون خلود النفس
والتناسخ ويمارسون الوضوء والتقشفات وسائر الرياضات وقد مر أيضاً انهم لا يجوزون
بعثة الرسل ٤ الالف فى يلبثا فاعل وأن والفعل بعدها يؤولان بمصدر يعرب مجروراً
بمن أو بنى محذوفة وقال أبو حيان (أن) فى مثل هذا التركيب بمعنى (حتى) والمعنى
بذلك واضح جلي . ويجوز أن تكون حتى فى هذا التركيب محذوفة وظهرت (أن) بعد حذفها
ه أى بلغوا سن الرشد

مال أبيهم ، ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لأنفسهم بها خيراً . فلامهم
أبوهم ، ووعظهم على سوء فعلهم . وكان من قوله لهم : يا بني^١ إن صاحب
الدنيا يطلب ثلاثة أمور ، لن يدركها إلا بأربعة أشياء : أما الثلاثة التي
يطلب فالسعة في الرزق ، والمنزلة في الناس ، والزاد للآخرة : وأما الأربعة



الرجل يعظ بنيت ويلومهم على سوء تبذيرهم

التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه
يكون . ثم حسن القيام على ما اكتسب منه ثم استثماره . ثم إنفاقه فيما يصلح

١ بني منادى أصله بنين لي ، حذفت اللام للتخفيف والنون للإضافة والياء الأولى
علامة النصب لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والياء الثانية المدغمة فيها الأولى في محل
جر مضافا إليه

المعيشة و يُرضى الأهل والإخوان ، فيعود عليه نفعه في الآخرة . فمن ضيع شيئاً من هذه الأحوال لم يُدرك ما أراد من حاجته ، لأنه إن لم يكتسب لم يكن له من مال يعيش به^١ . وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يُحسن القيام عليه أوشك المال أن يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِماً . وإن هو وَضَعَهُ ولم يستثمره لم تَمْنَعَهُ قِلَّةُ الْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ ، كَالْكُحْلِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ الْمِيلِ^٢ ، ثم هو مع ذلك سريعُ فَنَائِهِ . وإن أنفقته في غير وجهه ، ووضعه في غير موضعه ، وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لا يَمْنَعُ ذَلِكَ مَالَهُ مِنَ التَّلَفِ بِالْحَوَادِثِ وَالْعُلَلِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ ، كَمَحْبَسِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ تَنْصَبُ فِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَهَفِيزٌ وَمُتَنَفِّسٌ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْهُ بِقَدَرِ مَا يَنْبَغِي خَرِبَ وَسَالَ ، وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ ، وَرَبَّمَا انْبَثَقَ الْبَثْقُ الْعَظِيمُ^٣ ، فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَّاعاً . ثم إن بنى الشيخ اتعظوا بقول أبيهم ، وأخذوا به ، وعلموا أن فيه الخير ، وعولوا عليه . فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها مَيَّونَ ، فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحَلٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجْرُهَا ثَوْرَانِ ، يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ^٤ ، وَالْآخَرُ بَنْدَبَةٌ ، فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجُحْدَ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ . فَذَهَبَ الرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يَشَارِفُهُ^٥ لَعَلَّ الْوَحَلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعُهُ بِالثَّوْرِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ تَبَرَّمَ^٥ بِهِ وَاسْتَوْحَشَ ،

١ الميل بالكسر : المملول بضم الميمين وتسكين ما بينهما : هو الذي يكحل به البصر ، وقال الاصمعي : قول العامة : الميل ما تكحل به العين خطأ وإنما هو المملول
٢ يريد انفجر ٣ شتربة نائب فاعل يقال ٤ يراقبه ٥ سئم

فترك الثور والتحق بصاحبه ، فأخبره أن الثور قد مات . وقال له : إن



شربة وقد انفض الرجل عنه



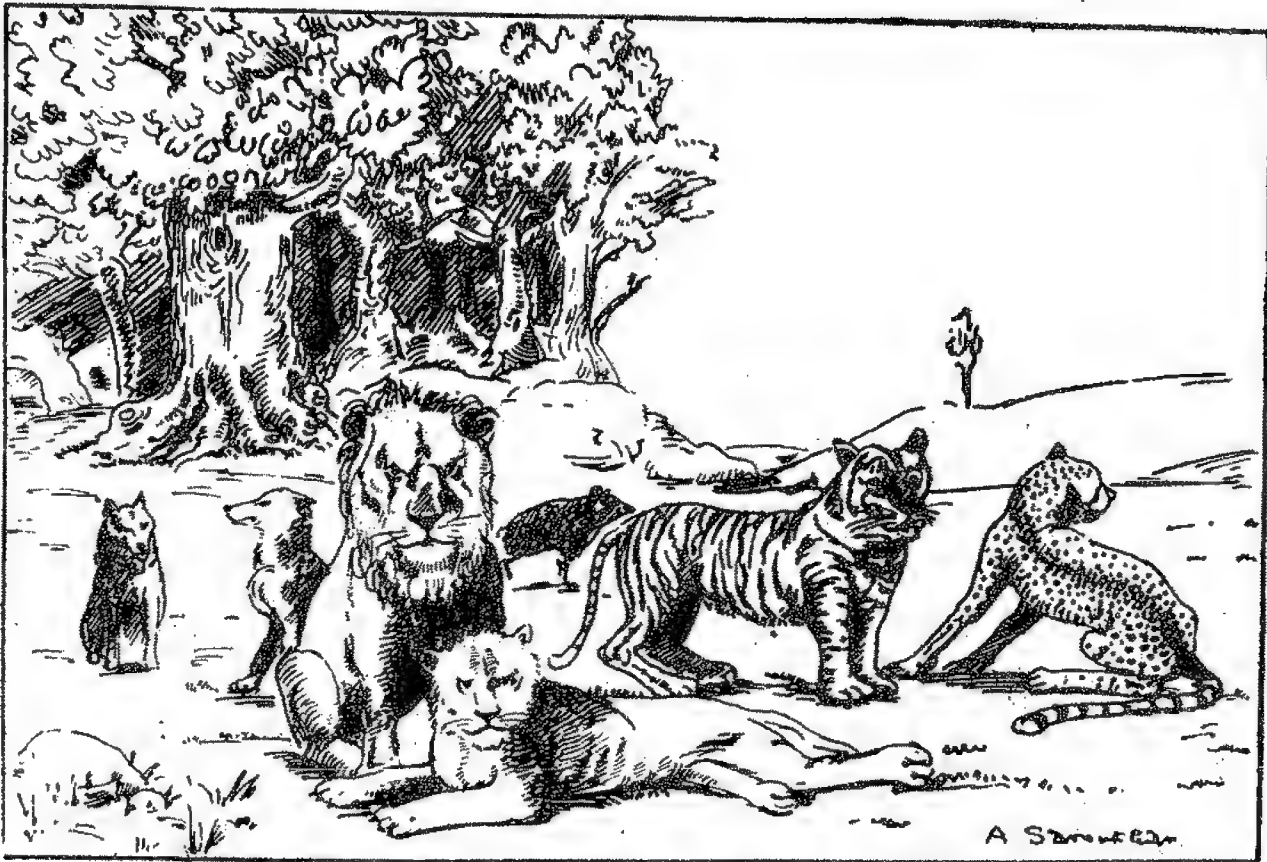
الثور (شربة) وقد ارتطم في الوحل

الانسان إذا انقضت مدته وحانت منيته ، فهو وإن اجتهد في التوقي من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يُغن ذلك عنه شيئاً ، وربما عاد اجتهداه في توقيه وحذرته وبالا عليه

كالذي قيل إن رجلاً سلك مفازة^١ فيها خوف من السباع ، وكان الرجل خبيراً بوعث^٢ تلك الأرض وخوفها . فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضرأها^٣ . فلما رأى الرجل أن الذئب قاصداً نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالاً ، ليجد موضعاً يتحرز فيه من الذئب^٤ . فلم ير إلا قرية خلف واد ، فذهب مسرعاً نحو القرية . فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ، ورأى الذئب قد أدركه ، فالتقى نفسه في الماء وهو لا يُحسن السباحة ، وكاد

١ المفازة : الصحراء المخوفة وسميت مفازة تفاؤلاً ٢ الوعث مثلثة : الطريق الوعر المسلك ٣ أى أشدها حدة واقتراساً ٤ يتوقى شره

يَفْرَقُ لَوْلَا أَنْ بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا لِإِخْرَاجِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ
وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عِنْدَهُمْ ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
غَائِلَةِ الذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدُوَّةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا ، فَقَالَ : أَدْخُلْ هَذَا الْبَيْتَ
فَأَسْتَرِجْ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ اللَّصُوفِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى
رَجُلٍ مِنَ التَّجَارِ ، وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ
خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَهَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا
لِيَسْتَرِجَ مِمَّا حُلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْيَاءِ إِذْ سَقَطَ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَمَاتَ . قَالَ
التَّاجِرُ : صَدَقْتَ ، قَدْ بَلَغَنِي هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّوْرُ فَانْهَضَ مِنْ مَكَانِهِ
وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرْجٍ مُخَصَّبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ . فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ



الأسد (ملك هذه الناحية) بين حاشيته

يَنخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالنَّخُورِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجَمَةٌ^٢ فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ^٣ ، وَهُوَ

١ عدوة الوادي بالضم والكسر : جانبه ٢ الاجمة : الشجر الكثير الملتف
ج أجم وأجمات جج آجام ٣ الأسد : أكبر الحيوانات التي من فصيلة الهر وأقواها ،

ملك تلك الناحية ومعه سبع^١ كثيرة وذئاب^٢ وبنات آوى^٣ وئعالب وفهود ونمور . وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذ برأى أحد من أصحابه . فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثوراً قط ولا سمع خواره ، خامره منه هيبة وخشية ، وكره أن يشعر بذلك جنده . فكان مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده . وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما (كَلِيلَةُ) والآخر (دِمْنَةُ) وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب . فقال دمنة لأخيه كليلة : يا أخى ، ما شأن الأسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط ؟ ! قال له كليلة : ما شأنك أنت والمسألة عن هذا ؟ ! نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب ، وتاركين ما يكره . ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم . فأمسك عن هذا . واعلم أنه من

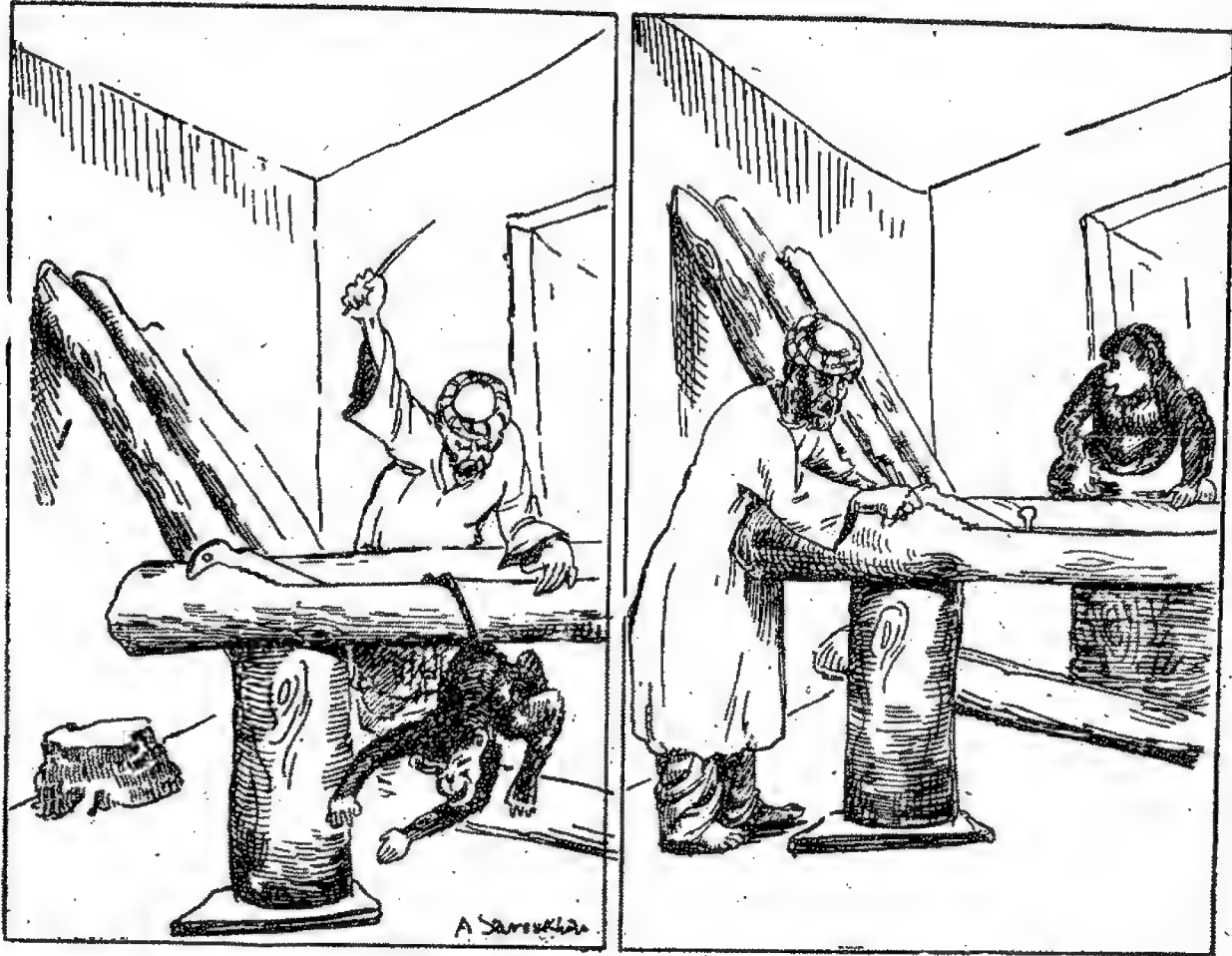
وللذكر منه لبدة طويلة كثيفة وذنبه ينتهى بخصلة من الشعر لا توجد في ذنب النمر ولا في أذئاب غيره من الهررة المرقطة . ولونه المعتاد أسمر ولبدته تقرب الى السواد وقد يكون ببض الأسد أسود حالكا والبض أسمر قائما . أما أنثاه (البوة) فهي أصغر منه ولا لبدة لها وفي جبهته سعة وفي لبدته خشونة وفي شعر حاجبيه طول

١ السباع وكذلك الأسبع جمع سبع بفتح الاول وضم الثانى وفتحته وتسكينه وهو المفترس من الحيوان مطلقاً ويقال من الطير أيضا ٢ الذئب نوع من فصيلة الكلب البرى قوى حاسة الشم يؤثر الصيد الحى على الجيف والاقدار

٣ بنات آوى جمع لابن آوى وهو جمع قياسى اذ كل ما صدر بـ ابن أو ذى من أسماء ما لا يعقل يجمع جمع مؤنث سالماً مثل ابن عرس وابن الخاض وذى القعدة فيجمع على بنات عرس وبنات مخاض وذوات القعدة أما ابن آوى فهو من أكلة اللحوم وهو من فصيلة الكلب أيضا شبيه بالكلب وفي جرم الثعلب ويتميز من الاخير بكروية حدقته وترى كليلة ودمنة خلف الاسد في الصورة السابقة . وأما الثعالب والفهود والنمور فستذكر فيما بعد ٤ مقيماً حال من الاسد ٥ المسألة مفعول معه وما مبتدأ

وشأن خبر وأنت توكيد للكاف

تكلّف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار
قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟ قال كليمه : زعموا أن قرداً رأى نجاراً
يشقّ خشبة بين وتدين وهو راكب عليها ، فأعجبه ذلك . ثم إن النجار
ذهب لبعض شأنه . فقام القرد وتكلّف ما ليس من شأنه ، فركب الخشبة
وجعل ظهره قبل الوتد ، ووجهه قبل الخشبة ، فتدلى ذنبه في الشقّ ، ونزع
الوتد ، فلزم الشقّ عليه ، فخرّ مغشياً عليه من الألم . ثم إن النجار وافاه



القرد وقد لزم الشق على دونه

القرد يرقب النجار

فراه على تلك الحالة ، فأقبل عليه يضربه . فكان ما لقي من النجار أشدّ
مما أصابه من الخشبة . قال دمنة : قد سمعت ما ذكرت ، وليس كل من
يدنو من الملوك يقدر على صحبتهم ويفوز بقربهم . ولكن اعلم أن كل من

يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه فإن البطن محشى لكل شيء ، وإنما يدنو منهم ليسر الصديق ، ويكبت العدو . وإن من الناس من لا مروءة له : وهم الذين يفرحون بالقليل ، ويرضون بالدُّون : كالكلب^١ الذي يُصيب عظماً يابساً فيفرح به . وأما أهل الفضل والمروءة فلا يُقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له وهو أيضاً لهم أهل ، كالأسد الذي يفترس الأرنب^٢ ، فإذا رأى البعير تركها وطالب البعير . ألا ترى أن الكلب يُبصص بذنبه^٣ حتى تُرمى له الكسرة من الخبز فتقنعه وترضيه منك . وأن الفيل^٤ المعترف بفضله وقوته إذا قُدم إليه عافه لا يعتلفه حتى يُمسح وجهه ويُتملق له . فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وإفضال على أهله وإخوانه فهو وإن قلَّ عمره طويل العمر . ومن كان في عيشه ضيق وقلة وإمساك على نفسه وذويه فالتقبور أحيا منه . ومن عمل لبطنه وشهوته وقنع وترك ما سوى ذلك عدّ من البهائم

قال كيلة : قد عرفت مقالك ، فراجع عقلك . واعلم أن لكل إنسان

١ الكلب : حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ويعرف منه أنواع عدة ويألف الأدمى وقد عاصره منذ قبل التاريخ يجرى المسافات الشاسعة دون أن ينال منه الكلال ويحسن السباحة ٢ الأرنب : حيوان من ذوات الأربع يأكل الحشيش وليس له سلاح الا الحرب والانتزاع وله سمع وشم حادان جداً ٣ أى يحركه ٤ الفيل : حيوان من ذوات الشدين كبير الجثة طويل الخرطوم ويسكن نوع منه أواسط أفريقيا وآخر الجهات الجنوبية من آسيا يألف الغابات ذات المياه له قدرة فائقة على السباحة ويخدم صاحبه في كل أعماله حتى الصيد والحروب وأثناء الحمل سنتين وتلد واحداً ولا يبلغ أشده الا بعد ٢٥ سنة ويعمر ١٥٠ سنة وقد يبلغ طوله ٥ أمتار ووزنه نحو (١٥٠) قنطاراً

منزلة وقدرًا ، فإذا كان في منزلته التي هو فيها متماسك الحال في طبقته كان حقيقًا أن يقنع . وليس من المنزلة ما يحطّ حالنا التي نحن عليها . قال دمنة : إن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة ، فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة . ومن لا مروءة له يحطّ نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة . والارتفاع من صغر المنازل إلى أشرفها شديد ، ومؤونة الانحطاط من الشرف إلى النخعة هيّن : كالحجر الثقيل ، رفعه من الأرض إلى العاتق عسير ، وطرحه إلى الأرض هيّن . فنحن أخوان نروم ما فوقنا من المنازل ، وطاقتنا أن نلتمس ذلك بمروءتنا . ثم كيف نقنع بها ونحن نستطيع التحوّل عنها ؟ ! قال كليله : فما الذي أنت فيه الآن مجع ؟ قال دمنة : أريد أن أتعرّض للأسد عند هذه الفرصة ، فإن الأسد قد ظهر لي أنه ضعيف الرأى ، وقد التبس عليه وعلى جنوده أمرهم . ولعلي على هذه الحال أدنو منه بنصيحة فأصيب عنده منزلة وجاها . قل كليله : وما يدريك أن الأسد قد التبس عليه أمره ؟ قال دمنة : بالحسّ والرأى أعلم ذلك منه . فإن الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر من دَلّه وشكله . قال كليله : فكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست بصاحب السلطان ، ولالك علم بخدمة السلاطين ؟ ! قال دمنة : الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل ، والرجل الضعيف لا يستقلّ به وإن كان ذلك من صناعته . قال كليله : فإن السلطان لا يتوخّى بكرامته أفضل من بحضرته ، ولكنه يُؤثر بذلك من دنا منه .

ويقال إن مثل السلطان في ذلك مثل شجر الكرم الذي لا يتعلق بأكرم الشجر . إنما يتعلق بمن دنا منه^١ . وكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولم تكن دنوت منه ؟ ! قال دمنة : قد فهمت كلامك جميعه وما ذكرت ، وأنت صادق . لكن اعلم أن الذين هم أقرب الى السلطان منا قد كانوا وليست تلك منازلهم ثم دنوا منه بعد البعد فبلغوا . فأنا ملتصق بلوغ منازلهم ومكانتهم جهدي بالدنو منه . وقد كان يقال : لا يواظب على باب السلطان أحد فيطرح منه الأنفة ، ويحتمل الأذى ، ويكظم الغيظ ويرفق بالناس ، إلا وصل إلى أعلى درجة من السلطان . قال كيلة : هبك قد وصلت إلى الأسد^٢ . فما توفيقك الذي تنال به المنزلة عنده والخطوة لديه^٣ ؟ قال دمنة : لو قد دنوت منه عرفت أخلاقه ثم انحططت الى هواه بمتابعته وقلة الخلاف له . وإذا أراد أمراً هو في نفسى صواب زينته له ، وبصرته ما فيه ، وشجعته عليه حتى يزداد به سروراً . وإذا أراد أمراً أخاف عليه ضرره وشينه بصرتة بما فيه من الضر والشين وما في تركه من النفع والزين ، بحسب ما أجده إليه السبيل . وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد مكانة ، ويرى منى ما لا يراه من غيرى ، فإن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقاً أو يبحى باطلاً أحياناً لفعل : كالمصور الماهر الذي يصور في الجدار تصاوير كأنها خارجة من الجدار وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخلية فيه وليست بداخلية . فاذا أبصر الأسد

١ هذه هي الرواية التي يفهم منها المراد ٢ هب بمعنى احسب وافرض وهو ملازم للأمريّة ولا يجوز أن يقال هب أنك وصلت فإن ذلك من الخطأ المشهور ٣ الخطوة بالضم وتفتح : المكانة والمنزلة

فضلي وعرفه وعرف ما عندي كان هو أحرص على كرامتي وتقريبي منه .
 قال كيلة : أمّا إن كان هذا رأيك فإنني أحذرك صحبة السلطان . فإن
 صحبته خطر عظيم . وقد قالت العلماء : إن أموراً ثلاثة لا يجترئ عليهن
 إلا أهوج^١ ، ولا يسلم منهن إلا القليل : وهي صحبة السلطان ، واثمان النساء
 على الأسرار ، وشرب السم للتجربة . وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل
 الوعر الصعب المرتقى الذي فيه الثمار الطيبة ، والجواهر النفيسة ، والأدوية
 النافعة ، وهو مع ذلك معدن السباع والتمور^٢ والذئب وكل سبع مخوف .
 فالارتقاء إليه شديد ، والمقام فيه أخوف . قال دمنة : صدقت فيما وصفت .
 غير أنه من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . ومن ترك الأمر الذي لعله يبلغ
 فيه حاجته هيبةً ومخافةً لما لعله يتوقى فليس ببالغ جسيماً . وقد قيل : إن
 خصالا ثلاثاً لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفاع الهمة وعظيم الخطر :
 منها عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو^٣ . وقد قالت العلماء في
 الرجل الفاضل المروءة : أنه لا يرى إلا في مكانين ، ولا يليق به غيرهما :
 إما مع الملوك مكرماً ، أو مع النساك متبتلاً : كالفيل إنما جماله وبهاؤه في
 مكانين : إما في البرية وحشياً ، أو مركباً للملوك . قال كيلة : خار الله لك فيما

١ الأهوج الطائش الاحق وفعله من باب فرح ٢ النمر بفتح النون وكسر
 الميم ويجوز اسكان الثاني مع فتح النون وكسرها : حيوان من الضواري يشبه الأسد
 إلا في صغره وتنقيط جلده وحدته ولقد يبلغ به الغضب أن يقتل نفسه وله سطوات
 صادقات ووثبات شديداً ربما بلغت الوثبة ٤٠ ذراعاً لا يباريه فيها حيوان ، يعجب
 بنفسه أيما إعجاب ، فإذا أشبع نام ثلاثة أيام ، وفي طبعه عداوة الأسد والظفر بينهما
 سجال ، عفوف نزيه ، لا يأكل إلا من صيده كما أنه ينزه نفسه عن أكل الجيف ٣ مقابلته

عزم لك عليه^١. وأما أنا فإنني مخالفك في رأيك هذا
ثم إن دمنة انطلقت حتى دخل على الأسد ، فسلم عليه . فقال الأسد



دخول دمنة على الأسد

لبعض جلسائه : من هذا ؟ فقال : فلان بن فلان^٢. قال : قد كنت أعرف
أباه . ثم سأله : أين تكون ؟ قال : لم أزل ملازماً باب الملك رجاء أن يحضر
أمر فأعين الملك فيه بنفسى ورأى . فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور

١ جعل الله لك فيه الخير ٢ فلان وفلانة بنير ألف ولام يكنى بهما عن العلم
العائل وهما يجريان مجرى الاعلام في امتناع دخول الالف واللام عليهما وامتناع صرف
المؤنث منهما فاذا أريد أن يكنى عن علم غير العائل أدخلت عليهما الألف واللام للفرق ،
تقول : ركبنا الفلان وحلبنا الفلانة تكنى بالاول عن نحو شذقم (اسم البعير) وبالثاني
عن نحو صيدح (اسم ناقة) وكذلك الكنى نحو أبي الفلان وأم الفلانة وقد يقال لواحد
في النداء (يا فل) بالضم وللثنتين (يا فلان) وللجمع (يا فلون) وللواحدة (يا فلة)
وللثنتين (يا فلتان) وإنما قال ابن المقفع فلان دون ألف ولام مع ان المعنى به ما لا
يعقل لانه نزل الجميع منزلة العقلاء في المحاورات كافة

التي ربما احتيج فيها إلى من لا يؤبه له إفانه لا يكاد يخلو أحد — وإن كان صغير
 القدر والمنزلة — أن تكون عنده منفعة وإن صغرت ، فإن العود المبتور الملقى في
 الأرض ربما انتفع به فيأخذه الرجل تأكله أذنه فيحكها به . فالحيوان العالم
 بالضر والنفع أخرى أن ينتفع به . فلما سمع الأسد قول دمنة أعجبه وظن أن
 عنده نصيحة ورأيا . فأقبل على من حضر ، فقال : إن الرجل ذا العلم
 والمرءة يكون حامل الذكر ، خافض المنزلة ، فتأبى منزلته إلا أن تشب
 وترتفع : كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . فلما عرف
 دمنة أن الأسد قد أعجب به قال : إن رعية الملك تحضر باب الملك رجاء
 أن يعرف ما عندها من علم وافر . وقد يقال : إن الفضل في أمرين : فضل
 المقاتل على المقاتل ، والعالم على العالم . وإن كثرة الأعوان إذا لم يكونوا
 مختبرين ربما تكون مضرّة على العمل ، فإن العمل ليس رجاءه بكثرة الأعوان
 ولكن بصالحى الأعوان : ومثل ذلك مثل الرجل الذى يحمل الحجر الثقيل فيثقل
 به نفسه ولا يجده ثمنا . والرجل الذى يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب
 وإن كثر . فأنت الآن — أيها الملك — حقيق ألا تحقر مرءة أنت تجدها
 عند رجل صغير المنزلة . فإن الصغير ربما عظم : كالعصب يؤخذ من الميتة ،
 فإذا عمل منه القوس^٢ أكرم ، فتقبض عليه الملوك وتحتاج إليه في البأس واللهو
 وأحب دمنة أن يرى القوم أن ما ناله من كرامة الملك إنما هو لرأيه

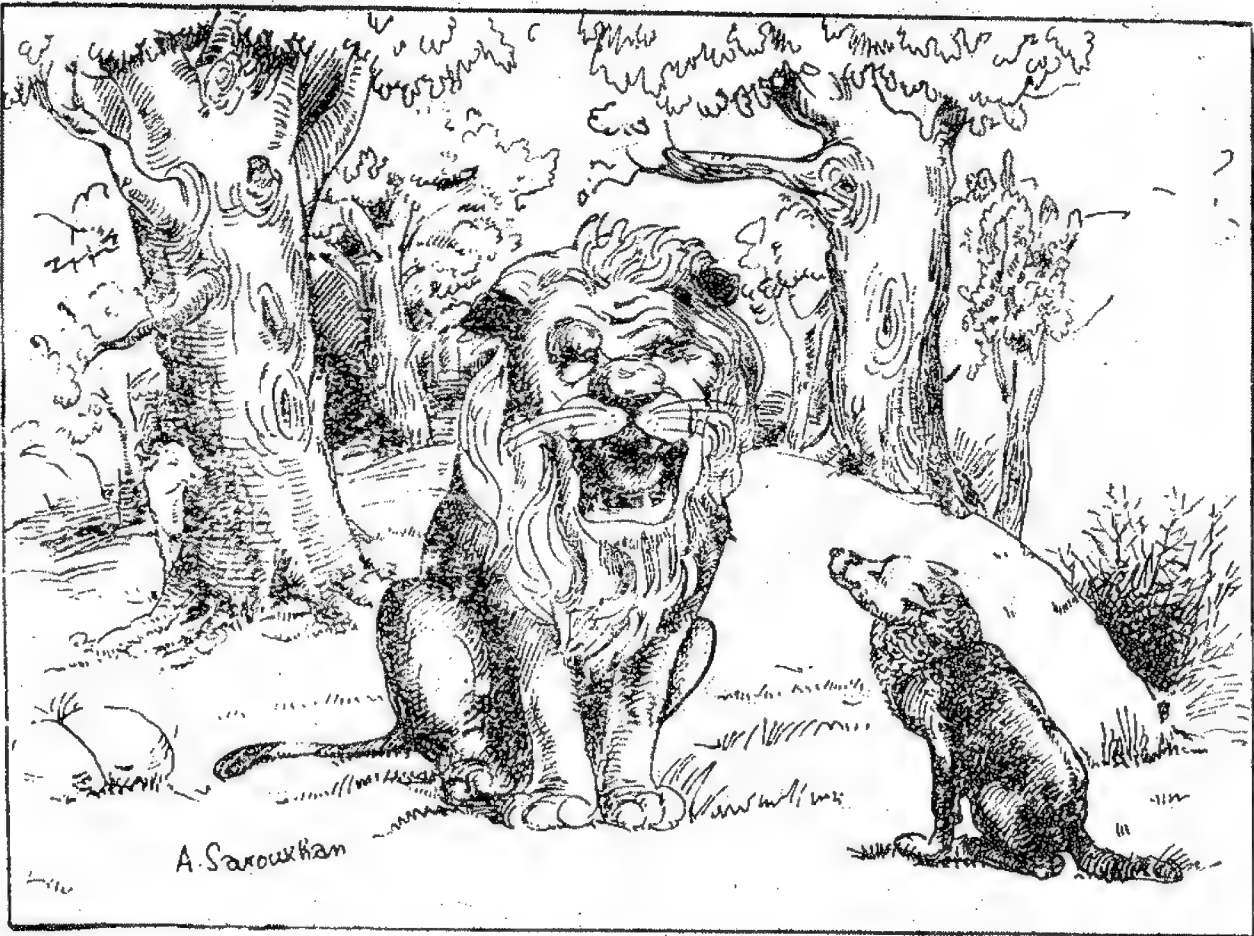
١ لا يلتفت إليه ٢ القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام
 تؤنث وتذكر . أما الاحتياج إلى القوس في البأس ففي مثل الطعان . وأما اللهو ففي مثل
 الصيد أو التفاخر بتسديد الرماية وظهار التفوق ونحو ذلك

ومروءته وعقله ، لأنهم عرفوا قبل ذلك أن ذلك لمعرفته أباه ، فقال : إن السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ، ولا يبعدهم لبعدهم . ولكن ينبغي أن ينظر إلى كل رجل بما عنده لأنه لا شيء أقرب إلى الرجل من جسده ، ومن جسده ما يدوى^١ حتى يؤذيه ، ولا يدفع ذلك عنه إلا بالدواء الذي يأتيه من بعد

فلما فرغ دمنة من مقالته هذه أعجب الملك به إعجاباً شديداً^٢ ، وأحسن الرد عليه ، وزاد في كرامته . ثم قال جلسائه : ينبغي للسلطان ألا يبلغ في تضيق حق ذوى الحقوق . والناس في ذلك رجلان : رجل طبعه الشراسة^٣ : فهو كالحيّة إن وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديراً أن يغرّه ذلك منها فيعود إلى وطئها ثانياً فتلدغه . ورجل أصل طباعه السهولة : فهو كالصنّابل البارد الذي إذا أفرط في حركه صار حاراً مؤذياً

ثم إن دمنة استأنس بالأسد وخلا به . فقال له يوما : أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه . فما سبب ذلك ؟! فبينما هما في هذا الحديث إذ خار شربة خواراً شديداً ، فهيج الأسد ، وكره أن يخبر دمنة بما ناله . وعلم أن ذلك الصوت قد أدخل على الأسد ريبة وهيبة ، فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت ؟ قال لم ير بني شيء سوى ذاك . قال دمنة ليس

١ يقال دوى الرجل يدوى كعلم يعلم دوى بالتصريح : مرض ٢ أعجب ف لازم للبناء للمجهول ، ومنه المثل المشهور (كل فتاة بأبيها معجبة) بصيغة اسم المفعول ٣ سوء الخلق

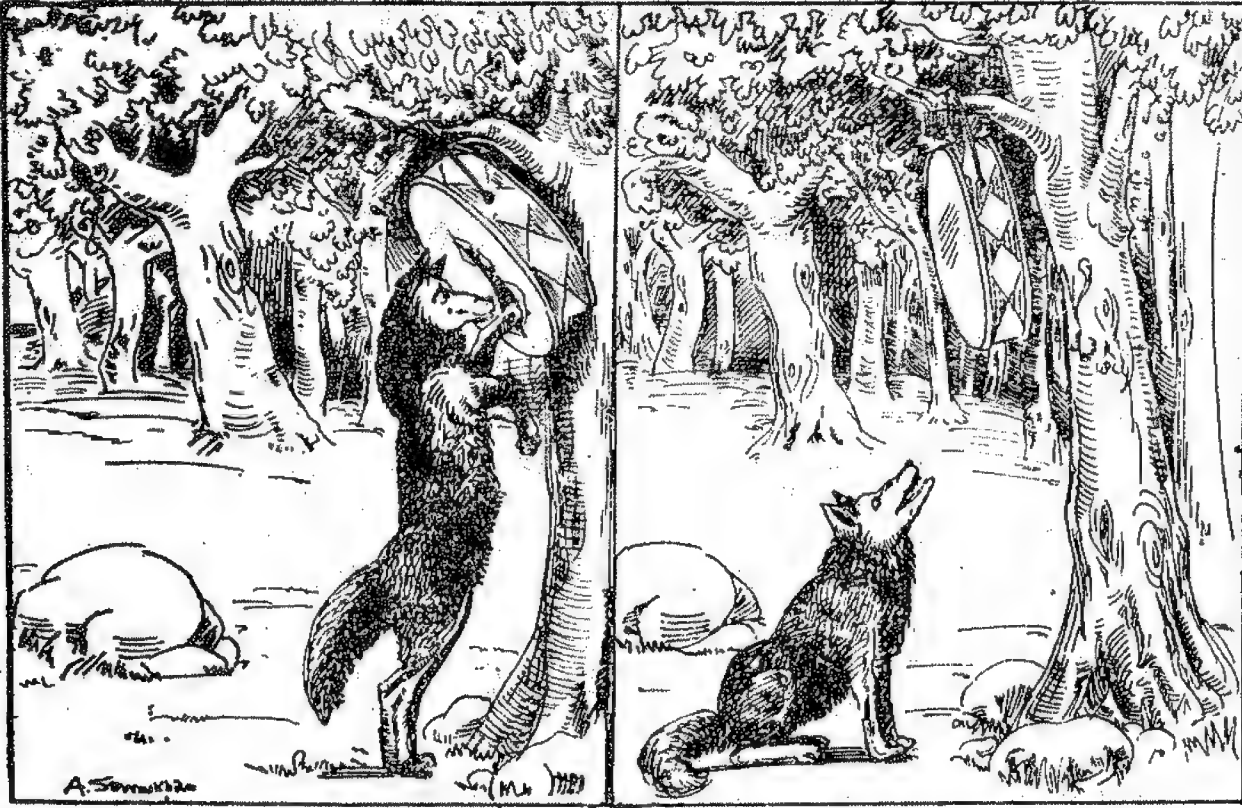


الاسد وقد هنيجه شربة بخوار:

الملك بحقيق أن يدع مكانه لأجل صوت . فقد قالت العلماء : إنه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة . قال الأسد : وما مثل ذلك ؟ !
قال دمنة : زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حرّكتها ، فضربت الطبل ، فسمع له صوت عظيم . فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أتاه وجده ضخماً ، فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعالجه حتى شقّه .

١ الثعلب حيوان برى من أكلة اللحوم ويميز عن الكلب والذئب ونظيرها بانخفاض قامته وتدب فيه وتصر عنقه وطول ذنبه وحدقة عينه بهيئة شق عمودى وأما أسنانه فكالذئب والكلب ، يضرب به المثل في التخلص من أعدائه بالمكر والخديعة

فلما رآه أجوف لا شيء فيه ، قال : لا أدري لعلّ أفشل الأشياء أجهرها
صوتنا ، وأعظمها جنةً



الثعلب وقد عاج الطبل حتى شقه

الثعلب يفكر في ضخامة صوت الطبل

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو
وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا . فإن شاء الملك بعثني وأقام بمكانه
حتى آتية به بيان هذا الصوت . فوافق الأسد قوله . فأذن له بالذهاب
نحو الصوت ، فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شربة . فلما فصل
دمنة من عند الأسد فكر الأسد في أمره ، وندم على إرسال دمنة حيث
أرسله ، وقال في نفسه : ما أصبت في ائتماني دمنة ، وقد كان ببابي
مطروحاً . فإن الرجل إذا كان يحضر باب الملك وقد أبطلت حقوقه من غير
جرم كان منه ، أو كان مبنغياً عليه عند سلطانه ، أو كان عنده معروف بالشره

والحرص ، أو كان قد أصابه ضررٌ وضيق فلم ينعشه ، أو كان قد اجترمُ جرماً فهو يخاف العقوبة منه ، أو كان يرجو شيئاً يضرُّ الملاك وله منه نفع ، أو يخاف في شيء مما ينفعه ضرراً ، أو كان لعدوِّ الملاك مسلماً ، ولمسأله محارباً ، فليس السلطان بحقيق أن يعجل بالاسترسال إليه ، والثقة به ، والائتمان له ، فإن دمنة داهية أريب ، وقد كان ببابى مطروحا مجفوًّا ، ولعله قد احتمل علىٰ بذلك ضيفاً ، ولعلَّ^١ ذلك يحمله على خيانتى وإعانة عدوى وتقيصتى عنده ، ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطاناً منى ، فرغب به عنى^٢ ويميل معه على . ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد ، فبصر بدمنة مقبلاً نحوه ، فطابت نفسه بذلك ، ورجع إلى مكانه ، ودخل دمنة على الأسد . فقال له : ماذا صنعت ؟ وماذا رأيت ؟ قال : رأيت ثوراً هو صاحب الخوار والصوت الذى سمعته . قال : فما قوته ؟ قال : لا شوكة له ، وقد دنوت منه ، وحاورته محاورة الكفاء^٣ فلم يستطع لى شيئاً . قال الأسد : لا يغررك ذلك منه ، ولا يصغرن عندك أمره . فإن الريح الشديدة لا تبعاً بضيف الحشيش ،

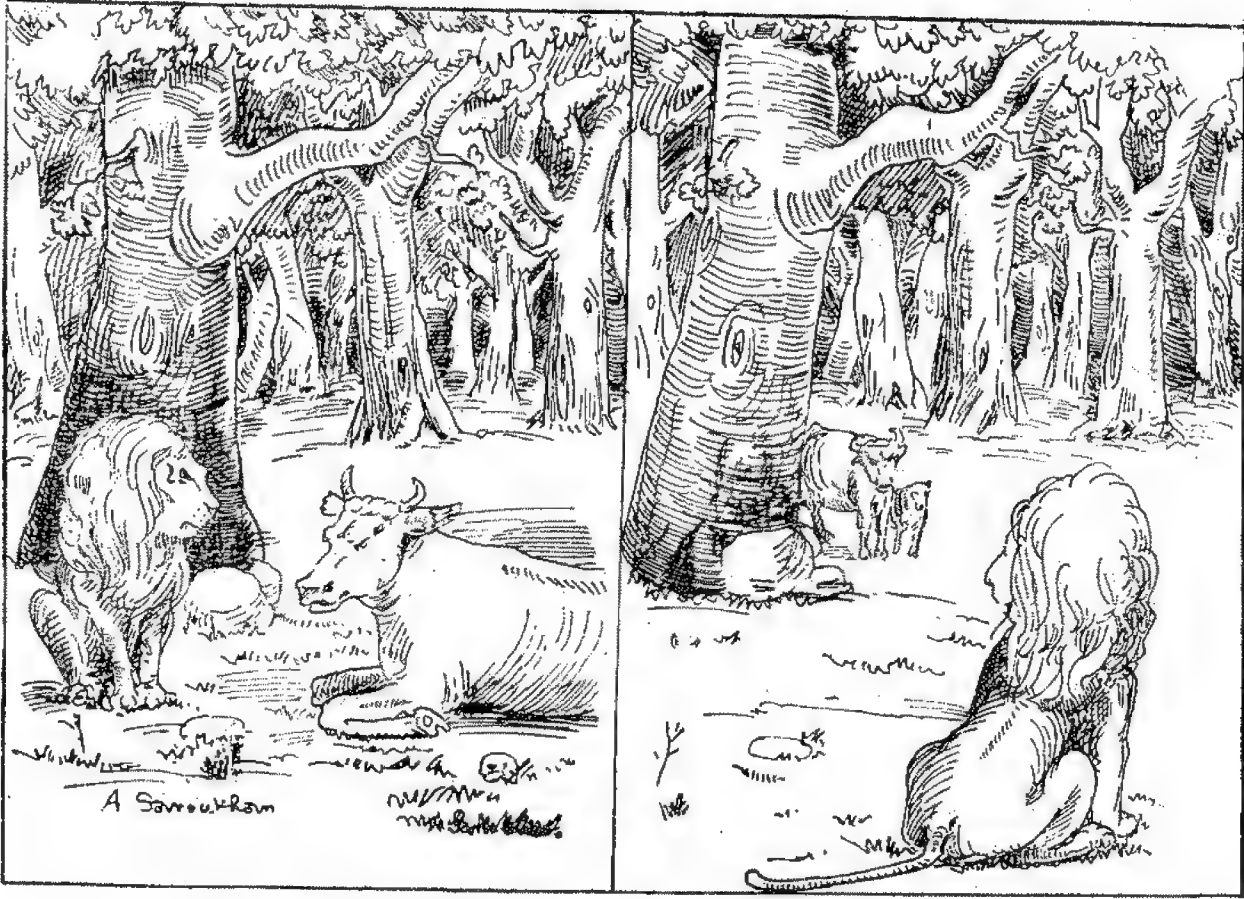
١ لعل حرف عامل عمل الفعل ناصب للابتداء رافع للخبر على رأى الجمهور ، وقيل تنصب الاثنين ، قيل حرف جر زائد ، وإذا دخلت عليها (ما) كفتها ، وقيل تحمل على ليت فتعمل أيضاً بعد دخول (ما) ولها جملة معان : أحدها التوقع وهو ترجى المحبوب والاشفاق من المكروه (كما هو المراد هنا) والثانى : التعليل فى مثل (فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وربما فهم منها فى الآية الرجاء ، وأما اللغات التى وردت فيها فاحدى عشرة وهى : لعل بتسكين الآخر وعل وعن وعن وأن ولأن ولون ورغل ولعن ولغن ورغن بفتح بفتح الأول وتشديد الآخر فى الجميع ٢ يقال رغب به عنه : فضله عليه ، ورغب اليه : ابتهل ، ورغب فيه : أحبه وحرص عليه ٣ الا كفاء ومثله الكفاء بالكسر : جعان للكفاء مثله وهو النظير

لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر^٣. قال دمنة : لا تنهبن — أيها الملك — منه شيئاً ، ولا يكبرن عليك أمره ، فأنا آتيك به ليكون لك عبداً سامعاً مطيعاً . قال الأسد : دونك وما بدالك^٤

فانطلقت دمنة إلى الثور ، فقال له غير هائب ولا مكترث : إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك ، وأمرني إن أنت^٥ عجّلت إليه طائعاً أن أوّمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه ، وإن أنت تأخرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة إليه فأخبره . قال له شترية : ومن هو هذا الأسد الذي أرسلاك إليّ ؟ وأين هو ؟ وما حاله ؟ قال دمنة : هو ملك السباع ، وهو بمكان كذا^١ ، ومعه جند كثير من جنسه . فرعب^٢ شترية من ذكر الأسد والسباع . وقل إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه . فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به . ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد ، فأحسن الأسد إلى الثور وقرّبه . وقال له : متى قدمت هذه

٢ النخل فهو المعروف وأصله من جزيرة العرب ولا يؤخذ ثمره الا في الاقطار المعتدلة الحرارة ويكثر بفراخه التي تنبت حول الاناث وأما طريقة النوى فثمرها يفاير أصلها وربما لا يخرج منها الا الذكور ، وهو طويل العمر وقد تعيش النخلة قرناً
٤ تقدم نظيره وفيه ان الواو زائدة ودون اسم فعل أمر بمعنى خذ ه ان من أنت توكيد فاعل الفعل المحذوف يفسره المذكور والتاء للخطاب (وفعل أمر) يتعدي بنفسه الى مفعولين أو الى مفعول والثاني بواسطة الباء فيقال : أمره به وأمره اياه ، وإذا فصدر (أن أوّمنك) اما أن يكون مفعولاً ثانياً لأمر أو مجروراً بحرف جر المحذوف قياساً مع (ان) ، ومثلها (أن أعجل) الواردة بعد كذا : كلمة يكنى بها عن غير العدد وقيل يكنى بها عنه أيضاً وتمييزها يجب أن يكون منصوباً ولا تلزم الصدارة ، وأما استتمالها فلا يكون غالباً الا معطوفاً عليها مثلها
٢ يقال رعب الرجل يرعب بفتح العين فيهما : خاف ، لازم ويتعدي أيضاً فيقال رعبه

البلاد ؟ وما أقدمكمها ؟ نقص شربة عليه قصته . فقال له الأسد : اصحبني



الأسد وشربة متصافين

دمنة يجي . بشربة لدى الأسد

والزمني فإني مُكرّمك . فدعا له الثور ، وأثنى عليه
ثم إن الأسد قرّب شربة وأكرمه وأنس به ، واثمنه على أسراره
وشاوره في أمره ، ولم تَزِدْه الأيام إلا عُجباً به ، ورغبة فيه ، وتقريباً منه ،
حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة . فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص
بالأسد دونه ودون أصحابه . وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه
حسده حسداً عظيماً ، وبلغ منه غيظه كل مبلغ ، فشكا ذلك إلى أخيه كليله ،
وقال له : ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي ، وصنعي بنفسي ، ونظري فيما ينفع
الأسد ، وأغفلت نفع نفسي ، حتى جلبت إلى الأسد ثوراً غلبني على منزاتي

.....

قال كليله : أخبرني عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه^١ في ذلك . قال
دمنة : أما أنا فلست اليوم أرجو أن تزداد منزلتي عند الأسد فوق ما كانت
عليه . ولكن ألتبس أن أعود إلى ما كنت . فإن أموراً ثلاثة العاقل
جدير بالنظر فيها والاحتياال لها بجهده : منها النظر فيما مضى من الضر والنفع ،
فيحترس من الضر الذي أصابه فيما سلف ، لئلا يعود الى ذلك الضرر ،
ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته . ومنها النظر فيما هو مقيم فيه
من المنافع والمضار ، والاستيثاق بما ينفع ، والهرب مما يضر . ومنها النظر في
مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر ، ليستتم ما يرجو ويتوقى
ما يخاف بجهده . وإني لما نظرت في الأمر الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما
غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجهاً إلا الاحتياال لا كل العشب
هذا ، حتى أفرق بينه وبين الحياة ، فإنه إن فارق الأسد عادت لي منزلتي ،
ولعل ذلك يكون خيراً للأسد ، فإن إفراطه في تقرب الثور خليف أن يشينه
ويضره في أمره . قال كليله : ما أرى على الأسد في رأيه في الثور ومكانه منه
ومنزله عنده شيئاً ولا شراً . قال دمنة : إنما يؤتى السلطان ويفسد أمره من
قبل ستة أشياء : الحرمان ، والفتنة ، والهوى ، والفضاظة ، والزمان ، والخرق
فأما الحرمان فإن يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة من أهل
الرأى والنجدة والأمانة ، وترك التفقد لمن هو كذلك . وأما الفتنة فهو تحارب
الناس ووقوع الحرب بينهم . وأما الهوى فالإغرام بالحديث واللهو والشراب
والصيد وما أشبه ذلك . وأما الفضاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع اللسان

١ عزم الامر وعليه من باب ضرب : عقد ضميره على فعله

بالشتم ، واليد بالبَطْش في غير موضعهما . وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين^١ والموت ونقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك . وأما الخُرْق فاعمال الشدة في موضع اللين واللين في موضع الشدة . وان الأسد قد أغرم^٢ بالثور إغراماً شديداً هو الذي ذكرت لك أنه خَلِيق أن يَشِينه وَيَضُرّه في أمره . قال كَلِيلَة : وكيف تُطِيق الثور وهو أشدّ منك وأكرم على الأسد منك وأكثر أعواناً ؟ قال دمنه : لا تنظر إلى صغرى وضعفى ، فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجئة ، فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء ، أولم يبلغك أن غراباً^٣ ضعيفاً احتال لأَسود حتى قتله ؟ قال كَلِيلَة : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنه : زعموا أن غراباً كان له وكر في شجرة على جبل ، وكان قريباً منه جُحْر ثُعْبَان أسود ، فكان الغراب إذا فرّخ عمداً أسود إلى فراخه فأكلها ، فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه ، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى ، وقال له : أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه . قال : وما هو ؟ قال الغراب : قد عزمت^٤ أن أذهب إلى الأَسود إذا نام ، فأنقر عينيه فأفقاها ، لعل أستريح منه . قال ابن آوى : بئس الحيلة التي احتلت^٥

١ السنين : جمع سنة وهي الجذب والقحط ٢ أغرم به : أولع وهو من الالفاظ التي لازمت البناء للمجهول ٣ الغراب : أربعة أنواع : أسود حالك ، وأبلق ، ومطرف بياض لطيف الجرم يأكل الحب ، وأسود طاووسى براق الريش ورجلاه كلون المرجان يعرف بالزاغ ٤ عزم تتعدى بنفسها الى مفعول وتتعدى اليه تارة بعلى فالمصدر المأخوذ من (أن أذهب) اما أن يكون مفعولاً أو مجروراً بعلى محذوفة ٥ بئس فعل ماض ، والحيلة فاعل ، والتي مبتدأ خبره الجملة من الفعل والفاعل المتقدمين أو خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره (هي) التي احتلتها

فالتمس أمراً تصيب فيه بُغيتك من الأسود من غير أن تفرّر بنفسك



الأسمد يزدرق فراخ الغراب

الغراب والأسود

وتخاطر بها ، وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم^١ الذي أراد قتل
السرطان^٢ فقتل نفسه . قال الغراب : وكيف كان ذلك ؟ !

١ العلجوم ذكر البط . أما البط فاسم لطيور من ذوات الارجل الكفية والمنقار
الصفحي وهو ثلاث فصائل : النهرى ويؤثر الماء العذب قادر على الطيران آكل للحيوانات
الرخوة الصغيرة والنباتات المائية الرطبة ومنه ما يعيش بعيداً عن الماء ويعيش في
الاشجار . وذو الذنب الشائك وهو لا يبعد في الطيران لقصر جناحيه^٢ والبحري وهو
يأكل الحيوانات الرخوة والاسماك الصغيرة ومنه المعروف بالذهبي العين وطول هذا عشرين
قيراطا وطول جناحيه ٣٢ قيراطا وغذاؤه الحيوانات الرخوة القشرية والاسماك الصغيرة
يصطادها غطسا وطيرانه قوي سريع جداً ولحمه سمكى الطعم وهذا النوع « انما هو المعنى
في هذا المقام » وأما الفصائل المذكورة فيدخل تحتها أنواع لا نطيل القول فيها

٢ السرطان : حيوان مائي ذو فكين مخالبه وأظفاره حديد صلب الظهر كثير
الاسنان يسبح على جنب واحد ويسمى عقرب الماء يعيش في الماء العذب والملح ويقضى
كثيراً من حياته في البر وأنواعه البحرية توجد على الشواطئ وبعضها يعيش في
الاعماق أو يطفو على وجه الماء بعيداً عن الشاطئ الا اذا قذفته الامواج اليه ومنه
أيضاً ما يكثر بين الاعشاب الطافية على وجه الماء

قال ابن آوى : زعموا أن عُلجوما عثَّش في أجمَّة كثيرة السمك ، فعاش بها معاش ، ثم هَرِم ، فلم يستطع صيداً ، فأصابه جوع وجهد شديد . فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره ، فمرَّ به سرطان ، فرأى حاله وما هو عليه من الكآبة والحزن ، فدنا منه ، وقال : مالى أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا ؟ ! قال العُلجوم : وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما هاهنا من السمك ! . وإني قد رأيت اليوم صيَّادين قد مرَّا بهذا المكان ، فقال أحدهما لصاحبه : إن هاهنا سمكا كثيرا ، أفلا نصيده أوّلا ؟ فقال الآخر : إني قد رأيت في مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك ،



السمك والسرطان يستنبر العُلجوم .



العلجوم والسرطان

فلنبدأ بذلك ، فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فأفئدناه . وقد علمت أنهما إذا فرغا مما هناك انتبيا إلى هذه الأجمَّة فصطادا ما فيها ، فإذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد مدَّتى . فانطلق السرطان من ساعته إلى جماعة السمك فأخبرهنَّ

بذلك . فأقبلن إلى العلجوم فاستشرنه ، وقلن له : إنا أتيناك لتشير علينا ، فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه . قال العلجوم : أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ، ولا أعلم حيلة إلا المصير إلى غدیر قريب من هاهنا ، فيه سمك ومياه عظيمة وقصَب . فإن استطعتن الانتقال إليه كان فيه صلاح حكن وخَصْبَكُن . فقلن له : ما يمن علينا بذلك غيرك . فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما إلى بعض التلال فيأكلهما^١ . حتى إذا كان ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان ، فقال له : إني أيضاً قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه ، فاذهب بي إلى ذلك الغدير فاحمله وطار به حتى إذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك ، فعلم أن العلجوم هو صاحبها ، وأنه يريد به مثل ذلك . فقال في نفسه : إذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك ، سواء قاتل أو لم يقاتل^٢ ، كان حقيقاً أن يقاتل عن

١ كذلك عاقبة الذين استسلموا للاعداء واستنابوا لمساعدة الحادعين

٢ سواء هنا للتسوية . وإذا وقع بعد سواء همزة التسوية فلا بد من « أم » مع الكلمتين اسمين كانتا أو فعلين تقول « سواء على أزيد جاء أم عمر ، وسواء على أقت أم قعدت » وإذا كان بعدها فعلان بنير همزة الاستفهام عطف الثاني « بأو » فيقال « سواء على قمت أو قعدت » وإذا كان بعدها مصدران عطف الثاني « بالواو » أو بأو جملا عليها فيقال « سواء على قيامك وقعودك وقيامك أو قعودك » ومثلها لفظة « أبالي » ونحوها فانه إذا وقع بعدها همزة التسوية كان العطف بأم والا فالعطف « بأو » وأما أفعل التفضيل فلا يعطف إلا « بأم » فلا يقال زيد أفضل أو عمرو بل لابد من « أم » إذ المراد طلب التعيين وهو من مواضع « أم » وإذا نقد أخطأ النسخ بوضع « أم » مكان (أو) في بعض النسخ . وأما رفعها فلي أنها خبر لمبتدا محذوف تقديره وذلك سواء

نفسه كرمًا وحفاظًا^١. ثم أهوى بكليتيه^٢ على عُنق العُلجوم فعصره فمات.



السرطان وقد ضغط بكليتيه عنق العُلجوم فمات



العُلجوم يأكل السمك

وتخلص السرطان إلى جماعة السمك ، فأخبرهن بذلك . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال . ولكنني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تهلك به نفسك ، وتكون فيه سلامتك . قال الغراب : وما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتبصر في طيرانك لعلك أن تظفر^٣ بشيء من حلل النساء فتخطفه ، ولا تزال طائرًا واقعًا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتي جحر الأسود فترمى بالحلي عنده . فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم

١ يقال : رجل ذو حفاظ ومحافضة إذا كان عنده أنفة وهو من قولهم : حافظ على

الامر : ذب عنه وذاد ٢ يريد من السكبتين فكى العُلجوم

٣ لعل هنا محمولة على عسى ولذلك جاء في خبرها أن

وأراحوك من الأسود . فانطلق الغراب محلّقاً في السماء ، فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل ، وقد وضعت ثيابها وحليّها ناحية . فانقضّ واختطف من حليّها عقداً ، وطار به . فتبعه الناس ، ولم يزل طائراً واقعاً بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود ، فألقى العقد عليه ،



الناس تأخذ العقد وتقتل الأسود



الغراب يختطف العقد

والناس ينظرون إليه . فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الأسود . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تُجزئ ما لا تجزئ القوة ! . قال كليله : إن الثور لو لم يجتمع مع شدّته رأيه لكان كما تقول ، ولكنّ له مع شدّته وقوّته حسن الرأى والعقل . فماذا تستطيع له ؟ قال دمنة : إن الثور لكما ذكرت في قوّته ورأيه ، ولكنه مُقرّلي بالفضل ، وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الأرنب الأسد . قال كليله : وكيف كان ذلك ؟ !

١ أصل معنى تجزئ : تفني وتكني وتنوب والمراد تحدث ما لا تحدّثه القوة

قال دمنة : زعموا أن أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب .
 وكان في تلك الأرض من الوحوش^١ في سعة المياه والمرعى شيء كثير ، إلا
 أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد ، فاجتمعت وأتت إلى الأسد ،
 فقالت له : إنك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب ، وقد رأينا لك رأياً
 فيه صلاح لك وأمن لنا ، فإن أنت أمنتنا ولم تُخفنا فلك علينا في كل يوم
 دابة نرسل بها إليك في وقت غداك^٢ . فرضى الأسد بذلك ، وصلاح
 الوحوش عليه ، ووفين له به . ثم إن أرنبا أصابتها القرعة^٣ ، وصارت غداء
 الأسد . فقالت للوحوش : إن أنتن رفقتن بي فيما لا يضر كن رجوت
 أن أزيحكن من الأسد . فقالت الوحوش : وما الذي تكلفيننا من الأمور ؟
 قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلي ريثما^٤ أبطئ عليه بعض
 الإبطاء . فقلن لها : ذلك لك . فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت
 الذي كان يتغدى فيه الأسد . ثم تقدمت إليه وحدها رويداً ، وقد جاع ،
 ففضب وقام من مكانه نحوها . فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول^٥

١ الوحوش جمع وحش : وهو ما لا يستأنس من دواب البر ٢ الغداء بالفتح
 طعام الغدوة وهو ضد العشاء ٣ القرعة بالضم : حيلة يتعين بها سهم الإنسان ونصيبه
 ٤ الريث مقدار المهلة من الزمان يقال ما قعد عنده إلا ريثما فعل كذا وكذا أي
 مقدار ما فعل ، وهو في الأصل مصدر أجروه ظرفاً كما أجروا مقدم الحج وخفوق
 النجم في نحو قولك « جئت مقدم الحج وذهبت خفوق النجم » أي في وقتها . وأكث
 ما يستعمل مستثنى في كلام مني نحو ما قعدت عنده إلا ريثما فرغنا من السلام
 ٥ رسول يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو على خلاف القياس لأن فمول الذي
 يستوي فيه المذكر والمؤنث يكون بمعنى فاعل وأما هنا فبمعنى « مرسل » بفتح السين

الوحوش إليك ، بعثني ومعى أرنب لك ، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني ، وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش . فقلت : إن هذا غداء الملك أرسلني به الوحش إليه ، فلا تفصده ، فسبك وشتمك . فأقبلت مسرعة لأخبرك . فقال الأسد : انطلقى معي ، فأريني موضع هذا الأسد . فانطلقت الأرنب إلى جُبٍّ فيه ماء غامر صاف ، فاطلمت فيه وقالت : هذا المكان ، فاطلم الأسد ، فرأى ظله وظل الأرنب



الأسد يعرق والأرنب يعود



الأسد يمدح ظله وظل الأرنب في الجب

في الماء ، فلم يشك في قولها ، ووثب إليه ليقاتله فغرق في الجب . فانقلبت الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالأسد . قال كليله : إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد

١ الجب : البئر ذات الماء الكثير ، والقاع : العمق

فشأنك ، فإن الثور قد أضرَّ بى وبك وبغيرنا من الجنود . وإن أنت لم
تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم عليه ، فإنه غدَّر منى ومنك . ثم
إن دمنة ترك الدخول على لأسد أياماً كثيرة ، ثم أتاه على خلوته منه . فقال
له الأسد : ما حبسك عنى منذ زمان لم أرك ؟ ألا لخير كان انقطاعك ؟
قال دمنة : فليكن خيراً أيها الملك . قال الأسد : وهل حدث أمر ؟ قال
دمنة : حدث ما لم يكن الملك يريد ولا أحد من جنده . قال : وما ذاك ؟
قال : كلام فظيع . قال : أخبرنى به . قال دمنة : إنه كلام يكرهه سامعه ،
ولا يشجع عليه قائله . وإنك — أيها الملك — لذو فضيلة ، ورأيك يدلك
على أن يوجعنى أن أقول ما تكره ، وأثق بك أن تعرف نصيحى وإشارى
إياك على نفسى . وإنه ليعرض لى أنك غير مصدق فيما أخبرك به ، ولكنى
إذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا — معاشر^١ الوحوش — متعلقة بك لم أجذب^٢
من أداء الحق الذى يلزمنى ، وإن أنت لم تسألنى وخفيت ألا تقبل منى .
فإنه يقال : من كتم السلطان نصيحته والإخوان رأيه فقد خان نفسه .
قال الأسد : فما ذاك ؟

قال دمنة : حدثنى الأمين الصدوق عندى أن شترية خلا براءوس
جندك ، وقال : قد خبرت الأسد ، وبلوت رأيه ومكيدته وقوته ، فاستبان
لى أن ذلك يؤول منه إلى ضعف وعجز ، وسيكون لى وله شأن من الشؤون .
فلما بلغنى ذلك علمت أن شترية خوّان غدار ، وأنت أكرمته الكرامة

كلّها ، وجعلته نظير نفسك ، وهو يظن أنه مثلك ، وأنت متى زلت عن مكانك صار له ملكك ، ولا يدع جهداً إلا بلغه فيك . وقد كان يقال : إذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه ، فإن لم يفعل به ذلك كان هو المصروع . وشترية أعلم بالأُمور وأبلغ فيها . والعاقل هو الذى يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه ، فإنك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه ، فإنه يقال : الرجال ثلاثة ، حازم ، وأحزم منه ، وعاجز . فأحد الحازمين من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعاً ، ولم تعى به حيلته ومكيدته التى يرجوها المخرج منه . وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيُعْظمه إعظاماً ويحتال له حتى كأنه قد لزمه ، فيحسب الداء قبل أن يُبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو في تردّد وتمنّ وتوان حتى يهلك . ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث . قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟

قال دمنة : زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات : كيسة^٢ ، وأكيس منها ، وعاجزة ، وكان ذلك الغدير بنجوة^٣ من الأرض ، لا يكاد يقرّبه أحد ، وبقربه نهر جار . فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان ، فأبصرا الغدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشباكهما ، فيصيدا ما فيه من السمك ، فسمع السمكات قولهما : فأما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما ، وتخوفت منهما ، فلم تُخرج على شيء حتى خرجت من المكان الذى

يَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ . وَأَمَّا الْكَيْسَةُ فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا حَتَّى جَاءَ الصَّيَادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ ، فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَا ذَلِكَ الْمَكَانُ ، فحِينَئِذٍ قَالَتْ : فَرَطْتُ ، وَهَذِهِ عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ ، فَكَيْفَ الْحِيلَةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ ! وَقَلَمَا تَنْجَحُ حِيلَةُ الْعَجَلَةِ وَالْإِرْهَاقِ . غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ ، وَلَا يَيَاسُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يَدَعُ الرَّأْيَ وَالْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاتَتْ ، فَطَفَّتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مُنْقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً ، وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا ، فَأَخَذَهَا الصَّيَادَانِ فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ ، فَوُثِّبَتْ إِلَى النَّهْرِ فَتَجَّتْ . وَأَمَّا الْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ حَتَّى صِيدَتْ

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ فَهَمْتُ ذَلِكَ وَلَا أَظُنُّ الثَّورَ يَغُشِّنِي ، وَلَا يَرْجُو لِي الْغَوَائِلُ^١ ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرِ مَنِي سَوْءًا قَطُّ ، وَلَمْ أَدْعُ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتَهُ مَعَهُ ، وَلَا أُمْنِيَّةَ إِلَّا بَلَّغْتَهُ إِيَّاهَا ؟ قَالَ دُمْنَةُ : إِنْ اللَّثِيمُ لَا يَزَالُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٌ ، فَإِذَا بَلَغَهَا التَّمَسُّ مَا فَوْقَهَا ، وَلَا سِيَّاهُ الْخِيَانَةُ وَالْفَجُورُ ، فَإِنَّ اللَّثِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدِمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرَقٍ^٢ ، فَإِذَا اسْتَغْنَى وَذَهَبَتْ الْهَيْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ^٣ : كَذَنْبُ الْكَلْبِ الَّذِي يُرْبَطُ لِيَسْتَقِيمَ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مُرْبُوطًا ، فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَّ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنَّهُ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نَصِيحَائِهِ مَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ لَمْ يَحْمَدْ رَأْيَهُ : كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدَعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّبِيبُ

١ الغوائل : الدواهي ، جمع غائلة ٢ الخوف ٣ جواهر الشيء : أصله

ويعمد إلى ما يشتهي^١ . وحقّ على مؤازر السلطان^٢ أن يبالغ في التحضيض^٣ له على ما يزيد سلطانه قوّة ويزيّنه ، والكفّ عما يضرّه ويَشِينه . وخير الإخوان والأعوان أقلّهم مداهنة^٣ في النصيحة . وخير الأعمال أحلاها عاقبة . وخير النساء الموافقة لبعْلِها . وخير الثناء ما كان على أفواه الأَخيار . وأشرف الملوك من لم يخالطه بَطَر . وخير الأَخلاق أعونها على الورع ، وقد قيل : لو أن امرأً توسّد النار وافترش الحيات كان أحقّ ألاّ يَهْنِئَه النوم . والرجل إذا أحسّ من صاحبه عداوة يريد بها لا يطمئن إليه . وأعجز الملوك آخذهم بالهويناء^٤ ، وأقلّهم نظراً في مستقبل الأمور ، وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت إلى شيء ، فإن أحزنه أمر تهان به ، وإن أضع الأمور حمّل ذلك على قُرْنائه . قال الأسد : لقد أغلظت في القول . وقول الناصح مقبول محمول ، وإن كان شربة معادياً لي كما تقول فإنه لا يستطيع لي ضرراً . وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عُشب وأنا آكل لحم ؟ ! وإنما هو لي طعام ، وليس علىّ منه مخافة . ثم ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له ، وبعد إكرامى له ، وثنائى عليه . وإن غيّرت ما كان منّى وبدّلته سفّهت رأيي ، وجهّلت نفسي ، وغدّرت بدمّتي . قال دمنة : لا يغرّك قولك «هولي طعام وليس علىّ منه مخافة» فإن شربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره . ويقال : إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت

١ مؤازرة : معاضدة ومعاونة ٢ الحمل على الشيء ٣ المداهنة : المراعاة .

٤ الهويناء : الرفق واللين .

لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ، ولا تأمن أن يصلاك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث . قال الأسد : وكيف كان ذلك ! ؟ قال دمنة : زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرًا ، فكانت تُصيب من دمه وهو نائم لا يشعر ، وتديب ديبًا رقيقًا ، فكثت كذلك حينًا ، حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث . فقالت له : بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين . فأقام البرغوث عندها ، حتى إذا أوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته ، وأطارت النوم عنه . فقام الرجل وأمر أن يُقتش فراشه ، فنظر فلم ير إلا القملة ، فأخذت فقضعت وفرّ البرغوث . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد . وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه . وإن كنت لا تخاف من شربة نخف غيره من جندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك . فوقع في نفس الأسد كلام دمنة . فقال : ما الذي ترى إذا ؟ وبماذا تشير ؟ قال دمنة : إن الضرس المكسور الماء كول لا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يفارقه . والطعام الذي قد غشت النفس عنه وتقلقت منه ، الراحة في قذفه . والعدو المخوف دواؤه قتله . قال الأسد : لقد تركتني أكره مجاورة شربة إياي ، وأنا مُرسل إليه ، وذاكر له ما وقع في نفسي منه ، ثم أمره باللحاق حيث أحب . فكره دمنة ذلك ، وعلم أن الأسد متى كلم شربة في ذلك وسمع منه جوابًا عرف باطل ما أتى به ، واطلمع على غدره وكذبه ، ولم يخف عليه

أمره . فقال للأسد : أما إرسالك إلى شترية فلا أراه لك رأياً ولا حزمًا .
 فليُنظرُ الملك في ذلك ، فإن شترية متى شعر بهذا الأمر خفت أن يعاجل
 الملك بالمكابرة . وهو إن قاتلك قاتلك مستعداً ، وإن فارقك فارقاً
 يليك منه النقص . ويلزمك منه العار . مع أن ذوى الرأي من الملوك
 لا يعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه . ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة :
 فلذنب العلانية عقوبة العلانية ، ولذنب السرّ عقوبة السرّ . قال الأسد :
 إن الملك إذا عاقب أحداً عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فنفسه عاقب ،
 وإياها ظلم . قال دمنة : أما إذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شترية
 إلا وأنت مستعدّ له . وإياك أن تصيبك منه غرة أو غفلة ، فإنى لا أحسب
 الملك حين يدخل عليه إلا سيعرف أنه قد همّ بعظيمة ^١ . ومن علامات
 ذلك أنك ترى لونه متغيراً ، وترى أوصاله ^٢ تُرعد ، وتراه ملتفتاً يميناً وشمالاً ،
 وتراه يهزّ قرنيه : فعل الذى همّ بالنطاح والقتال . قال الأسد : سأكون
 منه على حذر ، وإن رأيت منه ما يدلّ على ما ذكرت علمت أن ما فى أمره شكّ
 فلما فرغ دمنة من حمل الأسد على الثور وعرف أنه قد وقع في نفسه
 ما كان يلتمس ، وأن الأسد سيتحذر الثور ويتهيأ له ، أراد أن يأتى الثور
 ليُغريه بالأسد ، وأحبّ أن يكون إتيانه من قبل الأسد مخافة أن يبلغه
 ذلك فيتأذى به . فقال : أيها الملك ، ألا آتى شترية فأُنظر إلى حاله وأمره
 وأسمع كلامه ، لعلّ أطلع على سرّه ، فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لى

١ أى بفعلة شنعاء ٢ الاوصال: الاعضاء أو المفاصل : جمع وصل بكسر الواو

منه . فأذن له الأسد في ذلك ، فانطلق فدخل على شربة كالكتيب الحزين



انتناس شربة بدمه



دحول دمنة على شربة كسا

فلما رآه الشور رحب به ، وقال : ما كان سبب انقطاعك عني^١ ، فإنني لم أرك منذ أيام ، ولعلك في سلامة . قال دمنة : ومتي كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه ، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ، ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه ! قال شربة : وما الذي حدث ؟ قال دمنة : حدث ما قدر وهو كائن . ومن ذا الذي غالب القدر ؟ ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الأمور فلم يبطر^٢ ؟ ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر^٣ ؟ ومن ذا الذي تبع هواه فلم يخسر ؟ ومن ذا الذي طلب من اللثام

١ يجوز أن تكون (كان) زائدة ، وما مبتدأ وسبب خبره . ويجوز أن تكون ناقصة واسمها يعود على (ما) وسبب خبرها ٢ يقال : بطر فلان كفرح : أخذته دهشة وحيرة عند هجوم النعمة فلم يقم بحققها ، أوطنى بالنعمة

فلم يُحرَمَ ؟ ومن ذا الذي خالط الأشرار فسلم ؟ ومن ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن والإحسان ؟ قال شترية : إني أسمع منك كلاماً يدل على أنه قد رابك من الأسد ريب ، وهالك^١ منه أمر. قال دمنة : أجل^٢ ، لقد رابني منه ذلك ، وليس هو في أمر نفسي . قال شترية : ففي نفس من رابك ؟ قال دمنة : قد تعلم ما بيني وبينك ، وتعلم حقك على ، وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الأسد إليك ، فلم أجد بداً من حفظك وإطاعتك على ما اطلعت عليه مما أخاف عليك منه. قال شترية : وما الذي بلغك ؟ قال دمنة : حدثني الخبير الصدوق الذي لا مرية^٣ في قوله أن الأسد قال لبعض أصحابه وجلسائه : قد أعجبني سمع الثور ، وليس لي إلى حياته حاجة ، فأنا آكاه ومطعم أصحابي من لحمه . فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره ونقض عهده أقبلت إليك لأقضي حقك ، وتحتال أنت لأمرك . فلما سمع شترية كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الأسد ، ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له ، ورأى أن الأمر شبيه بما قال دمنة ، فأهمته ذلك ، وقال : ما كان للأسد أن يغدر بي ولم آت إليه ذنباً ، ولا إلى أحد من جنده منذ صحبتته^٤ ، ولا

١ هاله الامر يهوله : أفزعاه وعظم عليه ٢ أجل : حرف جواب بمعنى نعم فعناه التصديق ان وقع بعد الماضي نحو هل قام محمود ، والوعد ان وقع بعد المستقبل ٣ المرية بالكسر وتضم : الشك ، والجدل ٤ أما منذ فهي كذا ويجوز فيها ضم الميم وكسرها ولهما ثلاث حالات : (الاولى) أن يليها اسم مجرور ، والصحيح حينئذ أنهما حرفا جر في هذا المقام . ومعناها « من » ان كان الزمن ماضياً أو في ان كان

أظن الأسد إلا قد حبل على بالكذب وشبه عليه أمرى ، فإن الأسد قد
 صحبه قوم سوء ، وجرب منهم الكذب وأموراً هي تصدق عنده ما بلغه
 من غيرهم . فإن صحبة الأشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالأخيار ،
 وحملة تجربته على الخطأ كخطأ البطة التي زعموا أنها رأت في الماء ضوء
 كوكب فظنته سمكة ، فحاولت أن تصيدها ، فلما جربت ذلك مراراً
 علمت أنه ليس بشيء يصاد ، فتركته . ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة
 فظنت أنها مثل الذي رآته بالأمس فتركته ولم تطلب صيدها . فإن كان
 الأسد بلغه عنى كذب فصدقه على وسمعه فى ، فما جرى على غيرى يجرى
 على ، وإن كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بى من غير علة فإن ذلك لمن
 أعجب الأمور . وقد كان يقال : إن من العجب أن يطلب الرجل رضا
 صاحبه ولا يرضى ، وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط ، فإذا
 كانت الموجدة عن علة كان الرضا موجوداً ، والعفو مأمولاً . وإذا
 كانت عن غير علة انقطع الرجاء ، لأن العلة إذا كانت الموجدة فى ورودها

الزمن حاضراً ، ويجوز فيهما أن يكونا بمعنى (من) و (الى) إذا كان المجرور معدوداً
 تقول مارأيت منذ يوم الجمعة ، أو منذ يومنا ، أو منذ ثلاثة أيام
 (الثانية) أن يليهما اسم مرفوع ومعناها حينئذ الامد ان كان الزمان حاضراً أو
 معدوداً وأول المدة ان كان ماضياً ويعربان إذا (على المشهور) مبتدأين وما بعدها
 خبر تقول مارأيت منذ يومان ، والمعنى (الامد يومان) ويجوز أن يكونا ظرفين
 مضافين للجملة (وقد حذف فعلها) والتقدير منذ كان يومان
 (الثالثة) أن يليهما الجمل الفعلية أو الاسمية كما فى هذا المقام والمشهور حينئذ أن
 يكونا ظرفين مضافين للجملة ، وهناك غير آراء ما ذكرناه مما لم نرفيه سيس حاجة
 ١ شبه عليه الامر بالبناء للمجهول : اشبهه عليه والتبس بغيره

كان الرضاء مأمولا في صدورهما^١

قد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره . ولعمري ما يستطيع أحد أطل صحبة صاحب أن يحترس في كل شيء من أمره ، ولا أن يتحفظ من أن يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها صاحبه . ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمداً كان أو خطأ . ثم ينظر : هل في الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصفح عنه سبيلا ؟ . فإن كان الأسد قد اعتقد على ذنباً فليست أعلمه إلا أنني خالفته في بعض رأيه نصيحة له ، ففساه أن يكون قد أنزل أمرى على الجرأة عليه والمخالفة له . ولا أجد لي في هذا المحضر إثما ما^٢ ، لأنني لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ، ولم أجاهر بشيء من ذلك على رؤوس جنده وعند أصحابه . ولكنني كنت أخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر ، وعلمت أنه من التمس الرخص^٣ من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي ، وازداد فيما وقع فيه من ذلك توزّطا ، وحمل الوزر . وإن لم يكن هذا فمسي أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان . فإن مصاحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة . وإن

١ أصل الورود : ورود الماء والصدور الرجوع عنه
٢ ما هنا : نكرة ناقصة وتسمى الإبهامية ومعناها أي شيء وهنا : إثما أي اثم
٣ الرخص : جمع رخصة وهي اليسر والسهولة ، وفي الشرع ما أقيم على أعذار العباد

لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك . وإن لم يكن هذا ولا هذا فهو إذاً من مواقع القضاء والقدر الذي لا يدفع . والقدر هو الذي يسلب الأسد قوته وشدة ويُدخله القبر . وهو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج . وهو الذي يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حمتها ويلعب بها . وهو الذي يجعل العاجز حازماً ، ويثبّط الشهم ، ويوسع على المُقتِر ، ويشجع الجبان ، ويحبّ الشجاع عندما تعثره المقادير من العلل التي وضعت عليها الأقدار

قال دمنه : إن إرادة الأسد بك ليست من تحميل الأشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ، ولكنها الغدر والفجور منه^١ ، فإنه فاجر خوان غدار ، لطعامه حلاوة ، وآخره سم مميت . قال شربة : فأراني^٢ قد استلذت الحلاوة إذ ذقتها ، وقد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت . ولولا الحين ما كان مُقامي عند الأسد ، وهو آكل لحم وأنا آكل عُشب . فأنا في هذه الورطة كالنحلة^٣ التي تجلس على النيلوفر^٤ إذ تستلذ ريحه وطعمه ،

١ الفجور : الانبعاث في المعاصي ٢ فأراني : على صيغة المبني للمجهول بمعنى أظني
٣ النحل : ذباب العسل واحده نحلة يرعى الازهار والثمرات فاذا ما رأى موضعاً نقياً بنى فيه بيوتاً من الشمع ثم بنى البيوت التي تأوي فيها ملوكهم ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً ثم تلقى البذر فيما بنته لانه لها بمنزلة العش للطائر قالوا فاذا ألقته حضنته كما يحضن الطير فيخرج منه دود أبيض ينهض بعد قليل ويغذى نفسه ثم يطير
٤ النيلوفر بفتح النون وكسرهما وتبدل لامه نونا : من النباتات التي تنبت في المياه الراكدة له أصل يشبه أصل الجزر وساقه ملساء تشبه ملاسة البردي أما طوله فيحسب عمق الماء لانه لا يورق تحت سطحه فاذا ما طال وساوى سطحه أورق وأزهر . ورقه عريض يقرب من الدائرة . وأما زهره فتسعه له رونق وجمال . ولفظه ليس بعربي

فتحبسها تلك اللذة . فإذا جاء الليل ينضم عليها ، فتلج فيه وتموت . ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذي يغنيه ، وطمحت عينه إلى ما سوى ذلك^١ ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذي لا يرضى بالشجرة والرياحين ، ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذي يسيل من أذن الفيل ، فيضربه الفيل بأذنيه فيهلكه . ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السباخ^٢ . ومن يشر على المعجب^٣ فهو كمن يشاور الميت أو يسار الأصم^٤ . قال دمنه : دع عنك هذا الكلام ، واحتل لنفسك . قال شتربة : بأي شيء أحتال لنفسي إذا أراد الأسد أكلني مع ما عرفتني من رأى الأسد وسوء أخلاقه ؟ . واعلم أنه لو لم يرد بي إلا خيراً ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكى لقدروا على ذلك . فإنه إذا اجتمع المكرة الظالة على البرىء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قوى : كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة^٥ . قال دمنه : وكيف كان ذلك ؟ !

قال شتربة : زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس ، وكان له أصحاب ثلاثة : ذئب ، وغراب ، وابن آوى ، وأن رعاة

١ طمح بصره إلى الشيء كقطع طمحا وطموحاً وطماحاً بالكسر : ارتفع نظره شديداً ٢ السباخ من الأرض ما لم يحترث ولم يعمر ٣ أعجب الرجل (مبنياً للمجهول) بنفسه وبما عنده : زها واستكبر وكان ذا عجب (بالضم) ٤ الأصم : ذو الصمم وهو الذي لا يسمع . وساره : نجاه ٥ تقدم شرح الذئب وابن آوى ، وأما الجمل فهو الحيوان المعروف ويتنوع إلى نوعين ذوالسنامين ويسمى البقطياني ، والجمل العربي وله سنام واحد والهجين ضرب كريم منه وهو يصبر على العطش كثيراً

مرّوا بذلك الطريق ومعهم جمال ، فتخلف منها جمل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد . فقال له الأسد : من أين أقبلت ؟ قال : من موضع كذا . قال : فما حاجتك ؟ قال : ما يأمرني به الملك . قال : تقيم عندنا في السعة والأمن والخصب . فأقام الأسد والجمل معه زمناً طويلاً . ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد ، فلقى فيلاً عظيماً ، فقاتله قتالاً شديداً ،



الفيل ثقل مُثخناً بالجراح



مقاتلة الأسد للفيل

وأفلت منه مثقلاً مُثخناً بالجراح^١ يسيل منه الدم ، وقد خدشه الفيل بأنيابه^٢ . فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكاً ، ولا يقدر على طلب الصيد . فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياً ما لا يجدون طعاماً ، لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وطعامه ، فأصابهم جوع شديد وهزال

١ مثقلاً بمعنى ثقيلاً من كثرة ما أصابه . ويقال : أثخنه الجراحة : أوهنته وأضعفته

٢ الانياب جمع ناب (مؤنثاً) هي السن خلف الرباعية وكذلك يجمع على أنيب

ونيوب وأناييب

وعرف الأسد ذلك منهم ، فقال : لقد جهدتم^١ واحتجتم إلى ما تأكلون . فقالوا : لا تهمننا أنفسنا ، لكننا نرى الملك على ما نراه ، فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه . قال الأسد : ما أشك في نصيحتكم ، ولكن انتشروا لعلكم تصيدون صيداً تأتوني به ، فيصيبني ويصيبكم منه رزق . فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد ، فتنحوا ناحية ، وتشاوروا فيما بينهم ، وقالوا : ما لنا ولهذا الأكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ! ولا رأي من رأينا ! ألا نزين للأسد فيأكله ، ويطعمنا من لحمه ؟ قال ابن آوى : هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد ، لأنه قد أمّن الجمل ، وجعل له من ذمته عهداً . قال الغراب : أنا أكفيكم أمر الأسد . ثم انطلق فدخل على الأسد ، فقال له الأسد : هل أصبت شيئاً ؟ قال الغراب : إنما يصيب من يسعى ويبصر . وأما نحن فلا سعی لنا ولا بصر لما بنا من الجوع . ولكن قد وثقنا لرأى واجتمعنا عليه ، إن وافقنا الملك فنحن له مجيبون . قال الأسد : وما ذاك ؟ قال الغراب : هذا الجمل آكل العشب ، المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ، ولا ردّ عائدة ، ولا عمل يعقب مصلحة . فلما سمع الأسد ذلك غضب ، وقال : ما أخطأ رأيك ! وما أعجز مقالك وأبعدك من الوفاء والرحمة ! وما كنت حقيقاً أن تجترئ على بهذه المقالة ، وتستقبلني بهذا الخطاب ، مع ما علمت من أنى قد آمنت الجمل وجعلت له من ذمتي^٢ . أولم يبلغك !

١ يقال جهد كسمع جهداً : نكد واشتد . ويقال جهد بالبناء للمفعول : غم ومنه قولهم (أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً) ٢ أى جعلت له عهداً من ذهني فحذف المفعول للعلم به

أنه لم يتصدق متصدق بصدقة هي أعظم أجراً ممن آمن نفساً خائفة ، وحقق دماً مهدراً ! وقد آمنت به ولست بغادر به . قال الغراب : إني لأعرف ما يقول الملك . ولكن النفس الواحدة يُفتدى بها أهل البيت ، وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة ، والقبيلة يفتدى بها أهل المصر ، وأهل المصر فداء الملك . وقد نزلت بالملك الحاجة . وأنا أجعل له من ذمته مخرجاً على ألا يتكأف الملك ذلك^١ ، ولا يليه بنفسه ، ولا يأمر به أحداً ، ولكننا نحتال بحيلة لنا وله^٢ فيها إصلاح وظفر . فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب ، فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى أصحابه ، فقال لهم : قد كلمت الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل عند الأسد ، فنذكر ما أصابه ، ونتوجع له اهتماماً منا بأمره ، وحرصاً على صلاحه ، ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملاً لئلا يأكله ، فيرد الآخرا عليه ، ويسفهان رأيه ، ويدينان الضرر في أكله . فإذا فعلنا ذلك سلمنا كائننا ورضي الأسد عنا . ففعلوا ذلك ، وتقدموا إلى الأسد . فقال الغراب : قد احتجت — أيها الملك — إلى ما يقويك ، ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك ، فإننا بك نعيش ، فإذا هلك فليس لأحد منا بقاء بعدك ، ولا لنا في الحياة من خيرة ، فليأكلني الملك ، فقد طببت بذلك نفساً . فأجابه الذئب وابن آوى : أن اسكت^٣ ،

١ على حرف جر ومعناها هنا الاستدراك والاضراب وهي والمصدر المجرور بها تعرب خبراً لمبتدأ محذوف تقديره والتدبير مبدى على ألا يتكأف الملك ذلك . . .

٢ الضمير هنا يعود إلى الملك لا الجمل ٣ أن هنا هي ما تسمى المفسرة لأنها

وقعت بعد ما فيه معنى القول وهو فاجابه

فلا خير للملك في أكلك ، وليس فيك شِيع ، قال ابن آوى : لكن أنا أشبع الملك ، فليأكلني ، فقد رضيت بذلك ، وطببت عنه نفساً ، فردّ عليه الذئب والغراب بقولهما : إنك لمنن قدير ، قال الذئب : إني لست كذلك فليأكلني الملك ، فقد سمحت بذلك ، وطببت عنه نفساً ، فاعترضه الغراب وابن آوى ، وقالوا : قد قالت الأطباء : من أراد قتل نفسه فليأكل كل لحم ذئب . فظنّ الجمل أنه إذا عرض نفسه على الأكل التمسوا له عذراً كما التمس بعضهم لبعض الأعداء ، فيسلم ويرضى الأسد عنه بذلك ، وينجو من المهالك . فقال : لكن أنا فيّ للملك شِيع وريّ ، ولحي طيب هنيّ ، وبطني نظيف ، فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وخدمته ، فقد رضيت بذلك



وثبهم على الجمل وتزيقه



يأترون بالجمل لعرض نفسه

وطابت نفسي عنه ، وسمحت به . فقال الذئب والغراب وابن آوى : لقد صدق الجمل وكرم ، وقال ما عرّف . ثم إنهم وثبوا عليه فمزقوه

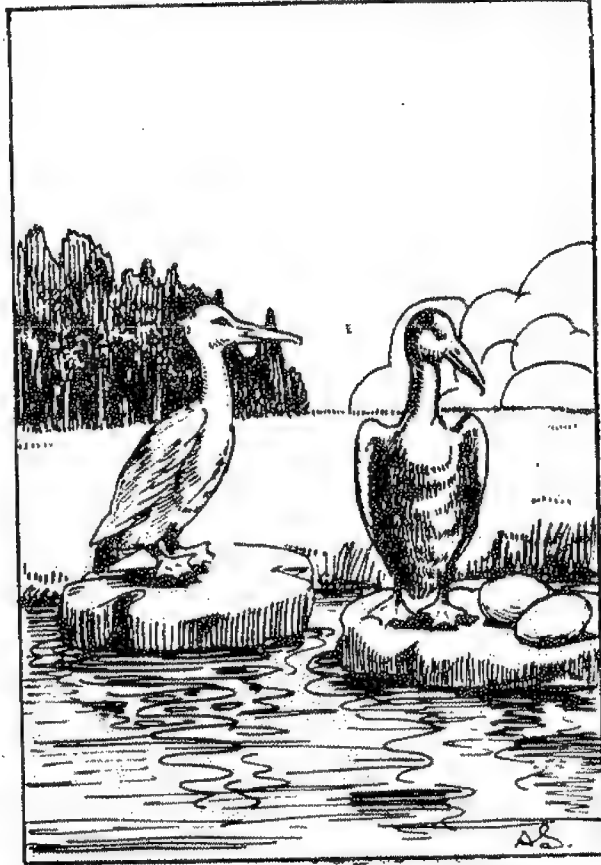
وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب الأسد قد
اجتمعوا على هلاكى ، فإنى لست أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس ، وإن
كان رأى الأسد لى على غير ما هم عليه من رأى فى فلا ينفعنى ذلك ،
ولا يُغنى عنى شيئاً . وقد يقال : خير السلاطين من عدل فى الناس ، ولو
أن الأسد لم يكن فى نفسه لى إلا الخير والرحمة لغيرته كثرة الأقويل ،
فإنها إذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة . ألا ترى أن الماء
ليس كالقول ، وأن الحجر أشد من الإنسان . فالماء إذا دام انحدره على
الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر فيه ، وكذلك القول فى الإنسان . قال
دمنة : فماذا تريد أن تصنع الآن ؟ قال شتربة : ما أرى إلا الاجتهاد
والمجاهدة بالقتال . فإنه ليس للمصلّى فى صلاته ، ولا للمتصدق فى صدقته ،
ولا للورع فى ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته
على الحق . قال دمنة : لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير
ذلك . ولكن ذا رأى جاعل القتال آخر الحيل ، وبادئ قبل ذلك بما
استطاع من رفق وتمحل^١ ، وقد قيل : لا تحقرن العدو الضعيف المهين^٢ ،
ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان ، فكيف بالأسد على جرائته
وشدته ؟ ! فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر^٣ من
الطيّطوى^٤ . قال شتربة : وكيف كان ذلك ؟

١ التمثل : طلب الشيء بحيلة وتكاف ٢ المهين : الحقير ٣ وكيل البحر
وفى بعض النسخ الموكل بالبحر يؤخذ من سياق المثل أنه حيوان بحرى أو خرافى
لا وجود له ٤ الطيّطوى : من الطيور التى لا تفارق إلا جام والمياه لانه

قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ، ومعه زوجة له . فلما جاء أوان تفريخهما قالت الأنثى للذكر : لو التمسنا مكاناً حريزاً نُفرخ فيه ، فإنى أخشى من وكيل البحر إذا مدّ الماء أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخى مكانك ، فإنه موافق لنا والماء والزهر منا قريب . قالت له : يا غافل ! ليحسنُ نظرك فإنى أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخى مكانك ، فإنه لا يفعل ذلك . فقالت له : ما أشدّ تعنتك ! أما تذكر وعيده وتهده إياك ! ألا تعرف



وكيل البحر يتناول فراخ الطيطوى



الطيطوى يتحدث الى زوجته

نفسك وقدرك ؟ ! فأبى أن يُطيعها . فلما أكَثرت عليه ولم يسمع قولها قالت

لا ينال قوته الا فى شاطئ النياض والآجام من دود تن . وقيل يطمن هذا الطائر ويصيح ولا ينفر من موضعه الا اذا طلبه البازى فيهرب ، فاذا كن فى الليل صاح وأما فى النهار فيكمن فى الحشيش ولا يصيح

له : إن من لم يسمع قول الناصح يُصيبه ما أصاب السُّلَحْفَاءُ^١ حين لم تسمع قول البَطَّين . قال الذكر : وكيف كان ذلك ؟ !

قالت الأنثى : زعموا أن غديراً كان عنده عُشْبٌ ، وكان فيه بَطَّان وكان في الغدير سُلَحْفَاءٌ بينها وبين البطتين مودةٌ وصداقةٌ ، فاتفق أن غيض ذلك الماء ، فجاء البَطَّان لوداع السُّلَحْفَاءِ ، وقالتا : السلام عليك ، فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه . فقالت إنما يبين نقصان الماء على مثلي ، فإنني كأني السفينة لا أقدر على العيش إلا بالماء . فأما أنتم فتقديران على العيش حيث كنتم ، فاذهبا بي معكما . قالتا لها : نعم . قالت : كيف السبيل إلى حملي ؟ قالتا : نأخذ بطرفيَّ عود وتعلقين بوسطه ،



سقوط السُّلَحْفَاءِ وموتها



الطَّان والسُّلَحْفَاءِ

١ السُّلَحْفَاءُ بضم ففتحين بينهما سكون ، وقد تكسر السين وقد تحذف التاء كلمة مصرية عن الفارسية ومعناها دابة من جنس الزواحف . وهي أنواع ثلاثة : برية ونهرية

ونظير بك في الجوّ . وإياك إذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطق . ثم أخذتها فطارتا بها في الجوّ . فقال الناس : عَجَبٌ سُلْحَفَاةٌ بَيْنَ بَطَّيْنٍ قَدْ حَمَلَتَاهَا ! فلما سمعت ذلك قالت : فقأ الله أعينكم أيها الناس ! فلما فتحت فاهها بالنطق وقعت على الأرض فماتت . قال الذكر : قد سمعت مقاتلك فلا تخافى وكيل البحر . فلما مدّ الماء ذهب بفراخهما . فقالت الأنثى : قد عرفت في بدء الأمر أن هذا كائن . قال الذكر : سوف أنتقم منه . ثم مضى إلى جماعة الطير فقال لهم : إن كن أخواتي وثقاتي ، فأعنّني . قلن : ماذا تريد أن نفعل ؟ قال . تجتمعن وتذهبن معي إلى سائر الطير فنشكو إليهن ما لقيت من وكيل البحر ، وتقولن لهم : إن كن طير مثلنا فأعنّنا ، فقالت له جماعة الطير : إن العنقاء^١ هي سيّدتنا وملكتنا ، فإذهب بنا إليها حتى نصيح بها ، فتظهر

وبحريّة وأشهر أنواعها النهرية أو الرخوة . درقتها مفرطة رقيقة بيضيّة الشكل وناقصة نقصاً عظيماً . والسُلْحَفَاة مغطاة بجلد قاس ممتين . وعنقها طويل لين ورأسها مخروطي جلدي طويل ، قوائمها قصيرة عريضة وقوية وهي ذات خمس أصابع متلاصقة تلاصقا تاماً ١ العنقاء : من الطيور التي بلغ الخلف فيها غايته ، فمن الناس من جعلها طيراً غريباً يبيض بيضاً كالجبّال وزعم القزويني أنها أعظم الطير جثة وأكبرها خلقة بخطف الفيل كما تخطف الحداة الفار فاذا طارت سمع لاجنحتها دوى كدوى الرعد القاصف وتعيش ألفي سنة ثم أطل في وصفها . وذكر أرسطاطاليس أنها تصاد فيصنع من مخالبها القداح للشرب تخطف الثور وهي من أعظم سباع الطير . وقيل سميت العنقاء لطول عنقها ، أو لبياض كان في عنقها كالأطوق . ويقول الزمخشري : إن العنقاء قد انتقطع نسلها فلا توجد اليوم في الدنيا . وهلم جرا إلى آخر ما جاء من الاختلاف فيها مما لا ينبغي منه غير الجهد والاعناء.

لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر ، ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها . ثم إنهن ذهبن إليها مع الطيطوى فاستغثنها وصحن بها ، فقرأت لهن ، فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تصير معهن إلى محاربة وكيل البحر . فأجابتهن إلى ذلك . فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصده في جماعة



وكيل البحر يفر من العنقاء وجماعة الطير



الطيطوى يستجيب بالعنقاء

الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به ، فردّ فراخ الطيطوى وصالحه ، فرجعت العنقاء عنه

وإنما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأياً . قال شترية : فما أنا بمقاتل الأسد ، ولا ناصب له العداوة سرّاً ولا علانية ، ولا متغير له عما كنت عليه ، حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه . فكره دمنة قوله ، وعلم أن الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن . فقال دمنة لشترية : إذهب إلى الأسد ، فستعرف

حين ينظر إليك ما يريد منك . قال شترية : وكيف أعرف ذلك ؟ قال
دمنة : ستري الأسد حين تدخل عليه مُقعيا على ذنبه ، رافعا صدره إليك ،
مادّا بصره نحوك ، قد صرّ أذنيه ، وفغر فاه ، واستوى للوثبة . قال شترية :
إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك . ثم إن دمنة
لما فرغ من حمل الأسد على الثور والثور على الأسد توجه إلى كليلة . فلما
التقيا قال كليلة : إلام انتهى عملك الذي كنت فيه ؟ قال دمنة : قريب من
الفراغ على ما أحبّ وتحبّ . ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا قتال
الأسد والثور ، وينظرا ما يجري بينهما ، ويعاينا ما يؤول إليه أمرهما . وجاء
شترية ، فدخل على الأسد فراه مُقعيا كما وصفه له دمنة . فقال : ما صاحب
السلطان إلا كصاحب الحية التي في مبيتة وهقيله ، فلا يدري متى يهيج به .



قتال الأسد والثور



شترية يدخل على الأسد فتعنه فيه الشر

ثم إن الأسد نظر إلى الثور ، فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة . فلم يشك

أنه جاء لقتاله ، فوائبه ، ونشأ بينهما الحرب ، واشتد قتال الثور والأسد وطال ، وسالت بينهما الدماء . فلما رأى كيلة أن الأسد قد بلغ منه ما قد بلغ قال لدمنة : أيها الفسل^١ ما أنكر جهلتك ! وأسوأ عاقبتك في تدبيرك ! قال دمنة : وما ذاك ؟ قال كيلة : جرح الأسد ، وهلك الثور . وإن أخرج الخرق من حمل صاحبه على سوء الخلق والمبارزة والقتال وهو يجد إلى غير ذلك سبيلاً . وإن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها ، فما رجا أن يتم له منها أقدم عليه ، وما خاف أن يتعذر عليه منها انحراف عنه ولم يلتفت إليه . وإني لأخاف عليك عاقبة بغيك هذا ، فإنك قد أحسنت القول ولم تحسن العمل . أين معاهدتك إياي أنك لا تضر بالأسد في تدبيرك ؟ وقد قيل : لا خير في القول إلا مع العمل ، ولا في الفقه إلا مع الورع ، ولا في الصدقة إلا مع النية ، ولا في المال إلا مع الجود ، ولا في الصدق إلا مع الوفاء ، ولا في الحياة إلا مع الصحة ، ولا في الأمن إلا مع السرور . واعلم أن الأدب يُذهب عن العاقل الطيش ، ويزيد الأحمق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذي بصر نظراً ، ويزيد الخفاش^٢ سوء النظر .

١ الفسل بالفتح : الضعيف الرذل الذي لا مروءة له ولا جلد ، وبالكسر : الأحمق .
٢ الخفاش بضم فتشديد : واحد الخفافيش التي تطير في الليل ويسمى أيضاً خشافاً ووطواطاً . ولما كان لا يبصر نهراً الشمس التي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قبيل غروب الشمس إذ يكون وقت هيجان البعوض فيخرج الخفاش طالباً للطعام . قالوا وقد عد من الحيوانات إذ كان ذا أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويبيض ويطيح ويبول كما تبول ذوات الأربع ويرضع ولده . وهو أعجب الطير خلقة لانه لحم ودم يطير بغير ريش شديد الطيران سريع القلب موصوف بطول العمر ، حتى يقال انه أطول عمراً من النسروحمار الوحش ، وقد تلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة ، وكثيراً

وقد أذكرني أمرك شيئاً سمعته . فإنه يقال : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزرائه وزراء سوء منعوا خيره ، فلا يقدر أحد أن يدنو منه : ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح^١ : لا يقدر أحد أن يتناوله ، وإن كان إلى الماء محتاجاً . وأنت يا دمنة أردت ألا يدنو من الأسد أحد سواك ، وهذا أمر لا يصح ولا يتم أبداً ، وذلك للمثل المضروب : إن البحر بأمواجه ، والسلطان بأصحابه . ومن الحق الحرص على التماس الإخوان بغير الوفاء لهم ، وطلب الآخرة بالرياء ، ونفع النفس بضر الغير ، وما عظمي وتأديبي إياك إلا كما قال الرجل للطائر : لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ، ولا تعالج تأديب من لا يتأدب . قال دمنة : وكيف كان ذلك ! ؟

قال كيلة : زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكاناً في جبل ، فالتسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار ناراً ، فلم يجدوا ، فأوا يراعة^٢ تطير كأنها

ما يسفد وهو طائر في الهواء ، وكذلك يحمل أولاده تحت جناحه وربما قبض على ولده بفيه لشدة حنوه واشفاقه عليه وربما أرضعت الانثى ولدها وهي طائرة . والحفاش أسرتان : أحدهما تأكل النبات والثانية تأكل الهوام

١ التماسح : حيوان قوي كاسر يسطو أحياناً على الإنسان ، غير أنه قليل الانتشار ، وهو يألف الاقطار الشديدة الحرارة فيقيم بالانهار والبحيرات العذبة المياه ويخرج كثيراً يقصد الصيد والتغذى ، وسيره سريع جداً غير أنه يزحف على خط مستقيم وبذلك تستطيع طرائده أن تنجو منه أحياناً

وغذاؤه غالباً اللحم ولا سيما لحم الأسماك ، ويصطاد أحياناً الطيور المائية وكذلك الحيوانات الشديدة الصغيرة ولا يهجم على الإنسان إلا نادراً ، ولا يستطيع أن يزرد طعامه في الماء ، وهو مع ذلك يأخذ صيده إليه فيخبئه في شق أو حفرة حتى ينتن

٢ اليراعة : طائر صغير يكون كسائر الطيور إذا كان النهار حتى إذا جاء الليل رأيته كالشهاب الثاقب

شرارة نار ، فظنوها ناراً ، وجمعوا حطباً كثيراً ، فألقوه عليها ، وجعلوا
ينفخون طمعاً أن يُوقدوا ناراً يصطلون^١ بها من البرد . وكان قريباً منهم طائر
على شجرة ينظرون إليه وينظر إليهم ، وقد رأى ما صنعوا ، فجعل يناديهم
ويقول : لا تتبعوا ، فإن الذي رأيتموه ليس بنار . فلما طال ذلك عليه عزم
على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه ، فمرّ به رجل فعرف ما عزم عليه ، فقال
له : لا تلمس تقويم ما لا يستقيم . فإن الحجر المانع الذي لا ينقطع ،
لا تُجرب عليه السيوف ، والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس ، فلا
تتعب . فأبى الطائر أن يُطيعه ، وتقدّم إلى القرادة ليعرفهم أن البراعة ليست
بنار . فتناوله بعض القرادة فضرب به الأرض ، فمات . فهذا مثلي معك
في ذلك ، ثم قد غلب عليك الخب^٢ والفجور ، وهما خلّتا سوء ، والخب^٣
شرهما عاقبة . ولهذا مثل . قل دمنة : وما ذلك المثل ؟ !

قال كليله : زعموا أن خباً ومغفلاً اشتركا في تجارة ، وسافرا . فبينما هما في
الطريق إذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيساً فيه ألف دينار فأخذه ،
فأحس به الخب ، فرجعا إلى بلدهما . حتى اذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام
المال ، فقال المغفل : خذ نصفه وأعطني نصفه ، وكان الخب قد قرّر في نفسه
أن يذهب بالألف جميعه . فقال له : لا تقتسم . فإن الشركة والمفاوضة أقرب
إلى الصفاء والمخالطة . ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها ، وندفن الباقي في أصل

١ أي يستدفنون بها ٢ الخب بالفتح والكسر : النش والخبث والخداع ،
أما الرجل الخداع فالفتح فيه أفصح من الكسر ٣ « ما » في بينما : زائدة
وهي أحد أنواع « ما » الكافة عن الجر

هذه الشجرة ، فهو مكان حريز ، فإذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ، ولا يعلم بموضعنا أحد . فأخذنا منه يسيرا ، ودفنا الباقي في أصل دَوْحَة ،



المكار يرا والمغفل يلطم وجهه



المكار والمغفل بدفنا المال

ودخلا البلد . ثم إن الخبّ خالف المغفل إلى الدنانير ، فأخذها ، وسوّى الأرض كما كانت ، وجاء المغفل بعد ذلك بأشهر . فقال للخبّ : قد احتجت إلى نفقة ، فانطلق بنا نأخذ حاجتنا . فقام الخبّ معه ، وذهبا إلى المكان ، فحفرا ، فلم يجدا شيئا ، فأقبل الخبّ على وجهه يلطمه ، ويقول : لا تغترّ بصحبة صاحب : خالفتني إلى الدنانير فأخذتها . فجعل المغفل يحلف ويلعن أخذها . ولا يزداد الخبّ إلا شدة في اللطم ، وقال : ما أخذها غيرك ، وهل شعر بها أحد سواك ! ثم طال ذلك بينهما . فترافعا إلى القاضى ، فاقتصّ القاضى قصتهما ، فادّعى الخبّ أن المغفل أخذها ، وجحد المغفل . فقال

١ أنكر ولم يعترف

للخب : ألك على دَعْوَاكَ يَدِينَةُ؟ قل : نعم ، الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لي أن المغفل أخذها . وكان الخب قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى في الشجرة ، بحيث إذا سئلت أجاب . فذهب أبو الخب ، فدخل جوف الشجرة . ثم إن القاضي لما سمع ذلك من الخب أكبره ، وانطلق هو وأصحابه ، والخب والمغفل معه ، حتى وافى الشجرة . فسألها عن الخبر ، فقال الشيخ من جوفها : نعم ! المغفل أخذها . فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه . فدعا بخطب ، وأمر أن تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران ،



المكاريطاف به مشهورا والقاضي يصنع إياه

أبو المكار يستخرج من الشجرة

فاستغاث أبو الخب عند ذلك ، فأخرج وقد أشرف على الهلاك . فسأله القاضي عن القصة ، فأخبره بالخبر ، فأوقع بالخب ضرباً وبأبيه صفها ، وأركبه

مشهوراً . وغرّم الخبّ الدنانير ، فأخذها وأعطائها المغفل . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخبّ والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون . وإنك يادمنة جامع للخبّ والخديعة والفجور ، وإنى أخشى عليك ثمرة عملك ، مع أنك لست بناج من العقوبة ، لأنك ذو لونين ولسانين . وإنما غدوبة ماء الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار . وصلاح أهل البيت ما لم يكن فيهم المفسد . وإنه لا شيء أشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم ، فإنه قد يجري من لسانك كسمها^١ . وإنى لم أزل لذلك السم من لسانك خائفاً ، ولما يحلّ بك متوقعاً . والمفسد بين الإخوان والا أصحاب كالحية يربّيها الرجل ، ويطعمها ، ويمسحها ، ويكرمها ، ثم لا يكون له منها غير اللدغ . وقد يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم ، واسترسل إليهما ، وإياك ومفارقتهما . واصحب الصاحب إذا كان عاقلاً كريماً ، أو عاقلاً غير كريم ، فالعقل الكريم كامل ، والعقل غير الكريم أصحبه ، وإن كان غير محمود الخليفة^٢ . واحذر من سوء أخلاقه ، وانتفع بعقله . والكريم غير العاقل الزمه ، ولا تدع مواسلته ، وإن كنت لا تحمد عقله ، وانتفع بكرمه ، وانتفع بعقلك . والفرار^٣ كلّ الفرار من اللئيم الأحمق .. وإنى بالفرار منك لجدير ، وكيف يرجو إخوانك عندك كرماً ووداً ؟ ! وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرّفك ما صنعت . وإن مثلك مثل التاجر الذي قال : إن أرضاً

١ الكاف هنا : اسم بمعنى مثل أى قد يجري من لسانك مثل سمها . وتقع في الشعر والنثر
٢ الخليفة : الطبيعة والخلق
٣ منصوب على التحذير أى الزم الفرار

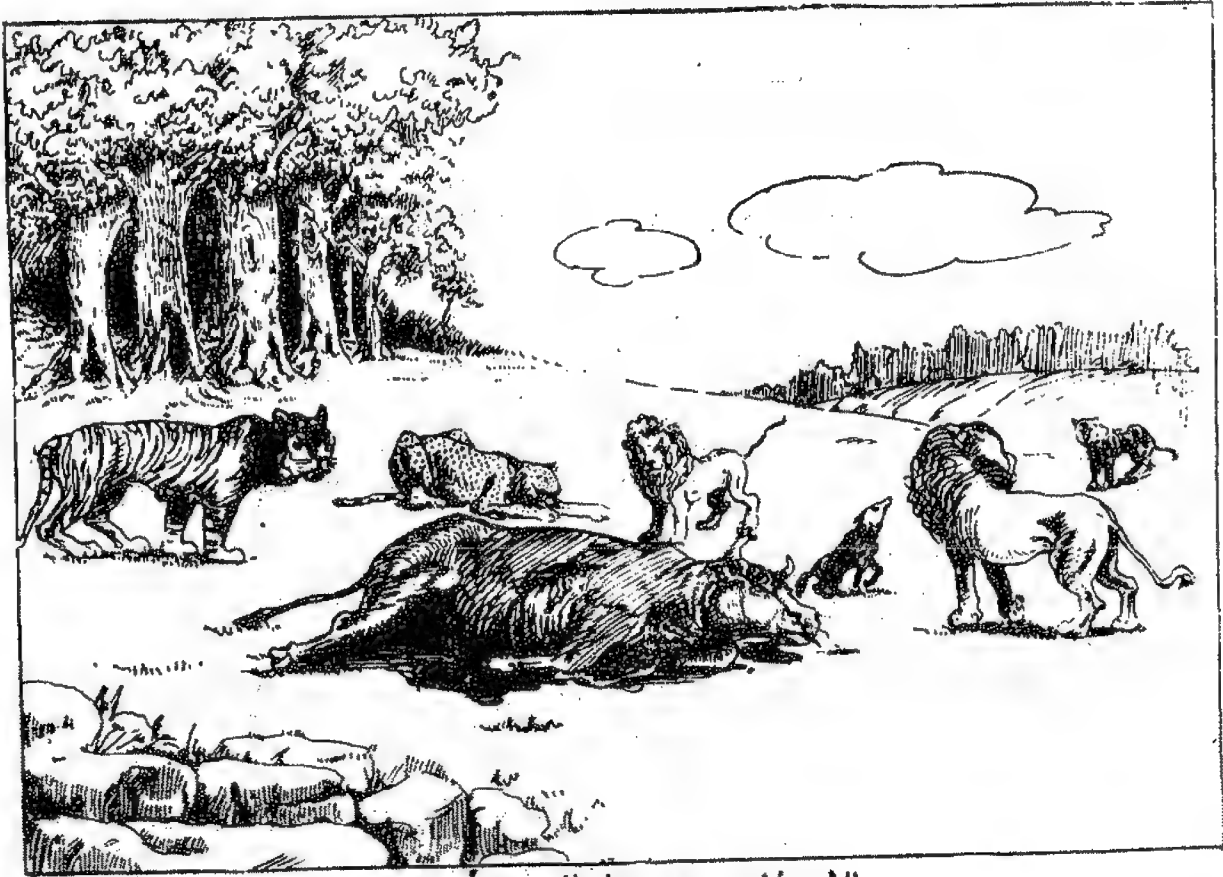
تأكل جِرْدَانَهَا مائة مَن^١ حديد ، ليس بمستنكر على بُزَاتِهَا أَنْ تَخْتَطِفَ
الْأُفْيَال . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟!

قال كَلِيلَةُ : زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر ، فأراد الخروج إلى بعض
الوجوه لا بتغاء الرزق ، وكان عنده مائة مَن حديد . فأودعها رجلاً من
إخوانه ، وذهب في وجهه . ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتبس الحديد .
فقال له : إنه قد أكلته الجِرْدَان . فقال : قد سمعت أنه لا شيء أقطع من
أنيابها للحديد . ففرح الرجل بتصاديقه على ما قال وادّعى . ثم إن التاجر
خرج فلقي ابناً للرجل ، فأخذه وذهب به إلى منزله . ثم رجع إليه الرجل من
الغد ، فقال له : هل عندك علم بابني ؟ فقال له التاجر : إني لما خرجت من
عندك بالأمس رأيت بازياً^٢ قد اختطف صبيّاً . ولعله ابنك . فلطم الرجل
على رأسه ، وقال : يا قوم ، هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان ؟
فقال : نعم ، وإن أرضاً تأكل جِرْدَانَهَا مائة مَن حديد ليس بعَجَب أن
تختطف بُزَاتِهَا الْفِيْلَةَ . فقال له الرجل : أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه ،
فاردد عليّ ابني

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك إذا غدرت بصاحبك فلا شك
أنك بمن سواه أغدر . وأنه إذا صاحب أحد صاحباً وغدر بمن سواه فقد
علم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضع . فلا شيء أضيع من مودة تمنح

١ المن : رطلان ٢ البازي من كواسر الطير وأنواعه كثيرة وكلها قوية
الطيران سريعة تحوم على صيدها وتنقض عليه انقضاضاً مستقيماً وهي تصطاد في الغالب
المصافير وصفار ذوات الأرباع

من لا وفاء له ، وحباء يصطنع عند من لا شكر له ، وأدب يُحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه ، وسر يستودع عند من لا يحفظه ، فإن صحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر : كالريح إذا مرّت بالطيب حملت طيباً ، وإذا مرّت بالنّين حملت نّناً ، وقد طال وثقل كلامي عليك . فانتهي كيلة من كلامه إلى هذا المكان . وقد فرغ الأسد من الثور ، ثم فكر في



الأسد متعب وهو ينظر إلى الثور

قتله بعد أن قتله ، وذهب عنه الغضب ، وقال : لقد فجعتني شربة بنفسه ، وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدري لعله كان بريئاً أو مكذوباً عليه . فحزن ونديم على ما كان منه ، وتبين ذلك في وجهه . وبصر به دمنة . فترك محاورة كيلة ، وتقدّم إلى الأسد ، فقال له : ليهنّك الظفر إذ أهلك الله أعداءك ! فماذا يحزنك أيها الملك ؟ . قال : أنا حزين على عقل شربة ورأيه وأدبه . قال له دمنة : لا ترجمه أيها الملك ، فإن العاقل لا يرحم من يخافه .

وإن الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكريهه ، ثم قرّبه وأدناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية ، فعل الرجل المتكابر على الدواء الشنيع رجاء منفعة . وربما أحبّ الرجل وعزّ عليه فأقصاه وأهلكه مخافة ضرره ، كالذى تلدغه الحية في إصبعه ، فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسرى سمها إلى بدنه . فرضى الأسد بقول دمنة . ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره ، فقتله بشر قتلة (انقضى باب الأسد والثور)

باب الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد حدثتني عن الواشى الماهر المحتمل ، كيف يُفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين ، فحدثني حينئذ بما كان من حال دمنة ، وما آل أمره إليه بعد قتل شترية ، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأييه في الثور ، وتحقق النميمة من دمنة ، وما كانت حجته التي احتج بها . قال الفيلسوف : إني وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شترية نديم على قتله ، وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته ، وأنه كان أكرم أصحابه عليه ، وأخصهم منزلة لديه ، وأقربهم وأدناهم إليه . وكان يواصل له المشورة دون خواصه ، وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر . فاتفق أنه أمسى النمر ذات

١ الثور : ذكر البقر ، ويسمى الصغير منه بالعجل وهو من أشد الحيوانات ويبلغ أشده في الثالثة من عمره أو الرابعة ، يعرف صاحبه الذى يعنى بأمره وينقاد له بلين . ومن خواصه ان اللون الاحمر يزعجه ويغضبه

لياة عند الأسد . نخرج من عنده جوف الليل يُريد منزله ، فاجتاز على منزل
كلياة ودمنة فلما انتهى إلى الباب سمع كلياة يُعاتب دمنة على ما كان
معه ويلومه على النيمة واستعمالها ، خصوصاً^١ مع الكذب والبهتان في حق
الخاصة ، وعرف النمر عصيان دمنة ، وترك القبول ، فوقف يستمع ما يجري



كلياة يؤنب دمنة على النيمة وقد سمعها النمر

بينهما ، فكان فيما قال كلياة لدمنة : لقد ارتكبت مركباً صعباً ، ودخلت
مدخلا ضيقاً ، وجئت على نفسك جناية مؤبقة^٢ ، وعاقبتها وخيمة ، وسوف
يكون مصرعك شديداً إذا انكشف للأسد أمرك ، واطلع عليه ، وعرف
غدرك ومحالك^٣ ، وبقيت لا ناصر لك ، فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة

١ خصوصاً : يستعمل بمعنى لا سيما منصوباً على الحالية أو المصدرية
٢ مهلكة ٣ يقال : محل به السلطان محلاً بالفتح ومحالاً بالكسر : كاده سعاية
إليه ، والفعل كقطع وعلم وكرم

شرك ، وحذرا من غوائلك . فليست بمتخذك بعد اليوم خايلا ، ولا مُفش
إليك سرا ، لأن العلماء قد قالوا : تباعد عن لارغبة فيه ، وأنا جدير
بمباعدتك ، والتماس الخلاص لي مما وقع في نفس الأسد من هذا الأمر .
فلما سمع النمر هذا من كلامهما قفل راجعا^١ فدخل على أم الأسد .
فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تُفشي ما يُسر إليها . فعاهدته على ذلك .
فأخبرها بما سمع من كلام كيلة ودمنة . فلما أصبحت دخلت على الأسد
فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شترية . فقالت : ما هذا
الهم الذي قد أخذ منك وغلب عليك ؟ . قال : يحزنني قتل شترية إذا
تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي ، وما كنت أسمع من نصيحته ،
وأسكن إليه من مشاورته ، وأقبل من مناصحته . قالت أم الأسد : إن أشد
الحوادث ما شهد امرؤ به على نفسه ، وهذا خطأ عظيم . كيف أقدمت على قتل
الثور بلا علم ولا يقين ؟ ! ولولا ما قالت العلماء في إذاعة الأسرار وما فيها
من الإثم والشنار لذكرت لك^٢ ، وأخبرتكم بما علمت . . قل الأسد : إن
أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ، ومعان مختلفة . وإني لأعلم صواب ما تقولين .
وإن كان عندك رأى فلا تطويه عني . وإن كان قد أسر^٣ إليك أحد سرا
فأخبريني به . وأطلعيني عليه ، وعلى جملة الأمر . فأخبرته بجميع ما ألقاه
إليها النمر من غير أن تُخبره باسمه ، وقالت : إني لم أجعل قول العلماء في تعظيم

١ حال لتأكيد الحدث المراد من الفعل لأن (قفل) معناها رجع

٢ المفعول محذوف وتريد : ذكرت لك أخباراً علمتها

العقوبة وتشديدها ، وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار .
ولكنني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك ، وإن وصل خطؤه وضرره
إلى العامة ، فأصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم ، وبه تحتج
السفهاء ، ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة . وأشدّ مدارهم إقدامهم
على ذى الحزم . فلما قصت أمّ الأسد هذا الكلام ، استدعى أصحابه وجنده
فأدخلوا عليه . ثم أمر أن يؤتى بدمنة . فلما وقف بين يدي الأسد ورأى
ما هو عليه من الحزن والكآبة التفت إلى بعض الحاضرين ، فقال : ما الذى
حدث ؟ وما الذى أحزن الملك ؟ فالتفت أمّ الأسد إليه ، وقالت :
قد أحزن الملك بقاؤك ولو طريقة عين^٢ . ولن يدعك بعد اليوم حياً . قال
دمنة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، لأنه يقال : أشدّ الناس في توقي الشر
يُصيبه الشر قبل المستسلم له . فلا يكونن الملك وخاصته وجنوده المثل السوء^٣ .
وقد علمت أنه قد قيل : من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من
نفسه . ولذلك انقطعت النساك بأنفسها عن الخلق ، واختارت الوحدة على
المخالطة ، وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها . ومن يجزى بالخير خيراً
وبالإحسان إحساناً إلا الله ؟ ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان
حقيقاً أن يحظى بالحرمان ، إذ يُخطئ الصواب في خلوص العمل لغير الله

١ مدارهم : جمع معرة وهى الائم والحيانة ٢ طرفه : خبر كان حذفت
مع اسمها والتقدير ولو كان البقاء طريقة عين ٣ هذا مثل قولهم : لاخير في قول
السوء بالفتح والضم . فان فتحت فعناه لا خير في القول القبيح وان ضمنت فعناه في
أن تقول سوءاً وإذا فالسوء بالفتح مصدر ساء يسوء اذا قبح

تعالى ، وطلب الجزاء من الناس . وإن أحق ما رغبته فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير . وقد قالت العلماء : من صدق ما ينبغى أن يكذب وكذب ما ينبغى أن يصدق خرج من مصاف العقلاء ، وكان جديراً بالازدراء

فينبغي ألا يعجل الملك في أمرى بشبهة . ولست أقول هذا كراهة الموت ، فإنه وإن كان كربها لا منجى منه ، وكل حي هالك . ولو كانت لي مائة نفس وأعلم أن هوى الملك في إتلافهن طبت له بذلك نفساً . فقال بعض الجند : لم ينطق بهذا حبة الملك ، ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها . فقال له دمنة : ويلك ، وهل على في التماس العذر لنفسى عيب ؟ وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه ؟ وإذا لم يلتمس لها العذر فلمن يلتمسه ؟ لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتماناً من الحسد والبغضاء ، ولقد عرف من سمع منك ذلك أنك لا تحب لأحد خيراً ، وأنتك عدو نفسك ، فمن سواها بالأولى ؟ فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلاً عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه . فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئباً حزينا مستحياً .

١ ويل : كلمة عذاب ويقال (ويله وويلك — بفتح اللام وويلي ، وويل لزيد — بضم اللام — وويلا له) فالنصب على اضممار الفعل والرفع على الابتداء . هذا إذا لم تضاف أما إذا أضيفت فليس إلا النصب لأنك لو رفعت لم يكن له خبر . ويقال في الندبة ويلاه والهاء للسكت ساكنة تثبت في الوقف وتحذف في الوصل وربما ثبتت في الوصل لضرورة الشعر فتضم كالخرف الاصلى ويجوز كسرهما لالتقاء الساكنين . ومنها ويليمه أصلها في الدعاء على المرء ثم استعملت في التعجب ثم في معنى قاتله الله : يقال : رجل ويلمه بكسر اللام وضمها أى داهية ويقال للمستجد ويلمه أى ويل لأمه كقولهم لا ب لك يريد لا أب لك فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم ألحقت الهاء مبالغة

فقلت أمّ الأسد لدمنة : لقد عجبت منك — أيها المحتال — في قلة حيائك وكثرة وقاحتك ، وسرعة جوابك لمن كلمك . قال دمنة : لأنك تنظرين إلى بعين واحدة ، وتسمعين مني بأذن واحدة . مع أن شقاوة جدّي قد زوت^٢ عني كل شيء ، حتى لقد سعوا إلى الملك بالنميمة عليّ . ولقد صار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته إياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون في أيّ وقت ينبغي لهم الكلام ، ولا متى يجب عليهم السكوت . قالت : ألا تنظرون إلى هذا الشقيّ مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئاً كمن لا ذنب له ؟ ! قال دمنة : ان الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء . كالذي يضع الرّماد موضعاً ينبغي أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السّرجين^٣ ، والرجل الذي يلبس لباس المرأة ، والمرأة التي تلبس لباس الرجل والضعيف الذي يقول : أنا ربّ البيت ، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل منه . وإنما الشقيّ من لا يعرف الأمور ولا أحوال الناس ، ولا يقدر على دفع الشرّ عن نفسه ، ولا يستطيع ذلك . قالت أمّ الأسد : أتظن — أيها الغادر المحتال — بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يسجنك ؟ قال دمنة : الغادر الذي لا يأمن عدوّه مكره ، وإذا استمكن من عدوّه قتله على غير ذنب . قالت أمّ الأسد : — أيها الغادر الكذوب — أتظنّ أنك ناج من عاقبة كذبك ؟ وأن محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك ؟ قال دمنة : الكذوب الذي يقول ما لم يكن ، ويأتي بما لم يقل ولم يفعل ، وكلامي واضح

١ الجد بالفتح : الحظ ٢ زوت : نحت وأبعدت

٣ السرجين بالكسر ويقال له السرقين أيضاً : الزبل

مبين . قالت أمّ الأسد : العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب . ثم نهضت فخرجت . فدفع الأسد دمنه إلى القاضي . فأمر القاضي بحبسه ، فألقى في عنقه حبل ، وانطلق به إلى السجن . فلما انتصف الليل أخبر كيلة أن دمنه في الحبس . فأثاه مستخفياً . فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود ، وخرج المكان ، بكى وقال له : ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة والمكر ، وإضرارك عن العظة . ولكن لم يكن لي بدّ فيما مضى من إنذارك والنصيحة لك ، والمسارة إليك في خلوص الرغبة فيك ، فإنه لكل مقام مقال ، ولكل موضع مجال . ولو كنت قصّرت في عظمتك حين كنت في عافية لكنت اليوم شريكك في ذنبك . غير أن العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك ، وغلب على عقلك . وكنت أضرب لك الأمثال كثيراً ، وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء : إن المحتال يموت قبل أجله . قال دمنه : قد عرفت صدق مقالتك ، وقد قالت العلماء : لا تجزع من العذاب إذا وقف منك على خطيئة . ولأنّ تعذب في الدنيا بجرمك خير من أن تعذب في الآخرة

١ هذه اللام تسمى لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وإذا لحقت المضارع قصرت معناه على الحال ، ولها موضعان : المبتدأ كما في هذا المقام وكذلك قوله تعالى : « لأتم أشد رهبة » . والموضع الثاني بعد ان (بالكسر) وتدخل على خبرها إذا كان اسماً أو فعلاً مضارعاً أو ظرفاً وهذه تسمى (المرحلة) ذلك لأنها كانت داخلة في الاصل على ان ثم تزحلت الى خبرها (قيل) حتى لا يجتمع مؤكداً معاً . وتدخل لام الابتداء على خبر ان المخففة للفرق بينها وبين النافية وتسمى (الفارقة) وتدخل أيضاً على اسم ان المتأخر

بجَهَنَّمَ مع الإِثم . قال كَلِيْلَة : قد فهمت كلامك ، ولكن ذنبك عظيم ، وعقاب
الأسد شديد أليم . وكان بقربيهما فهد مُعْتَقَل^٢ ، يسمع كلامهما ولا يريانه .



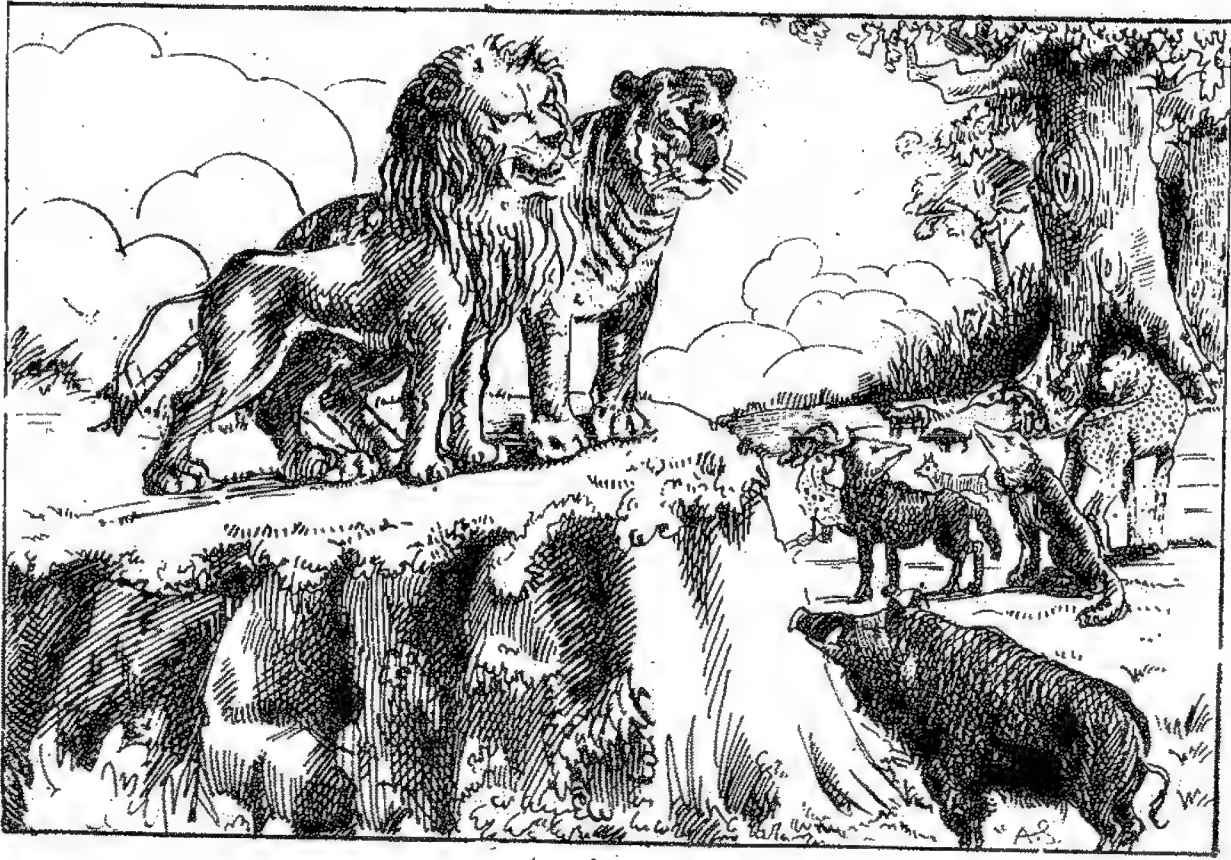
دمنة يعترف والفهد يسمع

فعرف معاتبة كَلِيْلَة لدمنة على سوء فعله ، وما كان منه . وأن دمنة مقرّ بسوء
عمله وعظيم ذنبه ، فحفظ المحاورتين بينهما ، وكتّمها ليشهدَ بها إن سئل عنها . ثم
إن كَلِيْلَة انصرف إلى منزله ، ودخلت أمّ الأسد حين أصبحت على الأسد .

والام الابتداء الصدارة الا في باب ان (بالكسر) ولذلك يعلق بها الفعل في
مثل : علمت لزيد منطلق ومنعت من النصب على الاشتغال في نحو زيد لانا أكرمه ،
كذلك منعت الخبر من أن يتقدم عليها في مثل لزيد قائم ، وكذلك تمنع تقدم
المبتدأ في مثل لقائم زيد ١ جهنم : مكان العقاب الاخرى

٢ الفهد بالفتح : حيوان من فصيلة الكلب البري له مزاج كمزاج النمر وفي
طبعه مشابة لطباع الكلاب ولذلك زعم (ارسطو) أنه يتولد بين نمر وأسد .
كثير النمو ثقيل الجثة ومن خلقه الغضب وله وثبات شديدة . ومعتقل مقيد ومحبوس

وقالت له : — يا سيد الوحوش — حوشيت^١ أن تنسى ما قلت بالأمس ،
وأنتك أمرت به لوقته ، وأرضيت به ربَّ العباد . وقد قالت العلماء : لا ينبغي
للإنسان أن يتوانى في الجدل للتعوى ، بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم .
فلما سمع الأسد كلام أمة أمر أن يحضر النمر : وهو صاحب القضاء . فلما
حضر قال له وللجواس العادل^٢ : اجلسا في موضع الحكم ، وناديا في الحند :
صغيرهم وكبيرهم . أن يحضروا ، وينظروا في حال دمنة ، ويبحثوا عن شأنه ،



دمنة بين يدي القضاء

ويفحصوا عن ذنبه ، ويثبتوا قوله وعذر في كتب القضاء . وارفعا إلى
ذلك يوما فيوماً : فلما سمع ذلك النمر والجواس العادل — وكان هذا الجواس
عمَّ الأسد — قالا : سمعاً وطاعة^٣ لما أمر الملك ، وخرجا من عنده ، فعملا

١ حوشيت : نزهت ٢ الجواس اسم من أسماء الاسد ٣ سمعاً وطاعة
منصوبتين على المصدر والتقدير أسمع سمعاً وأطيع طاعة ، واذا رفعتا كان ذلك على

بمتمضى ما أمرهما به . حتى إذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضى أن يُؤتى بدمنة . فأتى به . فأوقف بين يديه والجماعة حضور . فلما استقرَّ به المكان نادى سيّد الجمع بأعلى صوته : أيها الجمع ، إنكم قد علمتم أن سيّد السباع لم يزل منذ قتل شترية خاثر النفس^١ ، كثير الهم والحزن : يرى أنه قد قتل شترية بغير ذنب ، وأنه أخذه بكذب دمنة ونميته . وهذا القاضى قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ، ويبحث عن أمر دمنة . فمن علم منكم شيئاً فى أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك ، وليتكلم به على رءوس الجمع والأشهاد ، ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك . فإذا استوجب القتل فالتثبت فى أمره أولى . والعجلة من الهوى ، ومتابعة الأصحاب على الباطل ذل . فعندها قال القاضى : أيها الجمع ، اسمعوا قول سيّدكم ولا تكتموا ما عرفتم من أمره ، واحذروا فى الستر عليه ثلاث خصال : إحداهن - وهى أفضلهن - ألا تزددوا فعله ، ولا تعدّوه يسيراً . فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنميّة ، ومن علم من أمر هذا الكذاب الذى اتهم البرىء بكذبه ونميته شيئاً فستر عليه فهو شريكه فى الإثم والعقوبة

والثانية إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له وأحرى بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا

والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور ، وقطع أسباب مواصلاتهم

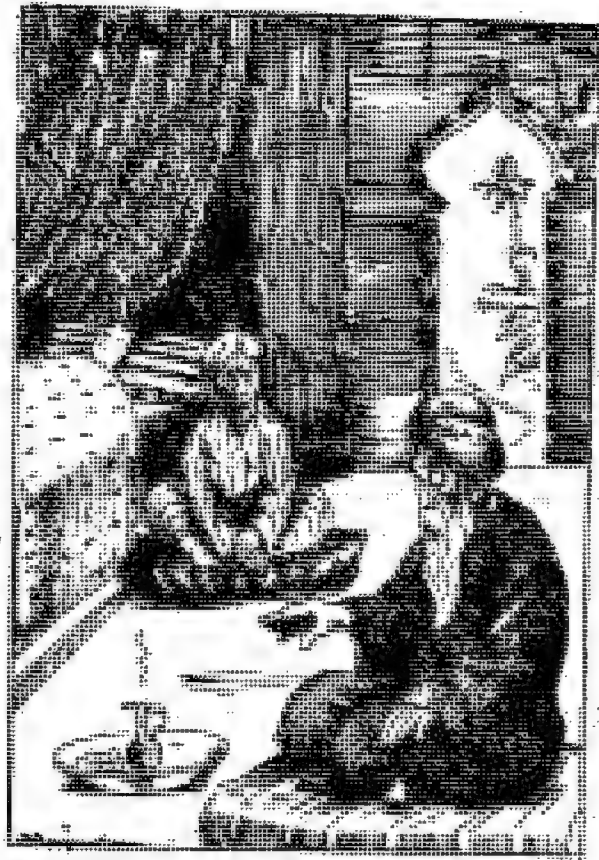
تقدير مبتدأ محذوف وجوبا تقديره (أمرى سمع وطاعة أو على أنهما مبتدآن والتقدير : لى أو عندى سمع وطاعة)
١ خاثر النفس : مختلطها

ومودتهم عن الخاصة والعامة . فمن علم من أمر هذا المحتال شيئاً فليتكلم به
على رؤوس الأَشهاد ممن حضر ، ليكون ذلك حجة عليه . وقد قيل : إنه من
كتم شهادة أُلجم بلجام من نار يوم القيامة . فليقل كل واحد منكم ما علم .
فلما سمع ذلك الجمع أمسكوا عن القول . فقال دمنة : ما يسكتكم ؟ ! تكلموا
بما علمتم . واعلموا أن لكل كلمة جوابا . وقد قالت العلماء : من يشهد بما لم
ير ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه . إني أعلمه .
قالت الجماعة : وكيف كان ذلك ؟ !

قال دمنة : زعموا أنه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم . وكان
ذا فطنة فيما يجرى على يديه من المعالجات ، فكبر ذلك الطبيب وضعف



الجاهل يزعم علمه بالطب



الملك يشاور الطبيب الاعمى

بصره . وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له ، فعرض لها
ما يعرض للحوامل من الأوجاع . فحجى بهذا الطبيب . فلما حضر سأل

الجارية عن وجهها وما تجد . فأخبرته . فعرف داءها ودواءها ، وقال : لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها ، ولا أثق في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل سفيه . فبلغه الخبر . فأتاهم وادّعى علم الطب ، وأعلمهم أنه خبير بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير ، عارف بطبائع الأدوية المركبة والمفردة . فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية ، فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته . فلما دخل السفية الخزانة ، وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدرى : ماهي ولا له بها معرفة ، أخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته ، وخلطه في الأدوية ، ولا علم له به ، ولا معرفة عنده بجنسه . فلما تمت أخلاط الأدوية سقى الجارية منه ، فماتت لوقتها . فلما عرف



الجاهل يؤمر بشرب الدواء القاتل



الجاهل يجمع الدواء في بيت الحكمة

الملك ذلك دعا بالسفيه ، فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته .

وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلّة بالشبهة في الخروج عن الحدّ . فمن خرج منكم عن حدّه أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ، ونفسه الملوّمة . وقد قالت العلماء : ربما جُزى المتكلم بقوله . والكلام بين أيديكم ، فانظروا لأنفسكم . فتكلم سيّد الخنازير^١ لإدلاله^٢ وتيهه بمنزلته عند الأسد . فقال : يا أهل الشرف من العلماء ، إسمعوا مقالتي ، وعُوا بأحلامكم كلامي . فلعناء قد قالوا في شأن الصالحين : إنهم يُعرفون بسيماهم^٣ . وأنتم — معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم ، وتمام نعمته لديكم — تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشيء الكبير بالشيء الصغير . وههنا أشياء كثيرة تدلّ على هذا الشقّ دمنة ، وتخبر عن شرّه . فاطلبوها على ظاهر جسمه ، لتستيقنوا وتسكنوا إلى ذلك .

١ الخنزير : حيوان من ذوات الثدي يأخذ من السبع الناب وأكل الجيف ومن البهيم الظلف وأكل العشب والعلف . ومنه البري الداجن والابد ، والبحرى . ويولد العفر (ولده) كامل الاسنان وتكبر كلما تقدم في السن ولا سيما النابان التحتيان وأما النابان الفوقيان فهما اشحن سائر الاسنان . ويقال ان الخنزير له طاقة على الجرى ٢٥ دقيقة بسرعة أسرع الخيل . وله ستة أو سبعة أضراس على كل جانب فوقية وتحتية والامامية منها تشابه أضراس أكلة اللحوم والحلفية أضراس الانسان واستدل بذلك على أنه يأكل النبات واللحم كما أن له ستة قواطع في كل فك . وقد تلد الانثى عشرين في بعض الاحايين

اما طعامه فجميع أنواع الاغذية كاللحم والحبوب والاعشاب كما يشرب الماء القدر . وسيد الخنازير هذا كان خادماً على مائدة الملك كما يفهم مما بعد وقد جاء في بعض النسخ مكان لفظ سيد الخنازير كلمة (صاحب المائدة)

٢ الادلال . مصدر أدل عليه : وثق بصحبته فأفرط عليه ، ويريد تكلم سيد الخنازير لوثوقه بصحبته الملك واعجابه بنفسه

٣ يعرفون بما يظهر على وجوههم من علامات الصلاح .

قال القاضي لسيد الخنازير : قد علمتُ وعلم الجماعة الحاضرون أنك عارف بما في ذلك من الصور من علامات سوء . ففسّر لنا ما تقول ، وأطلعنا على ما ترى في صورة هذا الشقي . فأخذ سيّد الخنازير يذمّ دمنة وقال : إن العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من اليمنى ، وهي لا تزال تختلج^١ ، وكان أنفه مائلاً إلى جنبه الأيمن فهو شقيّ خبيث : قال له دمنة شأنك عجب أيها القدير ! ذو العلامات الفاضحة القبيحة . ثم العجب من جرّاءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ، ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك . أفتتكلّم في النقيّ الجسم الذي لا عيب فيه ؟ ! ولست أنا وحدي الذي أطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك ، وقد كان يحجزني عن إظهاره ما بيني وبينك من الصداقة . فأما إذ قد كذبت عليّ ، وبهتني في وجهي^٢ ، وقتت بعداوتي ، فقلت : ما قلت فيّ بغير علم على رؤوس الحاضرين ، فإنني اقتصر على إظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة ، وحقّ عليّ من عرفك حقّ معرفتك أن يمنع الملك من استعماله إياك على طعامه . فلو كلّفت أن تعمل الزراعة لكنت جديراً بالخِذلان فيها . فالأحرى بك ألا تدنو إلى عمل من الأعمال ، وألا تكون دباً غولاً حجّاماً لعاميّ فضلاً^٣

١ اختلجت العين : انتفضت أجفانها بحركة اضطرابية ٢ من قولهم : بهته : إذا قال عليه ما لم يفعل ٣ فضلاً منصوب بفعل محذوف تقديره يفضل فضلاً ، وهو مثل قولهم : لا يملك درهما فضلاً عن دينار ومعناها لا يملك درهما ولا ديناراً ومملكه الدينار أولى بالانتقاء كأنه قيل : لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً ونصبه — كما علمت — على المصدر . والتقدير أنه فقد ملك الدرهم فقد يفضل فقد ملك دينار ،

عن خاصّ خدمة الملك . قال سيد الخنازير : أتقول لي هذه المقالة ؟ ! وتلقاني بهذا الملقى ؟ ! قال دمنة : نعم ! وحقاً ^١ قلت فيك ، وإيّاك ^٢ أعني ، أيها الأعرج ^٣ المكسور ، الأفدع الرجل ^٤ ، والمنفوخ البطن ، الأفلج الشفتين ^٥ ، السيئ المنظر والمخبر . فلما قال ذلك دمنة تغيّر وجه سيد الخنازير ، واستعبر ^٦ ، واستحى ، وتلجلج لسانه ، واستكان ^٧ ، وقتر نشاطه ^٨ . فقال دمنة : — حين رأى انكساره وبكائه — إنما ينبغي أن يطول بكاؤك إذا اطلع الملك على قدرك وعيوبك فعزّلك عن طعامه ، وحال بينك وبين خدمته ، وأبعدك عن حضرته . ثم إن شعّراً ^٩ كان الأسد قد جرّبه ، فوجد فيه أمانة وصديقاً ، فرتّبته في خدمته ، وأمره أن يحفظ ما يجري بينهم ، ويطلعه على ذلك . فقام الشعّر فدخل على الأسد ، فحدّثه بالحديث كله على جليته ^{١٠} ، فأمر الأسد بعزل سيد الخنازير عن عمله ، وأمر ألا يدخل عليه ، ولا يرى وجهه ، وأمر بدمنة أن يسجن . وقد مضى من النهار أكثره ، وجميع ما جرى

وأكثر استعماله أن يجيء بعد نفي . وقال أبو حيان : ولم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب

١ حقاً نائب عن المفعول المطلق لفعل مخذوف اذ كان وصفاً للمصدر والتقدير قلت قولاً حقاً ٢ أيأيا مبني على السكون في محل نصب مفعولاً مقدماً وجواباً

٣ أي : مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص والاعراج بدلاً منه

٤ الأفدع : الأعرج ٥ أفلج الشفتين مشقوقهما ٦ استعبر : بكى

وسالت عبرته ٧ استكان : ذل ٨ قتر : سكن بعد خدته ولان بعد شدته

٩ الشعّر : لم أعثر لهذا اللفظ على معنى لافي معجمات اللغة ولا في معجمات الحيوان

التي استطعت البحث فيها . غير أنني رأيت ما يقرب من ذلك ، ولعله الحقيقة ، ذلك هو

لفظ (الشغبر) بشين مثلثة وغين معجمة وباء موحدة بعدها راء ، ويفسره الثقات بابن آوى

١٠ جلية الامر : الخبر اليقين أو ما ظهر من حقيقته

وقالوا وقال قد كُتب وختم عليه بخاتم النمر . ورجع كل واحد منهم إلى منزله
ثم إن شَعُوراً يقال له رَوْزَبَة كان بينه وبين كليلة إخاء ومودة . وكان
عند الأسد وجيهاً ، وعليه كريماً . واتفق أن كليلة أخذه الوجد إشفاقاً وحذراً
على نفسه وأخيه ، فمرض ومات . فانطلق هذا الشعور إلى دمنة ، فأخبره
بموت كليلة ، فبكى وحزن ، وقال : ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفي
ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليلة حتى أبقى لي من ذوى قرابتي
أخاً مثلك ، فإني قد وثقت بنعمة الله تعالى وإحسانه إليّ فيما رأيت من
اهتمامك بي ومراعاتك لي ، وقد علمت أنك رجائي وركني فيما أنا فيه . فأريد
من إنعامك أن تنطلق إلي مكان كذا ، فتنظر إلي ما جمعته أنا وأخي بحيلتنا
وسعيينا ومشيتة الله تعالى ، فتأتينني به . ففعل الشعور ما أمره به دمنة . فلما
وضع المال بين يديه أعطاه شطره ، وقال له : إنك على الدخول والخروج على
الأسد أقدر من غيرك ، فتفرغ لشأني ، واصرف اهتمامك إليّ ، واسمع
ما أذكر به عند الأسد إذا رفع إليه ما يجري بيني وبين الخصوصم ، وما يبذو
من أمّ الأسد في حق ، وما ترى من متابعة الأسد لها ، ومخالفتها إياها في
قهرى ، واحفظ ذلك كله . فأخذ الشعور ما أعطاه دمنة ، وانصرف عنه على
هذا العهد . فانطلق إلى منزله ، فوضع المال فيه . ثم إن الأسد بكر من الغد
فجلس . حتى إذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه ، فأذن لهم

١ حيث : كلمة دالة على المكان وزعم الاخفش أنها تأتي لازمان ، قال الاصمعي
ومما تخطئ فيه العامة والخاصة باب حين وحيث : غلط فيه العلماء مثل أبي عبيدة
وغیره وأما هي في هذا المقام فعنها يخرج عن هذين وهو التعليل ولست واقفاً لذلك
على نظير من كلامهم

فدخلوا عليه ، ووضعوا الكتاب بين يديه . فلما عرّف قولهم وقول دمنة دعا أمّه فقرأ عليها ذلك . فلما سمعت ما في الكتاب نادى بأعلى صوتها : إن أنا أغلظت في القول فلا تلمني ، فإنك لست تعرف ضرك من نفعك . أليس هذا مما كنت أنكهك عن سماعه ؟ لأنه كلام هذا المجرم المسيء إلينا ، الغادر بدمتنا . ثم إنها خرجت مُغضبة — وذلك بعين الشعر الذي آخاه دمنة وبسمعه — فخرج في أثرها مسرعاً حتى أتى دمنة ، فحدثه بالحديث فبينما هو عنده إذ جاء رسول فانطلق بدمنة إلى الجمع عند القاضي . فلما مثل بين يدي القاضي استفتح سيّد المجلس ، فقال : يا دمنة قد أنبأني بخبرك الأمين الصادق . وليس ينبغي لنا أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا ، لأن العلماء قالوا : إن الله تعالى جعل الدنيا سبباً ومصدّقاً للآخرة ، لأنها دار الرسل والأنبياء الدالين على الخير ، الهادين إلى الجنة ، الداعين إلى معرفة الله تعالى . وقد ثبت شأنك عندنا ، وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله ، إلا أن سيّدنا أمرنا بالعود في أمرك ، والفحص عن شأنك ، وإن كان عندنا ظاهراً بيناً . قال دمنة : أراك — أيها القاضي — لم تتعود العدل في القضاء^١ وليس في عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له إلى قاض غير عادل ، بل المخاصمة عنهم والذود . فكيف ترى أن أقتل ولم أخصم ، وتُعجل ذلك موافقة لهواك ، ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام ؟ ولكن صدق الذي قال : إن الذي تعود عمل البرّ هين عليه عمله وإن أضرّ به . قال القاضي : إنا

١ العدل مفعول لتعود ، ومن الخطأ أن يعدى هذا الفعل بعلى فلا يجوز أن يقال تعودت على المكرمات وإنما اسقاط الحرف

نجد في كتب الأولين أن القاضي ينبغي له أن يعرف عمل المحسن والمسيء
ليجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فإذا ذهب إلى هذا ازداد
الحسنون حرصاً على الإحسان ، والمسيئون اجتناباً للذنوب . والرأي لك
— يا دمنة — أن تنظر الذي وقعت فيه ، وتعترف بذنبك ، وتقرّ به ،
وتتوب . فأجابه دمنة : إن صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ، ولا يعملون
به ، لا في الخاصة ولا في العامة ، لعلمهم أن الظن لا يُغنى من الحق شيئاً .
وأنتم إن ظنتم أنى مجرم فيما فعلت ، فإنى أعلم بنفسى منكم ، وعلمى بنفسى
يقين لا شك فيه ، وعلمكم بى غاية الشك . وإنما قبّح أمرى عندكم أنى
سعيت بغيرى ، فما عذرى عندكم إذا سعيت بنفسى كاذبا عليها ؟ ! فأسلمتها
للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى وسلامتى مما قرّفت به^١ . ونفسى أعظم
الأنفس على حرمة ، وأوجبها حقاً ، فلو فعلت هذا بأقصاصكم وأدناكم لما
وسّعنى فى دينى^٢ ، ولا حسن بى فى مروءتى ، ولا حق لى أن أفعله . فكيف
أفعله بنفسى ؟ ! فأكفّف — أيها القاضي — عن هذه المقالة ، فإنها إن
كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها ، وإن كانت خديعة فإن أقبح
الخداع ما نظرتّه وعرفت أنه من غير أهله ، مع أن الخداع والمكر ليسا من
أعمال صالحى القضاة ، ولا ثقة الولاة

واعلم أن قولك مما يتخذ الجاهل والأشرار سنة يقتدون بها ، لأن
أمور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب ، وبخطاياها أهل الخطأ والباطل
والقليلو الورع . وأنا خائف عليك — أيها القاضي — من مقالاتك هذه

أَعْظَمَ الرِّزَايَا وَالْبَلَايَا . وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَصِيبَةِ أَنْكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ
وَالْجُنْدِ وَالْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ فَاضْلًا فِي رَأْيِكَ ، مُقْنِعًا فِي عَدْلِكَ ، مَرْضِيًّا فِي
حُكْمِكَ ، وَعَفَافًا وَفَضْلًا . وَإِنَّمَا الْبَلَاءُ : كَيْفَ أَنْسَيْتَ ذَلِكَ فِي أَمْرِي ؟ !

فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد على وجهه .
فنظر فيه الأسد . ثم دعا أمه فعرضه عليها . فقالت حين تدبرت كلام دمنة
للأسد : لقد صار اهتمامي بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه
حتى يقتلاك أو يفسد عليك أمرك أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه
إليك في الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب . فوقع قولها في
نفسه . فقال لها : أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك ، فيكون
حجة لي في قتلي دمنة . فقالت : إني لأكره أن أفشي سر من استكتمنيه ،
فلا يهينني سروري بقتل دمنة إذا تذكرت أني استظهرت عليه بركوب
مانعت عنه العلماء من كشف السر . ولكنني أطلب الذي استودعني
أن يجعلني في حل من ذكره لك ، ويقوم هو بعلمه وما سمعه منه . ثم
انصرفت وأرسلت إلى النمر ، وذكرت له ما يحق عليه من حسن معاونته
الأسد على الحق ، وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتُمها مثله ، مع
ما يحق عليه من نصر المظلومين ، وتثبيت حجة الحق في الحياة والمات .
فإنه قد قالت العلماء : من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة . فلم تزل
به حتى قام فدخل على الأسد ، فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة .

فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد . فقال : إن عندي شهادة فأخرجوه ، فشهد على دمنة بما سمع من إقراره . فقال لهما الأسد : ما منعكما أن تقولما بشهادتكما ؟ وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة . فقال كل واحد منهما : قد علمنا أن شهادة الواحد لا توجب حكما ، فكرهنا التعرض لغير ما يمضي به الحكم ، حتى إذا شهد أحدهما قام الآخر بشهادته ، فقبل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يُقتل في حبسه فقتل أشنع قتلة



قتل دمنة في سحبه



شهادة الفهد والنمر

فمن نظر في هذا فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلافة^١ والمكر فإنه سيُجزى على خلافته ومكره (انقضى باب الفحص عن أمر دمنة)

باب الحمامة المطوقة^١

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابين : كيف قطع بينهما الكدوب ؟ وإلى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك ؟ فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء : كيف يُبتدأ تواصلهم ، ويستمتع بعضهم ببعض . قال الفيلسوف : إن العاقل لا يعدل بالإخوان شيئاً ، فالإخوان هم الأعوان على الخير كله ، والمؤاسون عند ما ينوب من المكروه . ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجُرذ^٢ والظبي والغراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

١ الحمام : فرع من الاسرة الدجاجية ذو منقار ضعيف وحوصلة متسعة غشائية ومعدة عضلية والاجنحة معتدلة أو قصيرة وطعامه الاصلى الحبوب وبعضها يأكل بذوراً وقد يضطر الى أكل الحشرات وهو موصوف بالدعة واللفظ والطهارة والخو ولا يألف الا أثنائه ولا تألف الانثى الا ذكرها عادة . ويتعاونان على تربية الزغاليل . وأنواعه كثيرة منه البري والاهلي والوراشين قالوا ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ . وربما صيد وغاب عن وطنه عشر حجج فلا يزال على ثبات عقله وقوة حفظه ونزعه الى وطنه حتى يجد الفرصة فيطير اليه ولذلك اتخذ منه النوع المعروف بحمام الرسائل ويعرف أيضاً بحمام البطاق ويستخدم في الحروب والمحاصرات والتجارة وغيرها لحمل الاخبار ويقال ان أول مرة استعمل فيها هذا الحمام هي سنة ٤٣ قبل الميلاد لما ان حصر انطونيوس مدينة (مودينه) فأرسل رئيس الحكومة الى حاكم احدى المدن رسالة منوطة بنحيط في عنق حمامة فاجابه برسالة معلقة برجلها . وحكايات هذا النوع كثيرة مشهورة وأكثر هذا الحمام من النوع ذي الطوق الابيض لانه يدجن ويتعلم سريعاً . ٢ الجرذ : حيوان قراض ينطوى تحته جميع أنواع الجرذان والفيران التي تعيش في البيوت والحقول وأنواعه كثيرة منها الاسمر والاسود ومن أنواعه أيضاً جرذ السقف أو الجرذ الابيض البطن وجميع أنواع الجرذ تحب القتال ومع أنها تقتات بما تيسر لها فان بعضها يفترس بعضاً ولا تكتفى بأكل من تقتله من أبناء جنسها بل تأكل صغارها وبها من القوة ما تقرض به العاج وسن الفيل

قال يسديا : زعموا أنه كان بأرض سكاو ندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ، ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفة الورق ، فيها وكر غراب . فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصر بصياد قبيح المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة ، وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة . فدُعر منه الغراب ، وقال : لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حيني^١ وإما حين غيري . فلا تبتن^٢ مكاني حتى أنظر : ماذا يصنع ؟ ثم إن الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب ، وكمن^٣ قريبا منها . فلم يلبث إلا قليلا حتى مرت به حمامة : يقال لها المطوقة ، وكانت سيّدة الحمام . ومعها حمام كثير ، فعميت هي وأصحابها عن الشرك . فوقعن على الحب يلتقطنه . فعلقن في الشبكة كلهن . وأقبل الصياد فرحا مسرورا . فجعلت كل حمامة تضرب في حبائلها^٤ ، وتلتمس الخلاص لنفسها . قالت المطوقة : لا تتخاذلن في المعالجة^٥ ، ولا تكن نفس إحداكن أهم اليها من نفس صاحبتها ، ولكن نتعاون جميعا ، فنقلع الشبكة ، فينجو بعضنا ببعض . فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن . وعلون في الجو . ولم يقطع الصياد رجاءه منهن . وظن أنهن لا يجاوزن إلا قريبا ويقعن . فقال الغراب : لا تبعهن . وأنظر ما يكون منهن ، فالتفت المطوقة . فرأت الصياد يتبعهن . فقالت للحمام : هذا الصياد مجد في طلبكن . فإن نحن أخذنا في

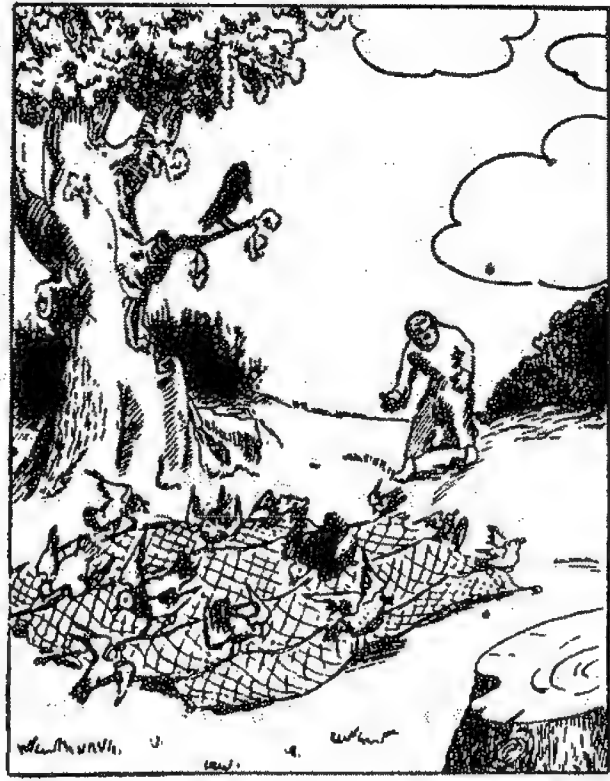
١ الحين بالفتح : الاجل والهلاك ٢ كن من باب سمع وقعد ٣ الحبائل :

جمع حباله بالكسر وهي المصيدة ٤ أصلها تتخاذلن فحذفت إحدى التاءين تخفيفا

الفيضاء لم يخفَ عليه أمرنا ، ولم يزل يتبعنا . وإن نحن توجهنا إلى العمران



الصيد يتبع الحمام



الصيد يرح صيده والغراب ينظر اليه

خفي عليه أمرنا وانصرف . وبمكان كذا جُرذ هو أخ لي . فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشَّرك . ففعلن ذلك ، وأيس الصياد منهن ، وانصرف ، وتبعهن الغراب . فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن . فوقعن ، وكان للجرذ مائة جُحر له مخاوف ، فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زَيْرَك فأجابها الجرذ من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرذ يسعى . فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟ قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعتنى في هذه الورطة ، فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا ، وقد تنكسف الشمس والقمر إذا قضى ذلك عليهما . ثم إن الجرذ أخذ في قرص العقد الذي فيه المطوقة . فقالت له

المطوّقة : ابدأ بقطع عقد سائر الحمام ، وبعد ذلك أقبل على عقدي ، وأعادت ذلك عليه مراراً ، وهو لا يلتفت إلى قولها . فلما أكرّرت عليه القول وكرّرت قال لها : لقد كرّرت القول علي ، كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ، ترعين لها حقاً . قالت : إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمّلّ وتكسل عن قطع ما بقي ، وعرفت أنك إن بدأت بهنّ قبلي ، وكنت أنا الأخيرة لم ترض — وإن أدركك الفتور — أن أبقى في الشّرك . قال الجرذ : هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك . ثم إن الجرذ أخذ في قرص الشبكة حتى فرغ منها ، فانطلقت المطوّقة وحمامها معها



الغراب يطلب ود الجرذ



الجرذ حاد في قطع الحائل

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغيب في مصادقته ، فجاء وناداه باسمه ، فأخرج الجرذ رأسه ، فقال له : ما حاجتك ؟ قال : إني أريد مصادقتك .

قال الجرذ : ليس بيني وبينك تواصل ، وإنما العاقل ينبغي له أن يلتمس ما يجد إليه سبيلا ، ويترك التماس ما ليس إليه سبيل ، فإنما أنت الآكل وأنا طعام لك . قال الغراب : إن أكلني إياك وإن كنت لي طعاما مما لا ينبغي عني شيئا ، وإن مودتك آتتني بما ذكرت ، ولست بحقيق إذا جئت أطلب مودتك أن تردني خائبا ، فإنه قد ظهر لي منك من حسن الخلق ما رغبني فيك ، وإن لم تكن تلتمس إظهار ذلك ، فإن العاقل لا يخفى فضله وإن هو أخفاه . كالمسك الذي يكتم ثم لا يمنع ذلك من النشر الطيب والأرج الفائح^٢ . قال الجرذ : إن أشدَّ العداوة عداوة الجوهر . وهي عداوتان : منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأسد ، ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر . كعداوة ما بيني وبين السنور^٣ ، وبينني وبينك فإن العداوة التي بيننا ليست تضرك ، وإنما ضررها عائد علي . فإن الماء لو أطيل إسخانه لم يمنع ذلك من إطفائه النار إذا صبَّ عليها . وإنما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كفه ، والعاقل لا يستأنس إلى العدو الأريب

قال الغراب : قد فهمت ما تقول ، وأنت خليق أن تأخذ بفضل خليقتك ، وتعرف صدق مقالتي ، ولا تصعب علي الأمر بقولك : ليس إلى

١ الرائحة الطيبة ٢ الأرج محركة : نفحة ريح الطيب ٣ السنور بكسر السين وفتح النون مشددة : القط وهو حيوان لطيف ظريف منه البري والاهلي تمشح بلعابه وجهه وإذا تلطخ شيء من بدنه نظفه وإذا جاعت الانثى أكلت أولادها وإذا ألف السنور منزلا منع غيره دخوله . له نفس غضوب يفترس ويأكل اللحم الحي ويناسب الانسان في أمور منها أنه يعطس ويتشاءب ويتمطى ويتناول الشيء بيده

التواصل بيننا سبيل . فإن العقلاء الكرام لا يبتغون إلى معروف جزاء ،
 والمودة بين الصالحين سريع اتصاها ، بطيء انقطاعها . ومثل ذلك مثل
 الكوز من الذهب بطيء الانكسار ، سريع الإعادة ، هين الإصلاح إن
 أصابه ثلم أو كسر . والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصاها .
 ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار ، سريع الانكسار . ينكسر من أدنى
 عيب ، ولا وصل له أبداً . والكريم يودّ الكريم ، واللئيم لا يودّ أحداً إلا
 عن رغبة أو رهبة . وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج ، لأنك كريم ، وأنا
 ملازم لبابك ، غير ذائق طعاماً حتي تؤاخذني . قال الجرذ : قد قبلت إخوانك
 فأني لم أردد أحداً عن حاجة قط . وإنما بدأتك بما بدأتك به إرادة التوثق
 لنفسي فإن أنت غدرت بي لم تقل : إني وجدت الجرذ سريع الانخداع .
 ثم خرج من جحره ، فوقف عند الباب . فقال له الغراب : ما يمنعك من الخروج
 إلى ؟ والاستئناس بي . فهل في نفسك بعد ذلك مني ريبة ؟ قال الجرذ :
 إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ، ويتواصلون عليهما ، وهما ذات
 النفس وذات اليد . فالتبازلون ذات النفس هم الأصفياء . وأما المتبازلون
 ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض . ومن كان
 يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا : فإنما مثله فيما يبدل ويُعطى كمثل الصياد
 وإلقائه الحب للطير : لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد نفع نفسه .
 فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد ، وإني وثقت منك
 بذات نفسك ومنحتك من نفسي مثل ذلك ، وليس يمنعني من الخروج

إليك سوء ظنّ بك ، ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جوهرهم كجوهرك^١ ،
وليس رأيهم فيّ كراييك

قال الغراب : إن من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه
صديقاً ولعدوّ صديقه عدوّاً ، وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون
لك محبّاً ، وإنه يهون علىّ قطيعة من كان كذلك من جوهرى . ثم إن الجرذ
خرج إلى الغراب ، فتصافحا وتصافيا ، وأنس كل واحد منهما بصاحبه .
حتى إذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ : إن جُحرك قريب من طريق
الناس ، وأخاف أن يرمىك بعض الصبيان بحجر . ولى مكان في عزلة ، ولى
فيه صديق من السلاحف ، وهو مُخصِب من السمك ونحن واجدون هناك
ما نأكل ، فأريد أن أنطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين . قال الجرذ :
إن لي أخباراً وقصصاً سأقصّها عليك إذا انتهينا حيث تريد . فافعل



الجرذ يقص على السلاحف والغراب قصصه



الغراب يحمل الجرذ إلى مكان السلاحف

ما تشاء . فأخذ الغراب بذنب الجرذ ، وطار به حتى بلغ به حيث أراد .

١ جوهر الشيء : أصله

فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصُرت السلحفاة بغراب ومعه جُرذ .
فدُعرت منه ، ولم تعلم أنه صاحبها . فساداها . فخرجت إليه ، وسألته من
أين أقبلت ؟ فأخبرها بقصته حين تبع الحمام ، وما كان من أمره وأمر الجرذ
حتى انتهى إليها . فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ،
ورحبت به . وقالت له : ما ساقك إلى هذه الأرض ؟ قال الغراب للجرذ :
اقصص علي الأخبار التي زعمت أنك تحدثني بها . فأخبرني بها مع جواب
ما سألت السلحفاة فإنها عندك بمنزاتي . فبدأ الجرذ ، وقال :

كان منزلي أول أمرى بمدينة ماروت ، في بيت رجل ناسك وكان خالياً
من الأهل والعيال ، وكان يُؤتَى في كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها
حاجته ، ويعلق الباقي . وكنت أرصد الناسك حتى يخرج ، وأثب إلى
السلة ، فلا أدع فيها طعاماً إلا أكلته ، وأرمي به إلى الجرذان ، فجهد
الناسك مراراً أن يعلق السلة مكاناً لا أناله ، فلم يقدر على ذلك ، حتى نزل
به ذات ليلة ضيف فأكل جميعاً . ثم أخذنا في الحديث . فقال الناسك
للضيف : من أي أرض أقبلت ؟ وأين تريد الآن ؟ وكان الرجل قد جاب
الآفاق ^١ ، ورأى عجائب . فأنشأ يحدث الناسك عما وطيء ^٢ من البلاد ،
ورأى من العجائب ، وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفّرني عن
السلة فغضب الضيف ، وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي . فهاجمك على
أن سألتني ؟ فاعتذر إليه الناسك ، وقال : إنما أصفق بيدي لأفّر جرذاً

قد تحيرت في أمره . ولست أضع في البيت شيئاً إلا وأكله . فقال الضيف :
جرذ واحد أم جرذان كثيرة ؟ فقال الناسك : جرذان البيت كثيرة ،



الجرذان تنعم بعيش الناسك



الضيف يغضب لتصفيق الناسك

ولكن فيهم جرذاً واحداً هو الذى غلبنى ، فما أستطيع له حيلة . قال
الضيف : لقد ذكرتنى قول الذى قال : لأمرماً ! باعت هذه المرأة سمها
مقشوراً بغير مقشور . قال الناسك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الضيف : نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ، ثم فرش لى ،
وانقلب الرجل على فراشه ، فسمعه يقول فى آخر الليل لامرأته : إني أريد
أن أدعو غداً رَهْطاً^٢ لياكلوا عندنا ، فاصنعى لهم طعاماً . فقالت المرأة :
كيف تدعو الناس إلى طعامك ؟ وليس فى بيتك فضل عن عيالك ، وأنت
رجل لا تبقى شيئاً ولا تدخره . قال الرجل : لا تندمى على شيء أطعمناه

١ أى لامر عظيم ٢ الرهط يطلق على مادون العشرة وليس له واحد من لفظه

وأنفقناه ، فإن الجمع والادّخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب . قالت المرأة : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الرجل : زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص^١ ، ومعه قوسه ونشابه^٢ ، فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبياً^٣ . فحمله ورجع طالباً منزله ، فاعترضه خنزير بريّ . فرماه بنشابه نفذت منه ، فأدركه الخنزير ، وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ، ووقعا ميتين . فأتى عليهما ذئب ، فقال :



الذئب وقد أصابته سية القوس فقتله



الخنزير يدرك القانص

هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ، ولكن أبدأ بهذا الوتر فأأكله ، فيكون قوت يرمي . فعالج الوتر حتى قطعه . فلما انقطع طارت

١ صائد ٢ النشاب بالضم : السهام وهو جمع نشابة ٣ الظبي : الغزال وجمعه أظب وظباء والظباء مختلفة الألوان وهي أصناف صنف يقال له الأرام وهي ظباء بيض خالصة البياض ومساكنها الرمال ويقال أنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوماً وشحوماً . وصنف يسمى العفر وألوانه الحمرة وهي قصار الأعناق أقل الظباء

سِيَّة القوس^١ ، فضربت حلقه فمات . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلمي
أن الجمع والادّخار وخيم العاقبة . فقالت المرأة نعم ما^٢ قلت . وعندنا
من الأرز والسّمسم ما يكفي ستة نفر^٣ أو سبعة . فأنا غادية^٤ على اصطناع
الطعام . فادع من أحببت . وأخذت المرأة حين أصبحت سمسماً فقشّرتة ،
وبسطته في الشمس ليحِف . وقالت لغلام لهم : اطرُد عنه الطير والكلاب .
وتفرّغت المرأة لصنعها ، وتغافل الغلام عن السّمسم . فجاء كلب فعاث فيه^٥
فاستقدرته المرأة ، وكرِهت أن تصنع منه طعاماً ما . فذهبت به إلى
السوق . فأخذت به مقايضة سمسماً غير مقشور مثلاً بمثل . وأنا^٦ واقف في
السوق . فقال رجل : لأمر ما باعت هذه المرأة سمسماً مقشوراً بغير مقشور .
وكذلك قولي في هذا الجرذ الذي ذكرت أنه على غير علة ما يقدر على
ما شكوت منه . فالتمس لي فأساً ، لعلّي أحفر جحره ، فأطلع على بعض
شأنه . فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأساً ، فأتى بها الضيف . وأنا^٧
حينئذ في جحر غير جحري ، أسمع كلامهما . وفي جحري كيس فيه مائة
دينار . لا أدري من وضعها . فاحتفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير
فأخذها ، وقال للناسك : ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان

عدداً تألف المواضع المرتفعة من الأرض والاماكن الصلبة . وصنف يسمى الادم طوال
الاعناق والقوائم بيض البطون ١ سية القوس بكسر ففتح ما عطف من طرفها
٢ ما : فاعل نعم على الصحيح ٣ نفر من ثلاثة الى عشرة وقيل الى
سبعة ولا يقال نفر فيما زاد على العشر ولذلك صلح أن يقال ثلاثة نفر وثلاثة أنفار
٤ مبكرة ٥ أفسده ٦ هذا الضيف للضيف وهو يحدث الناسك
٧ هذا الضيف ضمير الجرذ وهو يحدث السلحفاة والغراب عن أمره

يثب إلا بهذه الدنانير ، فإن المال جعل له قوّة وزيادة في الرأى وانتمكن .
 وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب . فلما كان من
 الغد اجتمع الجرذان التي كانت معي ، فقالت قد أصابنا الجوع وأنت
 رجأؤنا . فانطلقت وبعي الجرذان إلى المكان الذي كنت أثب منه إلى
 السلة . فحاولت ذلك مراراً فلم أقدر عليه . فاستبان للجرذان نقص حالى .
 فسمعتهم يقلن : انصرفن عنه ، ولا تطمعن فيما عنده ، فإننا نرى له حالا
 لا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعوله . فتركني ، ولحقن بأعدائى ،
 وجفوننى ، وأخذن في غيبتى عند من يعاديني ويحسدنى . فقلت في نفسى :
 ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال . ووجدت من لا مال له
 إذا أراد أمراً قعد به العدم^١ عما يريد : كالماء الذى يبقى في الأودية من
 مطر الشتاء : لا يمر إلى نهر ، ولا يجري إلى مكان ، فتشربه أرضه .
 ووجدت من لا إخوان له لا أهل له ، ومن لا ولد له لا ذكر له^٢ ، ومن لا مال له
 لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له ، لأن الرجل إذا افتقر قطعته أقاربه وإخوانه ،
 فإن الشجرة النابتة في السبخ^٣ المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج
 إلى مافي أيدي الناس . ووجدت الفقر رأس كل بلاء ، وجالباً إلى صاحبه
 كل ممت ومعدن النيمة . ووجدت الرجل إذا افتقر اتهمه من كان له
 مؤتمناً ، وأساء به الظن من كان يظن فيه حسناً . فإن أذنب غيره كان هو
 للثمة موضعاً ، وليس من خلة هي للغنى مدح إلا وهى للفقير ذم . فإن كان

١ العدم بالضم : الفقر ٢ ما لم يكن من العاملين الذين قد أقاموا لهم في الحياة آثاراً

٣ السبخ بالكسر : جمع سبخة بالتحريك وهى الأرض ذات الملح والنز

شجاعا قيل أهوج^١ . وإن كان جواداً سمى مبذراً . وإن كان حليماً سمى
ضعيفاً . وإن كان وقوراً سمى بليداً . فالموت أهون من الحاجة التي تحوج
صاحبها إلى المسألة^٢ ، ولا سيما مسألة الأشحاء^٣ واللائم ، فإن الكريم لو
كلّف أن يدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون
عليه وأحب إليه من مسألة البخيل اللئيم . وقد كنت رأيت الضيف حين
أخذ الدنانير فقاسمها الناسك . فجعل الناسك نصيبه في خريطة^٤ عند رأسه
لما جنّ الليل ، فطمعت أن أصيب منها شيئاً فأردّه إلى جحرى ، ورجوت
أن يزيد ذلك في قوّتى ، ويراجعنى بسببه بعض أصدقائى . فانطلقت إلى
الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه . ووجدت الضيف يقظان وبيده
قضيب . فضر بنى على رأسى ضربة موجعة . فسعيت إلى جحرى . فلما
سكن عنى الألم هيجنى الحرص والشره . فخرجت طمعا كطمعى الأول .
وإذا الضيف يرصدنى . فضر بنى ضربة أسالت منى الدم . فتقلّبت ظهراً
لبطن إلى جحرى ، فخررت مغشياً علىّ ، فأصابنى من الوجع ما بغّض إلىّ
المال . حتى لا أسمع بذكره إلا تداخلنى من ذكر المال رعدة وهيبة . ثم
تذكرت ، فوجدت البلاء فى الدنيا إنما يسوقه الحرص والشره ، ولا يزال
صاحب الدنيا فى بليّة وتعب ونصب . ووجدت تجشّم الأسفار البعيدة فى
طلب الدنيا أهون علىّ من بسط اليد إلى السخى بالمال . ولم أركل رضا شيئاً .
فصار أمرى إلى أن رضيت وقنعت . وانتقلت من بيت الناسك إلى البريّة .

١ أى أحمق طائشاً ٢ سؤال الناس ٣ البخلاء : جمع شحيح

٤ الخريطة : السكيس من الجلد وغيره

وكان لي صديق من الحمام . فسِيقَت إلى بصداقته صداقة الغراب . ثم ذكر لي الغراب ما بينك وبينه من المودة ، وأخبرني أنه يريد المجيء إليك . فأحببت أن أجيء معه ، فكرِهت الوحدة . فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غمٍّ فيها يعدل البعد عنهم . وجربت فعلمت أنه لا ينبغي للعاقل أن يلتبس من الدنيا غير الكفاف الذي يدفع به الأذى عن نفسه ، وهو اليسير من المطعم والمشرَّب إذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال . ولو أن رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذي يدفع به عن نفسه الحاجة . فأقبلت مع الغراب إليك على هذا الرأي ، وأنا لك أخ فلتكن منزلتي عندك كذلك

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب ، وقالت : قد سمعت كلامك . وما أحسن ما تحدَّثت به ! إلا أني رأيتك تذكر بقايا أمور هي في نفسك . واعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل ، وأن المريض الذي قد علم دواء مرضه إن لم يتداو به لم يُغنِ علمه به شيئاً ، ولم يجد لدائه راحة ولا خفّة . فاستعمل رأيك ، ولا تحزن لقلة المال . فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال : كالأسد الذي يُهاب وإن كان رابضاً . والغني الذي لا مروءة له يُهان وإن كان كثير المال : كالكلاب لا يُحفل به وإن طوّق وخلخل بالذهب . فلا تكبرنَّ عليك غربتك . فإن العاقل لا غربة له : كالأسد الذي لا ينقلب إلا معه قوّته . فلتحسن تعاهدك

لنفسك . فإنك إذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك ، كما يطلب الماء
الحداره . وإنما جعل الفضل للحازم البصير بالأمر . وأما الكسلان المتردد
فإن الفضل لا يصحبه . . . وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء :
ظل الغمامة في الصيف . وخلة الأشرار . والبناء على غير أساس . والمال
الكثير . فالعقل لا يحزن لقلته . وإنما مال العاقل عقله ، وما قدم من صالح
عمله . فهو واثق بأنه لا يسلب ما عمل ، ولا يؤخذ بشيء لم يعمله ، وهو
خليق ألا يفغل عن أمر آخرته ، فإن الموت لا يأتي إلا بغتة ، ليس له وقت
معين . وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ، ولكن رأيت أن أقضي
مالك من حق قبلنا ، لأنك أخونا ، وما عندنا من النصيح مبدول لك

فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه وملاطفتها إعاد فرح
بذلك ، وقال : لقد سررتني ، وأنعمت علي . وأنت جديرة أن تسري
نفسك بمثل ما سررتني به . وإن أولى أهل الدنيا يشدة السرور من لا يزال
ربعة من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معمرًا ، ولا يزال عنده منهم
جماعة يسرهم ويسرونه ، ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد ، فإن
الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام : كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة
فبينما الغراب في كلامه إذ أقبل نحوهم ظبي يسعى . فدعرت منه
السلحفاة . فغاصت في الماء . وخرج الجرذ إلى جحره . وطار الغراب فوق
على شجرة . ثم إن الغراب حلق في السماء لينظر : هل للظبي طالب ؟ فنظر

فلم ير شيئاً . فنادى الجرذ والسلحفاة ، وخرجا . فقالت السلحفاة للظبي حين
رأته ينظر إلى الماء : إشرَب إن كنت بك عطش ، ولا تخف ، فإنه



الظبي والجرذ والغراب والسلحفاة مستأنسين



الغراب يخلق ليرى هل للظبي طالع

لا خوف عليك . فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته ، وقالت له : من
أين أقبلت ؟ قال : كنت أسنح^١ بهذه الصحارى . فلم تزل الأساورة^٢
تطرُدني من مكان إلى مكان حتى رأيت اليوم شبحاً ، نخفت أن يكون
قانساً . قالت : لا تخف ، فإننا لم نره هنا قانساً قط . ونحن نبذل لك ودنا
ومكاننا ، والماء والمرعى كثيران عندنا ، فارغب في صحبتنا . فأقام الظبي
معه . وكان لهم عريش^٣ يجتمعون فيه ، ويتداكرون الأحاديث والأخبار .
فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش غاب الظبي . فتوقعوه

١ سنح الظبي والظير وغيرها سنوحا : مر من المياسر الى الميامن : ولكن المراد
أنه كان يرتع ويرعى ٢ الأساورة جمع أسوار بالضم والكسر وهو الرامي بالسهم
٣ العريش المكان يستظل به عند الظهيرة وجمعه عرش بضمين

ساعة فلم يأت . فلما أبطأ أشفقوا^١ أن يكون قد أصابه عنت^٢ . فقال الجرذ والسلحفاة للغراب : أنظر : هل ترى مما يلينا شيئاً ؟ فخلق الغراب في السماء فنظر فإذا الظبي في الحبائل مقتنصاً . فانتقض مسرعاً ، فأخبرهما بذلك . فقالت السلحفاة والغراب للجرذ : هذا أمر لا يرجى فيه غيرك . فأغث أخاك . فسعى الجرذ مسرعاً . فأتى الظبي ، فقال له : كيف وقعت في هذه الورطة ؟ وأنت من الأكياس^٣ . قال الظبي : هل يُغنى الكيس مع المقادير شيئاً ؟ . فبينما هما في الحديث إذواقتهما السلحفاة . فقال لهما الظبي : ما أصبت بمجيئك إلينا ، فإن القانص لو انتهى — وقد قطع الجرذ الحبائل — استبقته عدواً ، وللجرذ أحجاراً كثيرة ، والغراب يطير ، وأنت ثقيلة لاسمى لك ولا حركة ، وأخاف عليك القانص . قالت : لا عيش مع فراق الأحبة . وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده ، وحرّم سروره ، وغشى بصره . فلم ينته كلامهما حتى وافى القانص . ووافق ذلك فراغ الجرذ من الشراك . فنجا الظبي بنفسه . وطار الغراب محلقاً . ودخل الجرذ بعض الأحجار . ولم يبق غير السلحفاة . ودنا الصياد فوجد حبالته مقطّعة . فنظر يميناً وشمالاً . فلم يجد غير السلحفاة تدب . فأخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا . فنظروا القانص قد ربط السلحفاة . فاشتدّ حزنهم . وقال الجرذ : ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء إلا صرنا في أشدّ منها .

١ خافوا ٢ العنت : الامر الشاق ٣ الاكياس : جمع كيس
كسيد وهو الفطن الظريف

ولقد صدق الذي قال : لا يزال الإنسان مستمراً في إقباله ما لم يعثر ، فإذا عثر لَجَّ^١ به العثار وإن مشى في جَدَدٍ^٢ الأرض . وحذرى على السلحفاة خير الأصدقاء التي خَلَّتْهَا^٣ ليست للهجازة ولا لالتماس مكافأة ، ولكنها خَلَّةُ الكرم والشرف ، خَلَّةٌ هي أفضل من خَلَّةِ الوالد لولده ، خَلَّةٌ لا يزيلها إلا الموت . ويح^٤ لهذا الجسد الموكل به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ، ولا يدوم له شيء ، ولا يلبث معه أمر : كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ، ولا للأفل منها أفول . لكن لا يزال الطالع منها آفلا ، والآفل طالما : وكما تكون آلام الكاوم^٥ ، وانتقاض^٦ الجراحات ، كذلك من قَرِحَتْ كلومه^٧ يفقد إخوانه بعد اجتماعه بهم . فقال الظبي والغراب للجرذ : إن حذرنا وحذرك وكلامك — وإن كان بليغاً — كل منها لا يغني عن السلحفاة شيئاً . وإنه كما يقال : إنما يختبر الناس عند البلاء ، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء ، والأهل والولد عند الفاقة ، كذلك تختبر الإخوان عند النوائب . قل الجرذ : أرى من الحيلة أن تذهب — أيها الظبي — فتقع بمنظر من القانص كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك ،

١ لج : تهادى ٢ جدد : محركة : الأرض المستوية ٣ الخلة بالكسر : الصعبة ٤ ويح : كلمة ترحم وتوجع وقد تقال بمعنى المدح والتعجب وقيل هي بمعنى ويل يقال : ويح لزيد وويحاً له (ورفع على الابتداء ونصبه باضممار الفل كأنك قلت الزمه الله ويحاً وتقول (ويح زيد وويحه وويحما زيد) بزيادة « ما » ونصبها به أيضاً . وقيل أصله ويحه فوصلت بياء موحدة مرة وبجاء مهملة أخرى وبجاء معجمة تارة وبسين أخرى وبلاد آونة وبهاء أخرى نقيض ويب وويح وويح وويس وويل وويه ٥ الكاوم : جمع كام وهو الجرح ٦ انتقاضها : انتكاسها ٧ قرحت : يقال قرح الرجل قرحاً بالتحريك : خرجت فيه القروح

وأسى أنا فأكون قريباً من القانص مراقباً له . لعله يرمى ما معه من
الآلة ، ويضع السلحفاة ، ويقصدك طامعاً فيك ، راجياً تحصيلك . فإذا
دنا منك ففر عنه رؤيداً ، بحيث لا ينقطع طمعه منك . ومكته من أخذك
مرة بعد مرة حتى يبعدنا . وانح منه هذا النحو ما استطعت . فإني أرجو
ألا ينصرف إلا وقد قطعت الحبال عن السلحفاة ، وأنجو بها . ففعل الغراب
والظبي ما أمرهما به الجرذ . وتبعهما القانص . فاستجره الظبي حتى أبعد



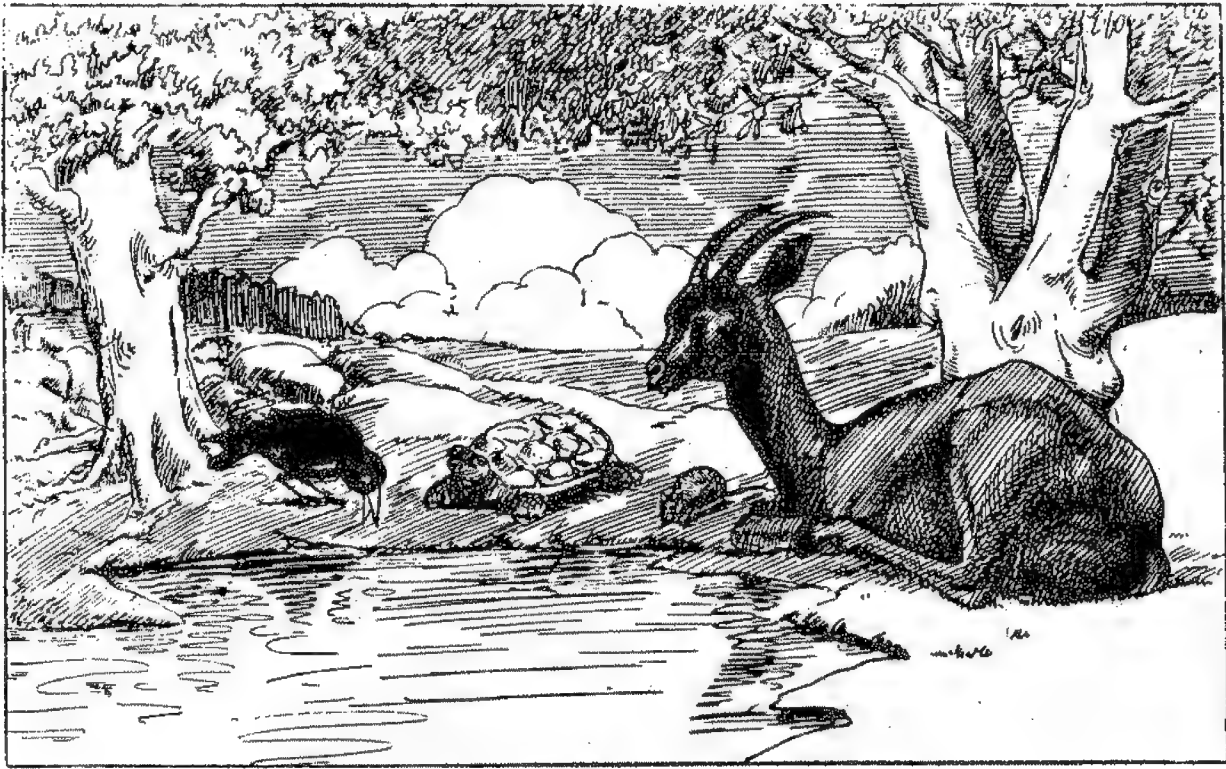
الظبي يستطرد للقانص



الظبي يترأى للقانص كأنه حرج

عن الجرذ والسلحفاة ، والجرذ مقبل على قطع الحبال حتى قطعها ، ونجا
بالسلحفاة . وعاد القانص مجهوداً لاغياً^١ . فوجد حبالته مقطعة . ففكر في
أمره مع الظبي المتطلع^٢ . فظن أنه خولط في عقله . وفكر في أمر الظبي
والغراب الذي كأنه يأكل منه ، وقرض حبالته . فاستوحش من الأرض ،

وقال : هذه أرض جن^١ أو سحرة^٢ ! فرجع موليا لا يلتمس شيئا ، ولا يلتفت إليه . واجتمع الغراب والظبي والجرد والسلحفاة إلى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه



الظبي والجرد والغراب والسلحفاة في عريشهم آمنين

فإذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها ، وثبات قلبه عليها ، واستمتاعه مع أصحابه بعضهم ببعض ، فالإنسان الذي قد أعطى العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاقد . فهذا مثل إخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة (انقضى باب الحماة المطوقة)

١ جن : الجن خلاف الانس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين .
٢ السحرة : جمع ساحر وهو من يعمل السحر وفسروه بأنه اخراج الشيء في أوفق مظهره حتى يخدع أو يفتن

باب البوم^١ والغربان

قال دَبْشليم الملك لبیدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل إخوان الصفا وتعاونهم . فاضرب لى مثل العدو الذى لا ينبغى أن يُغترَّ به ، وإن أظهر تضرعاً ومكلاً . قال الفيلسوف : من اغترَّ بالعدو الذى لم يزل عدواً أصابه ما أصاب البوم من الغربان . قال الملك وكيف كان ذلك ؟ !

قال بيدبا : زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدَّوح^٢ ، فيها وكر ألف غراب . وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ . وكان عند هذه الشجرة كهف^٣ فيه ألف بومة ، وعليهنَّ والٍ منهنَّ . فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته^٤ — وفي نفسه العداوة لملك الغربان ، وفي نفس الغربان

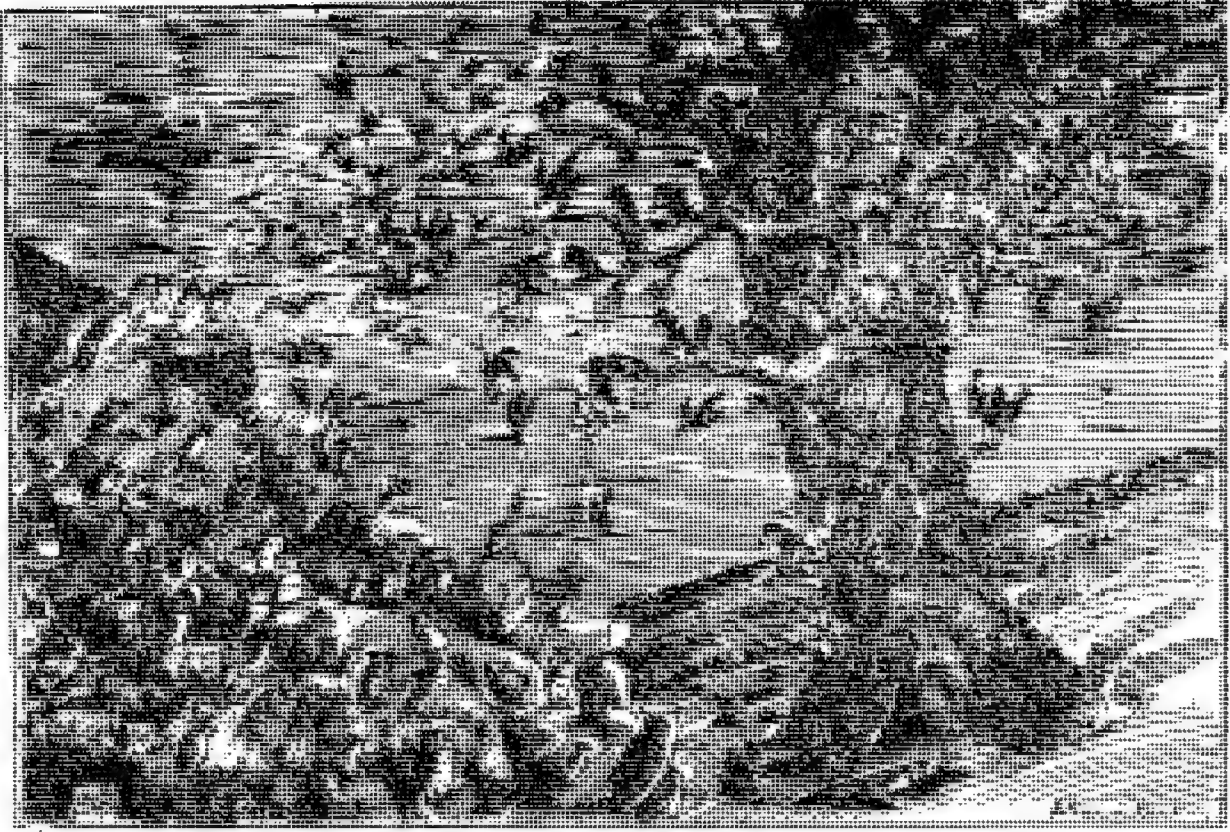
١ البوم : طائر قصير ضخيم ورأسه كبير بالنسبة الى جسمه وربما نتأ فيه شبه القرون أو الآذان ، وعيناه كبيرتان جداً في حدتين مستديرتين تتجهان الى الامام ، وهى فى أكثر الانواع معدة للنظر غلصا أو عند الزوال أو ليلا فاذا عرضت لضوء النهار تفرست دون ان تبصر ، وأذناه كبيرتان لهما شبه غطاء ، وجناحاه معتدلان عريضان مستديران مجهزان بما يكسبهما نشاطاً دون صوت مساء وغلصا

وريش البوم ناعم وأنثاه أكبر من ذكره وهى تشبه الذكر فى لونها ، وهيئة الوجه والعينين أشبه بهيئة الهر . وتبيض الانثى من بيضتين الى خمس بيضات أما أنواعه فكثيرة جداً ، وأكثرها ليلي ولا يطير منه فى النهار الا القليل . وأكبره يفتدى بالحشرات وخصوصاً الفيران والمصافير وأصغره يفتدى أيضاً بالحشرات الصغيرة . ولبعضه أصوات مختلفة فربما نبح كالكلب أو أتى بأصوات كهوت المنادى أو المستغيث فيضل بها المسافر ليلا ظنا منه أنها صادرة من العمار

٢ الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة ٣ الكهف : المغارة

٤ يريد ذهابه وإيابه

وملكها مثل ذلك اليوم — فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في
أو كارهها ، فقتل وسبي منها خلقاً كثيراً ، وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت



هجوم البوم على الغربان

الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك
البوم ، وما منا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح ، أو
منتوف الريش ، أو مقطوف الذنب . وأشدُّ مما أصابنا ضرراً علينا جرائتهن
علينا ، وعلمهنَّ بمكاننا ، وهنَّ عائدات إلينا غير منقطعات عنَّا : لعلمهنَّ
بمكاننا . فإنما نحن لك ، ولك الرأي أيها الملك ، فانظر لنا ولنفسك . وكان في
الغربان خمسة مُعترفَ هنَّ بحسن الرأي ، يُسندَ إليهنَّ في الأمور ، ويلقى
عليهنَّ أزيمة^١ الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهنَّ في الأمور ، ويأخذ
آراءهن في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأيي قد سبقتنا إليه العلماء ، وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الحنق^١ إلا الحرب منه . قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : رأيي ما رأى هذا من الحرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً : أن نرحل عن أوطاننا ونُخْلِجها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ، ولا ينبغي لنا ذلك ، ولكن نُجْمِع أمرنا ، ونستعدَّ لعدونا ، ونُدْكِ^٢ نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ، ونُحْتَرِس من الغرة^٣ إذا أقبل إلينا ، فنلقاه مستعدين ، ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ، ولا مقصرين عنه ، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ، ونُحَرِّز بِحَصُوننا ، ونُدَافِع عدونا : بالأناة مرة ، وبالجلاد^٤ أخرى ، حيث نصيب فرصتنا وبغيثنا ، وقد ثَبَّنّا عدونا عنا .

ثم قال الملك للثالث : ما رأيك أنت ؟ قال : ما أرى ما قالوا رأياً ، ولكن نَبْثُ العيون^٥ ، ونُبْعَث الجواسيس ، ونُرْسِل الطلائع^٦ بيننا وبين عدونا ، فنعلم أريد صلحنا ؟ أم يريد حربنا ؟ أم يريد الفدية^٧ ؟ فَإِنْ رَأَيْنَا أمره أمر طامع في مال لم نكره الصلح على خراج نُؤَدِّيهِ إليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ، ونطمئن في أوطاننا . فَإِنْ مِنْ آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوا على أنفسهم وبلادهم ، أن يجعلوا الأموال جُنَّة البلاد^٨ والملك والرعية .

١ الحنق : الشديد الفيظ ٢ تشمل ونضرم ٣ الغرة بالكسر : الغفلة

٤ الجلاد : الشدة والصبر ٥ أى ترسل الجواسيس والرقباء ٦ الطلائع جمع

طليعة وهى ما ترسل أمام الجيش من الجنود لاستكشاف مكان العدو ٧ الفدية

ما يعطى من المال عوض المفدى عنه ٨ أى حصنا يقي البلاد طوارئ الأعداء

قال الملك للربع : فما رأيك في هذا الصلح ؟ قال : لا أراه رأيا . بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ، ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه ، مع أن اليوم لو عرضنا ذلك عليهم لما رضين منا إلا بالشطط^١ . ويقال في الأمثال : قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك . ولا تقارب به كل المقاربة : فيجتري عليك ، ويضعف جندك ، وتذل نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس : إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها نقص الظل . وليس عدونا راضيا منا بالدون في المقاربة فالرأي لنا ولك المحاربة .

قل الملك للخامس : ما تقول أنت ؟ وماذا ترى ؟ أ القتال أم الصلح ؟ أم الجلاء عن الوطن ؟ قال : أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه ، وقد يقال : إنه من لا يعرف نفسه وعدوه ، وقاتل من لا يقوى عليه ، حمل نفسه على حتفها^٢ ، مع أن العاقل لا يستصغر عدوا : فإن من استصغر عدوه اغتر به ، ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه . وأنا لليوم شديد الهيبة ، وإن أضربن عن قتالنا . وقد كنت أهابها قبل ذلك : فإن الحازم لا يأمن عدوه على كل حال : فإن كان بعيدا لم يأمن سطوته ، وإن كان مكثبا^٣ لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيدا لم يأمن مكره . وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه : فإن ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل ، والقتال النفقة فيه من الأ نفس والأبدان .

فلا يكونن القتال للبوم من رأيك ، أيها الملك : فإن من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه . فإذا كان الملك مُحْصِنًا^١ للأسرار ، متخيرًا للوزراء ، مهيبًا في أعين الناس ، بعيدًا من أن يُقدَّر عليه ، كان خليقًا ألا يسلب صحيح ما أوتي من الخير . وأنت — أيها الملك — كذلك . وقد استشرتني في أمر ، جوابك مني عنه في بعضه علانية ، وفي بعضه سر . والأسرار منازل : منها ما يدخل فيه الرَّهْط^٢ ، ومنها ما يستعان فيه بالقوم ، ومنها ما يدخل فيه الرجال . ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يُشارك فيه إلا أربع آذان ولسانان . فنهض الملك من ساعته وخلا به ، فاستشاره ، فكان أول ما سألَه عنه الملك أنه قال : هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم ؟ قال : نعم كلمة تكلم بها غراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الغراب : زعموا أن جماعة من الكراكي^٣ لم يكن لها ملك ، فأجمعت أمرها على أن يملكن عليهن ملك البوم ، فبينما هي في مجمعها إذ وقع لها غراب ، فقالت : لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا ، فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب . فاستشرنه ، فقال : لو أن الطير بادت من الأقاليم

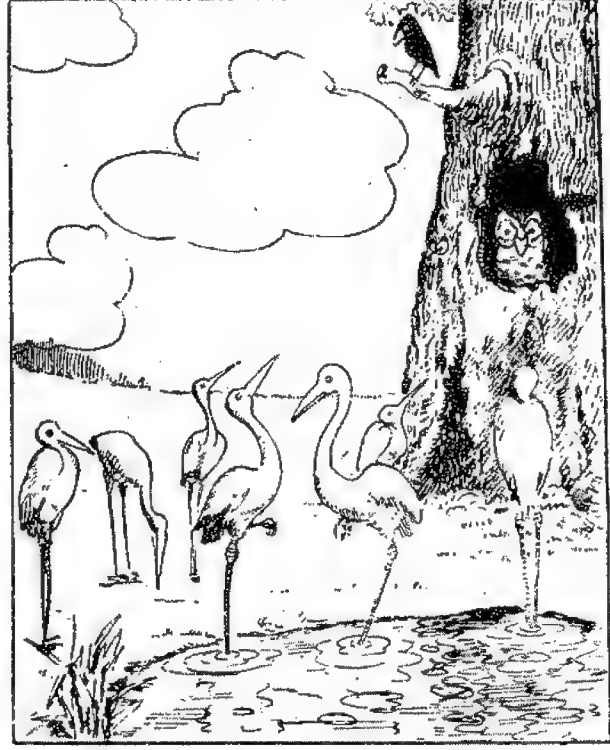
١ كاتما لها ٢ الرهط : الاقارب

٣ الكراكي جمع كركي وهو طائر رمادي يقرب من الوز غير أنه أبتز الذيل في خده لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم طويل الساقين لا تصلح جماعته إلا برئيس لان في طبعه الحذر والتحارس بالنوبة فاذا تضى نوبته قام الذي كان نائمًا حتى يتضى حراسته ، ومن طبعه أيضاً التناصر فلا تغيرا لجماعة منه متفرقة بل تكون صفاً صفاً يتقدمها واحد رئيساً لها ثم تتبعه أطوع له من الظل ثم يخلفه غيره ولا تزال كذلك حتى يتناول كل فرد هذه الرياسة بعد الطائر الآخر

وفقد الطاووس^١ والبط والنعام^٢ والحمام من العالم لما اضطررتن إلى أن تملكن عليكن اليوم التي هي أقبح الطير منظرًا ، وأسوأها خلقًا ، وأقلها عقلًا ،



العرب بنفركراكي من اليوم



الكراكي تريد تملك اليوم

١ الطاووس زينة الطيور ومظهر جمالها ، وهو نوعان وحشي لا يألف الدور وأهلي يريه الناس لجرد الزينة والتفكه بمرآه البديع لان لحمه جاف صلب عسر الهضم . وفي رأسه قنبرة مؤلفة من أربع وعشرين ريشة صغيرة قائمة خضراء أطرافها ذهبية اللون ، ولونه الى حيث بطنه يريك حمرة وردية وخضرة زبرجدية في صفرة عسجدية ذات بريق يكاد يذهب بنور العين ، وجناحاه قصيران لا يساعدهانه على الطيران الا قليلا ، وذيله طويل كبير جداً يتألف من ريشات جميلات ، فترى في وسط كل ريشه منه دائرة يتخللها الالوان السبعة : وهو مطبوع على الزهو بنفسه والاعجاب بريشه ولا سيما اذا كانت أنثاه أو الناس تنظر اليه فانه اذا ذاك ينشر ذيله ويسدل ثوب خياله امامهم ذاهبا وآيبا حتى كأنما هو الملك يختال بين رعتيه ،

٢ النعام اسم جنس مفردة نعامه وهو طائر كبير يشبه الجمل في عنقه ووظيفته ويشارك الطير في الجناح والريش والمنقار ، وليس للنعام حاسة السمع ولكن به الشم البليغ فهو يدرك بانفه ما يحتاج فيه الى السمع فربما شم القانص من بعيد ولذلك يقال : أشم من نعامه . قيل وليس في الدنيا حيوان لا يشرب الماء أبداً الا النعام . وميت رجل واجدة لم تنتفع بالآخرى بل تجثم في مكانها حتى تهلك ، ومن خواصها

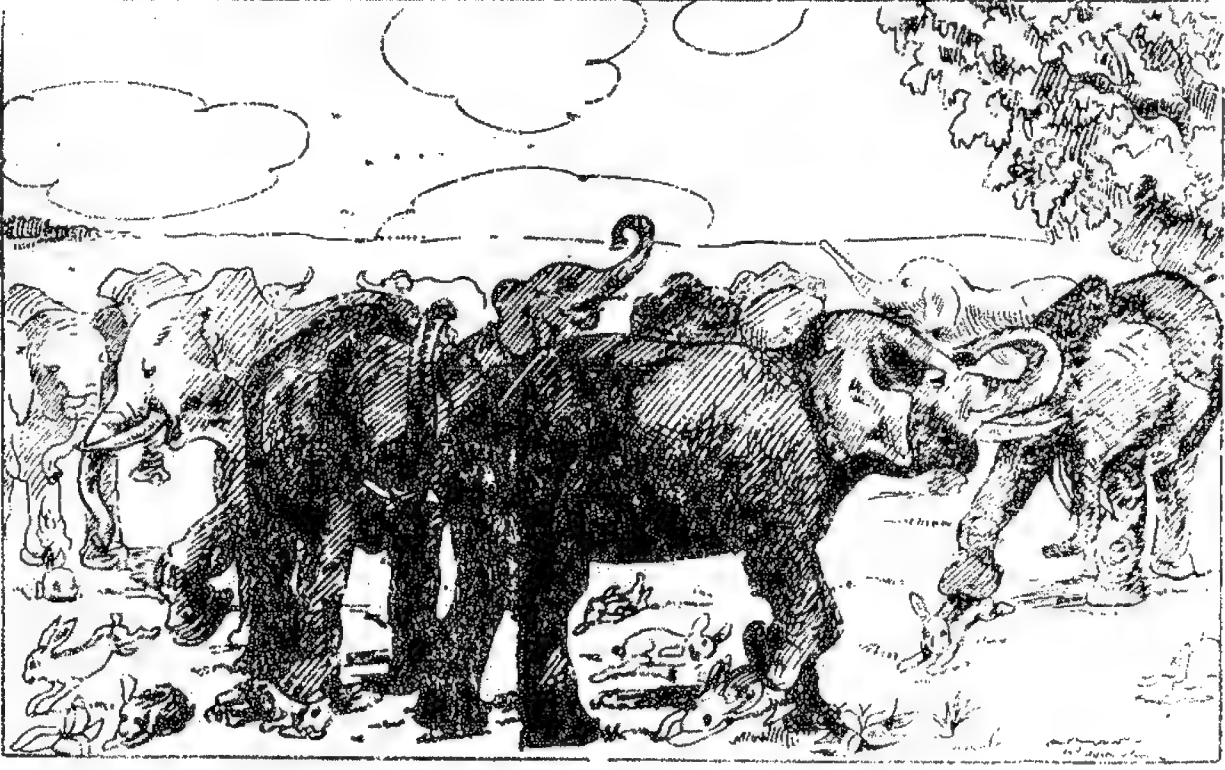
وأشدّها غضباً ، وأبعدّها من كل رحمة ، مع عماها وما بها من العشا^١ بالنهار ،
وأشدّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها . إلا أن ترين أن
تملككنها وتكنّ أنتنّ تدبرن الأمور دونها برأ يكنّ وعقولكنّ ، كما فعلت
الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها ، ثم عمّلت برأيها . قال الطير : وكيف
كان ذلك ؟ !

قال الغراب : زعموا أن أرضاً من أراضى الفيلة تتابعت عليها السنون^٢ ،
وأجدبت ، وقلّ ماؤها ، وغارت^٣ عيونها ، وذوى^٤ نبتها ، وييس شجرها ،
فأصاب الفيلة عطش شديد : فشكّون ذلك إلى ملكهنّ ، فأرسل الملك
رُسُلَهُ وروّاده في طلب الماء ، في كل ناحية . فرجع إليه بعض الرسل ، فأخبره
أنّى قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر ، كثيرة الماء . فتوجّه
ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته . وكانت العين
في أرض للأرنب ، فوطئ الأرنب في أجحارهنّ ، فأهلكنّ منهنّ كثيراً .
فاجتمعت الأرنب إلى ملكها فقلنّ له : قد علمت ما أصابنا من الفيلة .
فقال : ليحضرنّ منكنّ كلّ ذي رأى رأيّه . فتقدّمت أرنب من الأرنب ،

سرعة الجرى وأشد ما يكون إذا استقبلت الريح وقد تبتلع الصلب والحجر والمدر
والحديد فتذيه وتميعه .

ويقال أنها تقسم بيضها أثلاثاً فمنه ما تحضنه ومنه ما تأخذ صفرتة غذاء ومنه ما تقتحمه
وتتركه في الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود تغذي به فراخها إذا خرجت . ويضرب
بها المثل في الحمق قيل لأنها تترك بيضها وتحضن بيض غيرها . وقيل لأنها إذا رأت
القائص وضعت رأسها خلف الكشيب ظانة أنها قد استخفت عليه مادامت هي لم تره
١ سوء البصر ٢ السنون : الجذب ٣ غارت : جفت ٤ ذوى : ذبل

يقال لها (فيروز) . وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب ، فقالت :
إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ، ويرسل معي أميناً ، ليرى ويسمع ما أقول ،



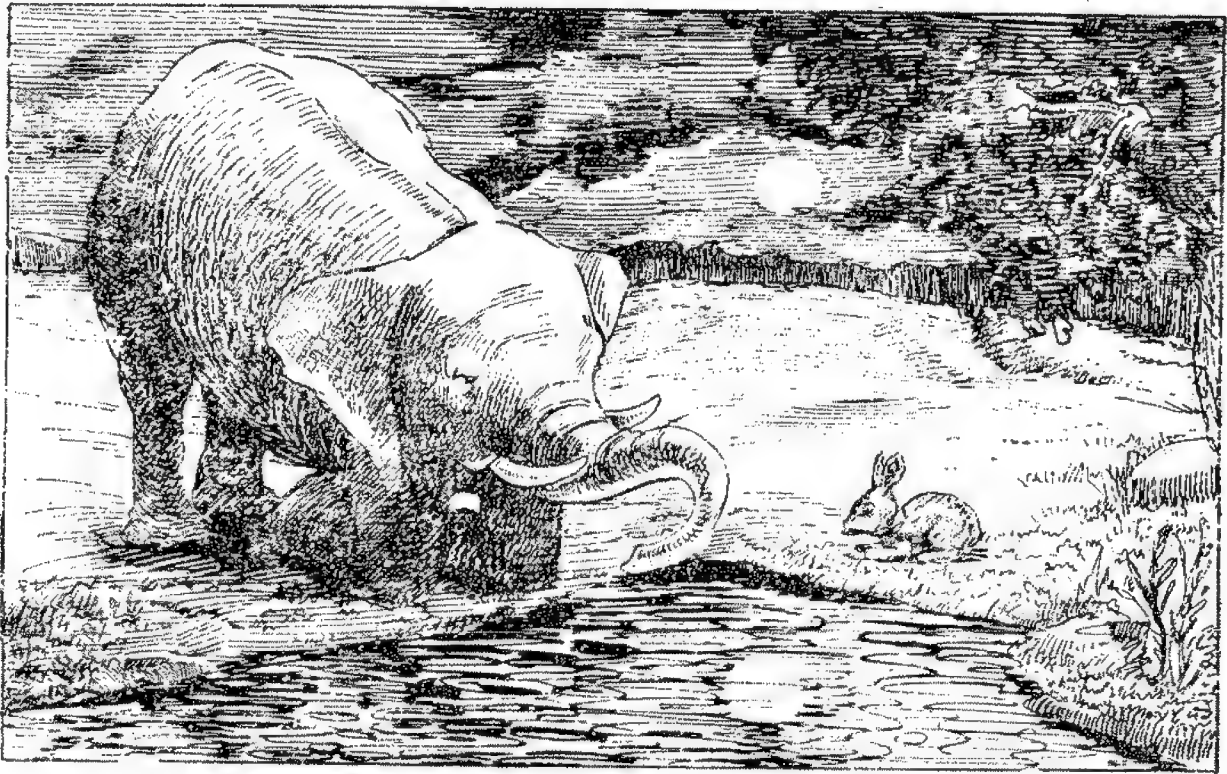
الفيلة في طريقهم إلى الماء

ويرفعه إلى الملك^١ . فقال لها الملك : أنت أمينة ، ونرضى بقولك ، فانطلقى
إلى الفيلة ، وبلغني عنى ما تريدن . واعلمي أن الرسول برأيه وعقله ولينه
وفضله يخبر عن عقل المرسل . فعليك باللين والرفق والحلم والتأني : فإن
الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق ، ويخشن الصدور إذا خرق^٢ . ثم
إن الأرنب انطلقت في ليلة قمرء ، حتي انتهت إلى الفيلة ، وكرهت أن تدنو
منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن ، فيقتلنها ، وإن كنّ غير متعمدات . ثم
أشرفت على الجبل ، ونادت ملك الفيلة ، وقالت له : إن القمر أرسلني إليك ،
والرسول غير مألوم فيما يبلغ ، وإن أغلظ في القول . قال ملك الفيلة : فما الرسالة ؟

١ جواب الشرط حذف لأنه يفهم من المقام والتقدير ان رأى الملك الخ فعل ذلك

٢ خرق : حمق

قالت : يقول لك : إنه من عرف فضل قوّته على الضعفاء فاغترّ بذلك في شأن الأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوّته وبالا عليه . وأنت قد عرفت فضل قوّتك على الدوابّ ، ففرّك ذلك ، فعمدت إلى العين التي تسمّى باسمي ، فشربت منها ، وكدرتها . فأرسلني إليك : فأندرك ألا تعود إلى مثل ذلك . وإنك إن فعلت أغشى بصرك ، وأتلف نفسك . وإن كنت في شكّ من رسالتي ، فاهلم^١ إلى العين من ساعتك : فإنني موافيك بها . فعجّب ملك الفيلة من قول الأرنب ، فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول . فلما نظر إليها ، رأى ضوء القمر فيها . فقالت له فيروز الرسول : خذ بخروطهك من الماء فاغسل به وجهك ، واسجد للقمر . فأدخل الفيل خرطومه في الماء ،



الفيل يسجد للقمر

١ هلم : كلمة بمعنى الدعاء الى الشيء كتحال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كهلّم شهداءكم أي أحضروهم ، ويجوز أن تلزم حالة واحدة في خطاب المفرد والمثنى والجمع وهو الافصح ويجوز أن تتصرف فيقال هلم يا رجل وهلم يا رجلان وهلمى

فتحرك فخيّل للفيل أن القمر ارتعد . فقال : ما شأن القمر ارتعد ؟ !
أترأه^١ غضب من إدخال الخراطوم في الماء ؟ قالت فيروز الأرنب : نعم .
فسجد الفيل للقمر مرة أخرى ، وتاب إليه مما صنع ، وشرط ألا يعود إلى
مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته .

قال الغراب : ومع ما ذكرت من أمر البوم فإن فيها الخب والمكر
والخدعة ، وشرّ الملوك المخادع ، ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه ، أصابه
ما أصاب الأرنب والصفرد^٢ حين احتكما إلى السنور . قالت الكراكي :
وكيف كان ذلك ؟ !

قال الغراب : كان لي جار من الصفار دة في أصل شجرة قريبة من
وكرى ، وكان يكثر مواصلي ، ثم فقدته ، فلم أعلم أين غاب ؟ وطالت
غيبته عني . فجاءت أرنب إلى مكان الصفرد فسكنته ، فكرهت أن
أخاصم الأرنب . فلبثت فيه زمنا . ثم إن الصفرد عاد بعد زمان ، فأتى
منزله ، فوجد فيه الأرنب . فقال لها : هذا المكان لي ، فانتقلي عنه . قالت
الأرنب : المسكن لي ، وتحت يدي ، وأنت مدع له . فإن كان لك حق
فاستعد بآثباته على . قال الصفرد : القاضي منا قريب : فهلم بنا إليه .
قالت الأرنب : ومن القاضي ؟ قال الصفرد : إن بساحل البحر سنورا متعبدا ،
يصوم النهار ، ويقوم الليل كله ، ولا يؤذى دابة ، ولا يهريق^٣ دما ، عيشه من

وهلموا وهلمن إلا أنها في الأولى اسم فعل وفي الثانية فعل
١ ترى ، مبنية للمجهول بمعنى تظن ٢ الصفرد : بالكسر طائر صغير كالصفور
قيل أنه من خساس الطير ويضرب المثل به في الجبن فيقال أجبن من صفرد
٣ يهريق : فعل مضارع ماضيه هراق والمصدر هراقة (بالكسر) معناه صب

الحشيش ومما يقدِّفه إليه البحر . فإن أحببت تحاكمنا إليه ، ورضينا به .
 قالت الأرنب : ما أرضاني به إذا كان كما وصفت ! فانطلقا إليه ، فتبعتهما
 لأنظر إلى حكومة الصوام القوام . ثم إنهما ذهبا إليه . فلما بصر السُّور
 بالأرنب والصَّفَرِد مقبلين نحوه انتصب قائماً يصلي ، وأظهر الخشوع والتَّسكُّ .
 فعجباً لما رأيا من حاله ، ودنوا منه هائبين له ، وسألاه أن يقضى
 بينهما . فأمرهما أن يقصا عليه القصة ، ففعلا . فقال لهما : قد بلغني الكبر ،
 وثقلت أذنائي : فادنوا مني ، فأسمعاني ما تقولان . فدنوا منه ، وأعادا عليه
 القصة ، وسألاه الحكم . فقال : قد فهمت ما قلتما ، وأنا مبتدئكما بالنصيحة
 قبل الحكومة بينكما . فأنا أمركما بتقوى الله ، وألا تطالبا إلا الحق : فإن
 طالب الحق هو الذي يفلج^١ وإن قُضى عليه ، وطالب الباطل مخصوم^٢ ،
 وإن قُضى له . وليس لصاحب الدنيا من دنياه شيء ، لا مال ولا صديق
 سوى العمل الصالح يقدمه ، فذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب
 ما يبقى ويعود نفعه عليه غداً ، وأن يُنقَّتْ بسعيه فيما سوى ذلك من أمور
 الدنيا : فإن منزلة المال عند العاقل بمنزلة المدر^٣ . . . ومنزلة الناس عنده فيما

الماء وغيره ، وأصله أراقه يريقه أراقه أبدلت الهمزة هاء
 وأصل هراقه هريقه على وزن دحرجه ولذلك فتحت الهاء في المضارع كما فتحت
 الدال في « يدحرج » والامر هرق بفتح فسكونين والأصل هريق على وزن دحرج
 استثقلت الكسرة تحت الياء فحذفت فالتقى ساكنان الراء والياء حذفت الياء للتخلص
 من التقاء الساكنين ويقال في المثني هريقا وفي الجمع هريقوا
 وقد يجمع بين الهاء والهمزة فيقال أهراقه يهريقه أهراقه ساكن الهاء في الجميع
 واسم الفاعل منه مهريق واسم المفعول مهراق بتسكين الهاء ويجوز تحريكها
 ١ يظفر على خصمه ٢ مخصوم : مغلوب بالخصام ٣ المدر : بالتحريك قطع الطين اليابس

يحبّ لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه . ثم إن السنور لم يزل يقصّ
عليهما من جنس هذا وأشباهه ، حتى أنسا إليه ، وأقبلا عليه ، ودنوا منه ،



السنور يقص على الأرنب والصغرد



السنور يظاهر بالصلاح والتقوى

ثم وثب عليهما فقتلهما . قل الغراب : ثم إن البوم تجمع - مع ما وصفت لكنّ
من الشؤم - سائر العيوب : فلا يكوننّ تملك البوم من رأيكنّ . فلما سمع
الكرّاكى ذلك من كلام الغراب أضربنّ عن تملك البوم . وكان هناك بوم
حاضر قد سمع ما قالوا . فقال للغراب : لقد وترتني أعظم التّرة^١ ، ولا أعلم أنه
سلف منى إليك سوء أوجب هذا . وبعد فاعلم أن الفأس يُقطع به الشجر
فيعود ينبت ، والسيف يُقطع اللحم ثم يعود فيندمل^٢ ، واللسان لا يندمل
جرّحه ولا تُؤسى^٣ مقاطعه . والنّصل من السهم يغيّب في اللحم ، ثم يُنزَع
فيخرج ، وأشباه النّصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تُنزع ولم

١ يقال وتره ترة إذا أصابه بمكروه ٢ اندمل الجرح : التأم وتراجع الى البرء
٣ تؤسى : تداوى

تستخرج . ولكل حريق مطفىء : فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ،
ونار الحقد لا تحبوا أبدا . وقد غرستم — معاشر الغربان — بيننا وبينكم
شجر الحقد والعداوة والبغضاء

فلما قضى اليوم مقالته ، ولّى مُغضباً ، فأخبر ملك اليوم بما جرى وبكل
ما كان من قول الغراب . ثم إن الغراب نديم على ما فرط منه ، وقال : والله
لقد خرقت في قولي الذي جلبت به العداوة والبغضاء على نفسي وقومي !
وليتنى لم أخبر الكراكي بهذه الحال ! ولا أعلمتها بهذا الامر ! ولعل أكثر
الطير قد رأى أكثر مما رأيت ، وعلم أضعاف ما علمت ، فمنعها من الكلام
بمثل ما تكلمت اتقاء ما لم أتق ، والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب ،
لا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام ، يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث
الحقد والضغينة ، فلا ينبغي لأشباه هذا الكلام أن يُسمى كلاماً ، ولكن
سهاماً . والعاقل وإن كان واثقاً بقوته وفضله لا ينبغي أن يحمله ذلك على أن
يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأي والقوة ، كما أنه وإن
كان عنده الترياق^١ لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده .
وصاحب حسن العمل — وإن قصر به القول في مستقبل الأمر — كان
فضله بيننا واضحاً في العاقبة والاختبار . وصاحب حسن القول — وإن
أعجب الناس منه حسن صفته للأمور — لم تُحمد عاقبة أمره . وأنا صاحب
القول الذي لا عاقبة له محمودة . أليس من سفهي اجترائي على التكلم في

الأمر الجسيم لا أستشير فيه أحداً ؟ ! ولم أعمل فيه رأياً . ومن لم يستشر
النصحاء الأولياء ، وعمل برأيه من غير تكرير النظر والروية لم يغتبط^١ بمواقع
رأيه . فما كان^٢ أغنانى عما كسبت يومى هذا ! وما وقعت فيه من الهم !
وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب . فهذا ما سألتنى عنه
من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم

وأما القتال فقد علمت رأيي فيه ، وكراحتي له . ولكن عندي من الرأي
والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى . فإنه رب قوم قد
احتالوا بأرائهم حتى ظفروا بما أرادوا . ومن ذلك حديث الجماعة الذين
ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه^٣ . قل الملك : وكيف كان ذلك ؟ !
قال الغراب : زعموا أن ناسكا اشترى عريضاً ضخماً ليجمعه قربانا ،
فانطلق به يقوده . فبصر به قوم من المكرة . فائتمروا بينهم أن يأخذوه من



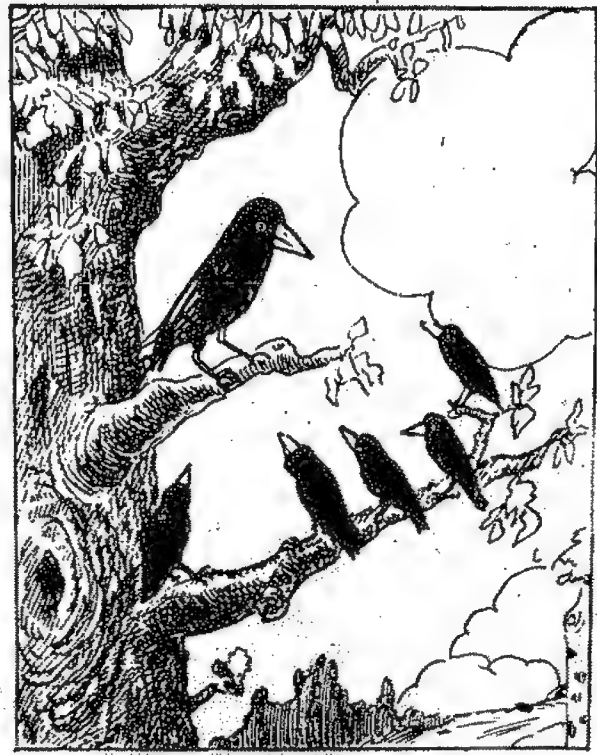
الناسك وقد خدع مسلبوه عريضه

الناسك . فعرض له أحدهم ، فقال له — أيها الناسك — ما هذا الكلب
الذي معك ؟ ! ثم عرض له الآخر ، فقال لصاحبه : ما هذا ناسك ، لأن
الناسك لا يقود كلباً . فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك أن
الذي يقوده كلب ، وأن الذي باعه إياه سحر عينه . فأطلقه من يده . فأخذه
الجماعة المحتالون ومضوا به

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالرِّفق
والحيلة . وإنني أريد من الملك أن ينقُرني على رؤوس الأشهاد ، وينتف



الوزير الذي طابت نفسه عن تفريشه



ملك الغريان يشاور وزراءه

ريشي وذنبي ، ثم يطرحنى في أصل هذه الشجرة ، ويرتحل الملك هو
وجنوده إلى مكان كذا . فأرجو أني أصبر ، وأطلع على أحوالهم ، ومواقع
تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتى إليكم لنهجم عليهم ، وننال منهم غرضنا
إن شاء الله تعالى

قال الملك : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لَدَاكَ ؟ قال : نعم . وكيف لا تَطِيبُ نَفْسِي لَدَاكَ وفيه أعظم الأراحات للملك وجنوده . ففعل الملك بالغراب ما ذكر ، ثم ارتحل عنه . فجعل الغراب يئن ويهمس^١ حتى سمعته البوم ورأينه يئن . فأخبرن ملكهن بذلك . فقصد نحوه ليسأله عن الغربان . فلما دنا منه أمر بوماً أن يسأله . فقال له : من أنت ؟ وأين الغربان ؟ فقال : أما إسمي ففلان . وأما ما سألتني عنه فإني أحسبك ترى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار . فقيل للملك البوم : هذا وزير ملك الغربان ، وصاحب رأيه ، فנסأله بأي ذنب صنع به ما صنع ؟ فسئل الغراب عن أمره ، فقال : إن ملكنا استشار جماعتنا فيكن . وكنت يومئذ بمحضر من الأمر . فقال — أيها الغربان — ما ترون في ذلك ؟ فقلت — أيها الملك — : لا طاقة لنا بقتال البوم ، لأنهن أشد بطشاً ، وأحد قلباً منا . ولكن أرى أن نلتمس الصلح ، ثم نبذل الفدية في ذلك . فإن قبلت البوم ذلك منا وإلا هربنا في البلاد . وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهنّ شرّاً لنا ، فالصلح أفضل من الخصومة ، وأمرتهن بالرجوع عن الحرب ، وضربت لهنّ الأمثال في ذلك ، وقلت لهنّ : إن العدو الشديد لا يردّ بأسه وغضبه مثل الخضوع له : ألا ترين إلى الحشيش : كيف يسلم من عاصف الريح لينه وميله معها حيث مالت . فعصينني في ذلك ، وزعمن أنهن يردن القتال ، واتهمنني فيما قلت . وقلن إنك قد مالأت^٢ البوم علينا ، ورددن قولي ونصيحتي ، وعدنّ بنى بهذا العذاب ، وتركني الملك وجنوده وارتحل . ولا علم لي بهنّ بعد ذلك

فلما سمع ملك اليوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه : ما تقول في الغراب ؟ وما ترى فيه ؟ قال : ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل : فإن هذا أفضل عدد الغربان ، وفي قتله لنا راحة من مكروه ، وفقدته على الغربان شديد . ويقال : من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ، ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له ، فليس بحكيم . ومن طلب الأمر الجسيم ، فأمكنه ذلك فأغفله ، فاته الأمر ، وهو خاليق ألا تعود الفرصة ثانية . ومن وجد عدوه ضعيفاً ، ولم ينجز قتله ، ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه .

قال الملك لوزير آخر : ما ترى أنت في هذا الغراب ؟ قل : أرى ألا
تقتله : فإن العدوَّ الذليل الذي لا ناصر له أهل لأن يستبقى ويرحم ويصفح
عنه ، لاسيما المستجير الخائف : فإنه أهل لأن يؤمن

قال ملك اليوم لوزير آخر من وزرائه : ما تقول في الغراب ؟ قل : أرى
أن تستبقه وتحسن إليه : فإنه خليق أن ينصحك . والعاقِل يرى معاداة
بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً ، ويرى اشتغال بعض الأعداء ببعض خلاصاً
لنفسه منهم ، ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه .
قال له الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الوزير: زعموا أن ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبا. فانطلق بها يقودها إلى منزله، فعرض له لص أراد سرقته، وتبعه شيطان يريد اختطافه. فقال الشيطان للص: من أنت؟ قال أنا اللص، أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام. فمن أنت؟ قال: أنا الشيطان أريد

اختطفه إذا نام وأذهب به . فاتها على هذا إلى المنزل . فدخل الناسك منزله . ودخلا خلفه . وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل ، وتعشى ونام . فأقبل اللص والشیطان يأتمران فيه . واختلفا على من يبدأ بشغله أولاً . فقال الشيطان للصوص : إن أنت بدأت بأخذ البقرة فربما استيقظ وصاح واجتمع الناس ، فلا أقدر على أخذه . فأنظرنى^١ ريثما آخذه ، وشأنك وما تريد . فأشفق اللص إن بدأ الشيطان باختطفه فربما استيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة . فقال : لا . بل أنظرنى أنت حتى آخذ البقرة ، وشأنك وما تريد . فلم يزالا في المجادلة حتى نادى اللص : أيها الناسك انتبه ، فهذا



الصوص والشیطان يتجادلان في أيهما يسبق بعمله صاحب البقرة يصحو على صراخ اللصوص والشیطان

الشیطان يريد اختطافك . ونادى الشيطان : أيها الناسك انتبه ، فهذا اللص يريد أن يسرق بقرتك . فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما . وهرب الخبيثان . قال الوزير الاول الذي أشار بقتل الغراب : أظن أن

١ أي أعطني زمنا يسع ما أريده

الغراب قد خدعكن ، ووقع كلامه في نفس الغبي منكم موقعه . فتردن أن تضعن الرأي في غير موضعه . فمهلا مهلا — أيها الملك — عن هذا الرأي . فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل البوم ويكرم وتستوصى به خيرا

ثم إن الغراب قال للملك يوماً — وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذي أشار بقتله — أيها الملك ، قد علمت ما جرى على من الغربان . وإنه لا يستريح قلبي دون أخذي بشأري منهن . وإنني قد نظرت في ذلك ، فإذا بي لا أقدر على ما رُمت ، لأنني غراب . وقد روى عن العلماء أنهم قالوا : من طابت نفسه بأن يُحرقها فقد قرَّبَ لله أعظم القربان : لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استجيب له^١ . فإن رأى الملك أن يأمرني فأحرق نفسي ، وأدعوربي أن يحولني يوماً فأكون أشدَّ عداوة وأقوى بأساً على الغربان . لعلِّي أنتقم منهن . قال الوزير الذي أشار بقتله : ما أشبهك في خير ما تظهر وشر ما تخفي إلا بالخمرة الطيبة الطعم والريح ، المنقع فيها السم . أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار أكان جوهرك وطباعك متغيرة ؟ أليست أخلاقك تدور معك حينما درت ؟ وتصير بعد ذلك إلى أصلك وطينتك : كالفأرة التي خيرت في الأزواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها إلا على الجُرْد . قيل له : وكيف كان ذلك ؟ !

قال : زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة . فبينما هو ذات يوم جالس

١ ذلك على اعتقاد الهنود من التقرب الى الله باحراق الاجساد

على ساحل البحر إذ مرت به حداة في رجلها درّص فأرة^١ . فوقعت منها عند الناسك . وأدركته لها رجة ، فأخذها ولفّها في ردّنه^٢ ، وذهب بها إلى منزله . ثم خاف أن تشقّ على أهله ترييتها . فدعا ربه أن يحولها جارية . فتحولت جارية حسناء . فانطلق بها إلى امرأته ، فقال لها : هذه ابنتي . فاصنعى معها صنيعك بولدى . فلما كبرت قال لها الناسك - يا بنية اختارى من أحببت حتى أزوجك به . فقالت : أما إذا خيرتني فإني أختار زوجاً يكون أقوى الأشياء . فقال الناسك : لعلك تريدن الشمس . ثم انطلق إلى الشمس . فقال : أيها الخلق العظيم ، لي جارية قد طلبت زوجاً يكون أقوى الأشياء . فهل أنت متزوجها ؟ فقالت الشمس : أنا أدلك على من هو أقوى مني : السحاب الذي يغطيني ويردّ حرّ شعاعى ، ويكسِف أشعة أنوارى . فذهب الناسك إلى السحاب . فقال له : ما قال للشمس . فقال السحاب : وأنا أدلك على من هو أقوى مني . فاذهب إلى الريح التي تقبل بي وتدبر ، وتذهب بي شرقاً وغرباً . فجاء الناسك إلى الريح . فقال لها : كقوله للسحاب . فقالت : وأنا أدلك على من هو أقوى مني : وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه . فمضى إلى الجبل . فقال له : القول المذكور . فأجابه الجبل ، وقال له : أنا أدلك على من هو أقوى مني . الجرذ الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا تقبّنى واتخذنى مسكناً . فانطلق الناسك إلى الجرذ . فقال له : هل أنت متزوج هذه الجارية ؟ فقال : وكيف أتزوجها

١ أى ولد فأرة ٢ الردن بالضم : أصل الكم وفى بعض النسخ لفها في ورقة وهو خطأ

وجحري ضيق . وإنما يتزوج الجرذ الفأرة . فدعا الناسك ربه أن يحولها
فأرة كما كانت . وذلك برضا الجارية . فأعادها الله إلى عنصرها الأول .
فانطلقت مع الجرذ . فهذا مثلك أيها المخادع . فلم يلتفت ملك البوم إلى
ذلك القول ، ورفق بالغراب ، ولم يزد له إلا إكراما . حتى إذا طاب عيشه
ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روعة . فأتى أصحابه بما



الغراب يتفعل النوم ويدب إلى أهله



الغراب يمدد البوم ليقبلوه

رأى وسمع . فقال للملك : إني قد فرغت مما كنت أريد ، ولم يبق إلا أن
تسمع وتطيع . قال له : أنا والجنود تحت أمرك . فاحتكم : كيف شئت
قل الغراب : إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب . وفي ذلك
الموضع قطع من الغنم مع رجل راع . ونحن مصيبون هناك نارا ، ونلقينا
في أثقاب البوم ، وتقذف عليها من يابس الحطب ، ونتراوح عليها ضربا
بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب . فمن خرج منهم احترق ، ومن لم
يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغرابان ذلك . فأهلك البوم قاطبة .

ورجعن إلي منازلهن سالمات آمنا

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب : كيف صبرت على صحبة البوم ؟
ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار . فقال الغراب : إن ما قلته — أيها
الملك — لكذلك . ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي
يخاف من عدم تحمله الجائحة^١ على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه ،
لما يرجو أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير ، فلم يجد لذلك المأ .
ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه ، حتى يبلغ حاجته فيقتبط بخاتمة أمره
وعاقبة صبره . فقال الملك : أخبرني عن عقول البوم . قال الغراب : لم أجد
فيهن عاقلا إلا الذي كان يحشهن^٢ على قتلى . وكان حرضهن على ذلك مرارا .
فكنن^٣ أضعف شيء رأيا . فلم ينظرن في أمرى ويدكرن أنى قد كنت ذا منزلة
في الغربان ، وأنى أعد^٤ من ذوى الرأى ، ولم يتخوفن مكربى وحيلتى ، ولا
قبيلن من الناصح الشفيق^٥ ، ولا أخفين دونى أسرارهن . وقد قال العلماء :
ينبغى للملك أن يحصن^٦ أموره من أهل النيمة ، ولا يطلع أحدا منهم على
مواضع سره . فقال الملك : ما أهلك البوم فى نفسى إلا البغى وضعف رأى
الملك وموافقته وزراء السوء . فقال الغراب : صدقت — أيها الملك — إنه
قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ . وقل^٧ من أكثر من الطعام إلا مريض ، وقل^٨ من
وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع فى المهالك . وكان يقال : لا يطمعن ذو
الكبر فى حسن الثناء ، ولا الخب^٩ فى كثرة الصديق ، ولا السي^{١٠} الأدب

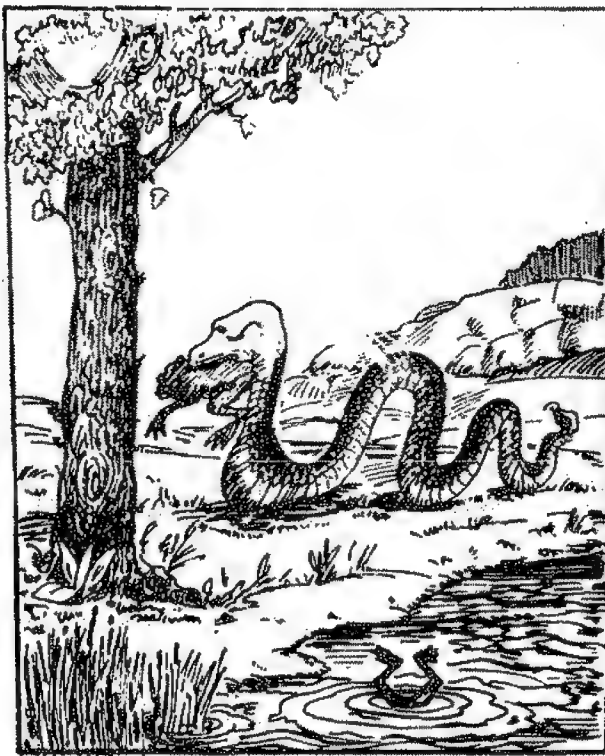
١ الجائحة : الشدة المهلكة ٢ كذلك رأى الناصح الشفيق مضيع بين الادعاء

ومن قد نال منهم الخرق والخذاع

في الشرف ، ولا الشحيح في البر ، ولا الحريص في قلة الذنوب ، ولا الملك
المختال المتهاون بالأمر الضعيف الوزراء في إثبات ملكه وصلاح رعيته .
قال الملك : لقد احتملت مشقة شديدة في تصنعك لليوم وتضرعك لهن .
قال الغراب : إنه من احتمال مشقة يرجو نفعها ، ونحى عن نفسه الأنفة والحمية ،
ووطنها على الصبر حميد غيب رأيها^١ : كما صبر الأسود على حمل ملك الضفادع^٢
على ظهره ، وشيع بذلك وعاش . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟
قال الغراب : زعموا أن أسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت
قوته . فلم يستطع صيداً . ولم يقدر على طعام . وأنه انساب^٣ يلتمس شيئاً
يعيش به حتى انتهى إلى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ، فيصيب
من ضفادعها رزقه . فرمى نفسه قريباً منهن مظهرًا للكآبة والحزن . فقال
له ضفدع : مالي أراك - أيها الأسود - كئيباً حزينا ؟ ! قال : ومن أخرى

١ عاقبة ٢ الضفادع : دابة من الزواحف ، وأنواعها كثيرة : منها العادية
والمتسلقة (الطيارة وغير الطيارة) والسامة
تأكل الحشرات والودود وما يشابههما ولا تشرب الماء . ومن غريب أمرها أنك إذا
فتحت فاهما مدة طويلة اختنقت وماتت كما يقتل الإنسان إذا سد فيه وأنفه لأنها تتناول
الأكسجين من الماء أثناء مروره من الحياشيم . وتتغذى الضفادع أيضاً بواسطة جلدها
سواء أكانت في الماء أم في الهواء ؟ فإذا نزع رثاها عاشت بتغذية الجلد ما يقارب
سنة أسابيع
تقيم الضفادع في الماء معظم الاوقات ويضرب بها المثل في السباحة وتستطيع اجتياز
المسافات الشاسعة طلباً للماء فتسير وثباتاً لطول أرجلها
وهي تنق أصواتاً تختلف في القوة والكثافة فيتعذر على سامعها أن يعرف ما بينه
وبينها من البعد بصوتها ، وقيل ان بعضها يبلغ عمره الأربعين من السنين
٣ الانسياب : ديب الحية

بطول الحزن منى ؟ وإنما كان أ كثر معيشتي مما كنت أصيب من الضفادع . فابتليت ببلاء . وحرمت على الضفادع من أجله . حتى إنى إذا التقيت ببعضها لا أقدر على إمساكه . فانطلق الضفدع إلى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الأسود . فأتى ملك الضفادع إلى الأسود ، فقال له : كيف كان أمرك ؟ قال : سعت منذ أيام فى طلب ضفدع . وكان ذلك فى المساء . فاضطرته إلى بيت ناسك . ودخلت فى أثره فى الظلمة . وفى البيت ابن للناسك . فأصبت أصبعه . فظننت أنها الضفدع . فلدغته فمات . فخرجت هارباً . فتبعنى الناسك فى أثرى ، ودعا على ولعنى ، وقال : كما قتلت ابنى البرئ ظلاماً وتعدياً أدعو عليك أن تذلل وتصير مركباً لملك الضفادع ، فلا تستطيع أخذها ، ولا أكل شئ منها إلا ما يتصدق به عليك . فأتيت إليك لتركنى مقرّاً بذلك ، راضياً به . فرغب ملك الضفادع فى ركوب



الأسود يتناول غذاءه



ملك الضفادع يتخذ الأسود مركباً

الأسود : وظن أن ذلك نحر له وشرف ورفعة . فركبه واستطاب له ذلك .

فقال له الأسود قد علمت - أيها الملك - أني محروم . فاجعل لي رزقاً أعيش به . قال ملك الضفادع : لعمرى لا بد لك من رزق يقوم بك إذ كنت مركبي فأمر بضفدعين يؤخذان في كل يوم ، ويدفعان إليه . فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدوّ الذليل . بل انتفع بذلك ، وصار له رزقاً ومعيشة . وكذلك كان صبرى على ما صبرت عليه التماساً لهذا النفع العظيم الذى اجتمع لنا فيه الأمن والظفر وهلاك العدو والراحة منه . ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشدّ استئصالاً للعدوّ من صرعة المكابرة ، فإن النار لا تزيد بحديثها وحرّها إذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الارض منها ، والماء يبرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها . ويقال : أربعة أشياء لا يستقلّ قليلها : النار ، والمرض ، والعدوّ ، والدّين . قال الغراب : وكل ذلك كان من رأى الملك وأدبه وسعادة جدّه . وأنه كان يقال : إذا طلب اثنان أمراً ظفر به منهما أفضلهما مروءة ، فإن اعتدلا في المروءة فأشدّهما عزماً ، فإن استويا في العزم فأسعدهما جدّاً . وكان يقال : من حارب الملك الحازم الأريب المتضرّع^١ الذى لا تُبطره السراء ، ولا تدهشه الضراء ، كان هو داعي الحتف إلى نفسه^٢ ، ولا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الاعمال وموضع الشدة واللين ، والفضب والرضاء ، والمعاجلة والأناة ، الناظر في أمر يومه وغده ، وعواقب أعماله . قال الملك للغراب : بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك كان ذلك . فإن رأى الرجل الواحد العاقل الحازم

أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوى البأس والنجدة والعدد
والعدّة . وإنّ من عجيب أمرك عندى طول لبثك بين ظهرائى اليوم^١ ،
تسمع الكلام الغليظ ، ثم لم تسقط بينهما بكلمة . قال الغراب : لم أزل
متمسكاً بأدبك أيها الملك : أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة
والمؤاتاة^٢ . قال الملك : أصبحت وقد وجدت لك صاحب العمل ، ووجدت
غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل : ليس لها عاقبة حميدة . فقد منّ الله
علينا بك منّة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم
ولا القرار . وكان يقال : لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ، ولا
الرجل الشره الذى قد أطمعه سلطانه فى مال وعمل فى يده حتى ينجزه له ،
ولا الرجل الذى قد ألحّ عليه عدوّه وهو يخافه صباحاً ومساءً حتى يستريح
منه قلبه . ومن وضع الحمل الثقيل عن يديه فقد أراح نفسه . ومن آمن
عدوّه تلج صدره^٣

قال الغراب : أسأل الله الذى أهلك عدوّك أن يمتك بسلطانك ،
وأن يجعل فى ذلك صلاح رعيّتك ، ويشركهم فى قرة العين بملكك . فإن
الملك إذا لم يكن فى ملكه قرة عيون رعيّته فمثله مثل زنمة العنز التى يمصّها^٤ ،
وهو يحسبها حامة الضرع . فلا يصادف فيها خيراً . قال الملك : أيها الوزير
الصالح ، كيف كان سيرة اليوم وملكها فى حروبها ؟ وفيما كانت فيه من

١ يقال (أقام بين ظهريهم وظهرانيهم) بالثنية . ولا تكسر النون وبين (أظهرهم)

أي فى وسطهم ٢ المؤاتاة : الموافقة ٣ اطمأن قلبه

٤ قطعة لحم تتدلى من عنقه

أمورها؟ قال الغراب : كانت سيرته سيرة بَطَرٍ وأَشَرٍ وخِيَلَاءٍ وعَجْزٍ وفُحْرٍ ،
 مع ما فيه من الصفات الذميمة . وكل أصحابه ووزرائه شبيه به إلا الوزير
 الذي كان يشير بقتلي ، فإنه كان حكيماً أريباً فيلسوفاً حازماً عالماً ، قلما يرى
 مثله في علوِّ الهمة وكمال العقل وجودة الرأي . قال الملك : وأى خصلة
 رأيت منه كانت أدل على عقله ؟ قال : خلتان . إحداهما رأيت في قتلي ،
 والأخرى أنه لم يكن يكتُم صاحبه نصيحته وإن استقلها ، ولم يكن كلامه
 كلام عُنْفٍ وقَسْوَةٍ . ولكنه كلام رفيق ولين ، حتى إنه ربما أخبره ببعض
 عيوبه ولا يصرّح بحقيقة الحال . بل يضرب له الأمثال ، ويحدثه بعيب
 غيره ، فيعرف عيبه . فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلاً . وكان مما
 سمعته يقول للملك : إنه لا ينبغي للملك أن يغفل عن أمره فإنه أمر جسيم
 لا يظفر به من الناس إلا قليل ، ولا يدرك إلا بالحزم ، فإن الملك عزيز ، فمن
 ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه ، فإنه قد قيل : إنه في قلة بقاءه بمنزلة قلة
 بقاء الظل عن ورق النيلوفر . وهو في خفة زواله وسرعة إقباله وإدباره كالريح .
 وفي قلة ثباته كالليب مع اللثام ، وفي سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع
 المطر . فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يغترّ بهم ، وإن هم أظهروا
 تودّداً وتضرّعا .

(انقضى باب اليوم والغربان)

باب القرد^١ والغليم^٢

قال دبشليم الملك لبيدا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثل الرجل الذي يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها . قال الفيلسوف : إن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها . ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغليم . قال الملك وكيف كان ذلك ؟ !

قال بيدا : زعموا أن قرداً كان ملك القردة يقال له ماهر . وكان قد كبر وهرم . فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة . فتغلب عليه ، وأخذ مكانه . فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى إلى الساحل . فوجد شجرة من شجراتين . فارتقى إليها وجعلها مقامه . فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين إذ سقطت من يده تينة في الماء . فسمع لها صوتاً وإيقاعاً . فجعل يأكل ويرمي في الماء . فأطربه ذلك . فأكثر من طرح التين في الماء . وثم^٣ غليم ، كلما وقعت تينة أكلها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما يفعل

١ القرد : حيوان في مقدمة الحيوانات ذوات الثدي وليس فيها من هو أقرب منه إلى الإنسان ، سواء في أصابعه وعينه وجهته وهيكله . كذلك في استعداداته للتهذب . وهو نشط شديد القوة والعضلات . وأكثر أنواعه تعيش على هيئة قبائل في الغابات . تلد أنثاه واحداً أو اثنين وقد يعمر إلى الأربعين

أما أنواعه فكثيرة جداً تختلف اختلافاً بيناً في الجسم والشكل ، وليس يقرب من الإنسان غير أنواع ثلاثة منه : وهي الغوريلا وليس له ذنب والشامبانزي وهو أرق من الأول : يكثر المشي على أرجله والاورنج أو تنغ وهو أرق من الأولين ولا يمشي إلا على أربع رقيق طائع ٢ الغليم : ذكر السحفاة

٣ ثم بالفتح ظرف متعلق بمحذوف يعرب خبراً مقدماً وجوباً والغليم مبتدأه

ذلك لاجله . فرغِب في مصادقته ، وأنس إليه وكله . وألف كل واحد منهما صاحبه . وطالت غيبة الغيلم عن زوجته . فجزعت عليه . وشكت ذلك إلى جارة لها ، وقالت : قد خفت أن يكون قد عرَض له عارضُ سوء فاعْتاله . فقالت لها : إن زوجك بالساحل ، قد أَلِف قردًا وألفه القرد ، فهو مؤاكلة



القرد والغيلم متصافين



ابتداء الصحبة بين القرد والغيلم

ومشاربه . وهو الذي قطعته عنك ، ولا يقدر أن يُقيم عندك حتى تحتالي لهلاك القرد . قالت : وكيف أصنع ؟ قالت جارتها : إذا وصل إليك قمارضى . فإذا سألك فقولى : إن الحكماء وصفوا لى قلب قرد . ثم إن الغيلم انطلق بعد مدة إلى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة . فقال لها الغيلم : مالى أراك هكذا ؟ ! فأجابته جارتها ، وقالت : إن زوجتك مريضة مسكينة . وقد وصف لها الاطباء قلب قرد . وليس لها دواء سواه . قال الغيلم : هذا أمر عسير . من أين لنا قلب قرد ونحن فى الماء ؟ ! لكن سأحتال لصديقى . ثم انطلق إلى ساحل البحر . فقال له القرد : يا أخى ، ما حبسك عنى ؟ قال له

الغيلم : ما حبسني عنك إلا حيائي . فلم أعرف كيف أجازيك على إحسانك إلى ؟ وأريد أن تتم إحسانك إلى بزيارتك لي في منزلي ، فإنني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة . فاركب ظهري لأسبح بك . فرغب القرد في ذلك ونزل . فركب ظهر الغيلم . فسبح به . حتى إذا سبح به عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر . فنكس له رأسه . فقال له القرد : مالي أراك مهتما ؟ ! قال الغيلم : إنما همي لأنني ذكرت أن زوجتي شديدة المرض . وذلك يمنعني من كثير مما أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك . قال القرد : إن الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف . قال الغيلم : أجل . ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية . فساء ظن القرد ، وقال في نفسه : ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلا لأمر . ولست آمناً أن يكون قلبه قد تغير لي ، وحال عن مودتي ، فأراد بي سوءا . فإنه لا شيء أخف وأسرع تقلبا من القلب . وقد يقال : ينبغي للعاقل ألا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر ، وفي كل لحظة وكلمة ، وعند القيام والقعود ، وعلى كل حال ، فإن ذلك كله يشهد على ما في القلوب . وقد قالت العلماء : إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ، وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته ، فإن كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة ، وإن كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك . ثم قال للغيلم : ما الذي يحبسك ؟ ! ومالي أراك مهتما ؟ ! كأنك تحدث نفسك مرة أخرى . قال : يهمني أن تأتي منزلي فلا تجد أمري كما أحب ، لأن زوجتي مريضة .

قال القرد : لا تهتم فإن الهم لا يُغنى عنك شيئاً ، ولكن التمس ما يُصلح زوجتك من الأدوية والأغذية ، فإنه يقال : ليبذل ذو المال ماله في أربعة مواضع : في الصدقة ، وفي وقت الحاجة ، وعلى البنين ، وعلى الأزواج . قال الغيلم : وقد قالت الأطباء : إنه لا دواء لها الا قلب قرد . فقال القرد في نفسه : وا أسفا ! لقد أدركني الحرص والشره على كبر سنّي حتى وقعت في شرّ ورطّة . ولقد صدق الذي قال : يعيش القانع الراضى مستريحاً مطمئناً ، وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونصب ، وإني قد احتجت الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه . ثم قال للغيلم : وما منعك أن تُعلمني عند منزلي ؟ حتى كنت أحمل قلبي معي . فهذه سنة فينا معاشر القردة . إذا خرج أحدها لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله ، أو في موضعه ، لننظر إذا نظرنا إلى حُرْمِ المزور وليست قلوبنا معنا . قال الغيلم : وأين قلبك الآن ؟ قال : خلفته في الشجرة . فإن شئت فارجع بي إلى الشجرة



القرد يعلو الشجرة ويسخر من الغيلم



القرد يهود على ظهر الغيلم ليحضر قلبه

١ الحرم بضمّتين : نساء الرجل الواحد ، وبالتحريك : ما يحمله الرجل ويقاتل عليه

حتى آتيك به . ففرح الغيـلم بذلك . وقال : لقد وافقني صاحبي بدون أن أغدُر به . ثم رجع بالقرد إلى مكانه . فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة . فلما أبطأ على الغيـلم ناداه : يا خليلي إحمل قلبك وانزل فقد حبستني . فقال القرد : هيهات . أتظن أني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان ؟ قال الغيـلم : وكيف كان ذلك ؟ !

قال القرد : زعموا أنه كان أسد في أجمة . وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف شديد وجهه . فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : مابالك قد تغيرت أحوالك ؟ ! قال : هذا الجرب الذي قد أجهدني . وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه . قال ابن آوى : ما أيسر هذا ! وقد عرفت بمكان كذا حماراً مع قصَّارٍ يحمل عليه ثيابه ، وأنا آتيك به . ثم دَلَفَ^٢ إلى الحمار فأتاه وسلم عليه . فقال له : مالي أراك مهزولاً ؟ ! قال : ما يُطعمني صاحبي شيئاً . فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال : فمالي حيلة في الهرب منه . فليست أتوجه إلى جهة إلا أضرب بي إنسان ، فكدّني وأجاعني . قال ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به إنسان ، خصيب المرعى ، فيه قطع من الحمر لم ترعين مثلها حسناً وسِمناً . قال الحمار : وما يحبسنا عنها ؟ فانطلق بنا إليها . فانطلق به ابن آوى نحو الأسد . وتقدم ابن آوى ، ودخل الغابة على الأسد ، فأخبره بمكان الحمار . فخرج إليه ، وأراد أن يثب عليه ، فلم يستطع

الضعفه . وتخلص الحمار منه ، فأفلت هليماً^١ على وجهه . فلما رأى ابن آوى



الأسد وقد خارت قواه فلم يقو على اقتراسه



ابن آوى يزين للأسد اقتراس الحمار

أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له : أعجزت يا سيد السباع إلى هذه الغاية ؟ فقال له : إن جئتنى به مرة أخرى فلن ينجو منى أبداً . فمضى ابن آوى إلى الحمار . فقال له : ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الحمير رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك ، ولو ثبت له لآنسك ومضى بك إلى أصحابه . فلما سمع الحمار كلام ابن آوى ولم يكن رأى أسداً قط صدقه . وأخذ طريقه إلى الأسد^٢ . فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه ، وقال له : استعد له ، فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف فى هذه النوبة ، فإنه إن أفلت فلن يعود معى أبداً . فجاش جاش الأسد^٣ لتحريض ابن آوى له ، وخرج إلى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثة افترسه بها . ثم قال : قد

٢ يريد قصد نحوه

١ جزعاً لا يلوي على شيء فى طريقه

٣ هاج وجمع قواه

ذكرت الأطباء : أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور . فاحتفظ به حتى
أعود فأكل قلبه وأذنيه ، وأترك ماسوى ذلك قوتاً لك . فلما ذهب الأسد
ليغتسل ، عمّد ابن آوى إلى الحمار ، فأكل قلبه وأذنيه ، رجاء ان يتطير الأسد



ابن آوى يستل قلب الحمار



الأسد وقد تمكن من صرع الحمار

فلا يأكل منه شيئاً . ثم إن الأسد رجع إلى مكانه . فقال لابن آوى :
أين قلب الحمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم أنه لو كان له قلب يَفْقَهُ به ،
وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة
وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنى لست كذلك الحمار الذى زعم
ابن آوى أنه لم يكن له قلب وأذنان . ولكنك احتلت عليّ وخدعتنى ،
نخدعتك بمثل خديعتك ، واستدركت فارط أمرى . وقد قيل : إن الذى
يُفسده الحلم لا يُصلحه إلا العلم . قال الغيلم : صدقت ، إلا أن الرجل الصالح
يعترف بزلاته . وإذا أذنب ذنباً لم يستحى أن يؤدّب لصدقه فى قوله وفعله ،
وإن وقع فى ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله : كالرجل الذى

يَعْتَرُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْهَا مُعْتَمِدًا . فَمِنْ هَذَا مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ
الْحَاجَةَ ، فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا . (انْتَفَى بِابِ الْقَرْدِ وَالْفِيلِ)

باب الناسك وابن عرس^١

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب
لى مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب . قال
الفيلسوف : إنه من لم يكن فى أمره متبثًا ، لم يزل نادماً ، ويصير أمره
إلى ماصار إليه الناسك من قتل ابن عرس ، وقد كان له ودوداً . قال الملك :
وكيف كان ذلك ؟ !

قال الفيلسوف : زعموا أن ناسكاً من الناسك كان بأرض جرجان .
وكانت له امرأة جميلة . فكثرت زماناً لم يرزقا ولداً . ثم حملت منه بعد
الأياس^٢ . فسرت المرأة ، وسر الناسك بذلك . فحمد الله تعالى ، وسأله
أن يكون الحمل ذكراً . وقال لزوجته : أبشرى ، فإنى أرجو أن يكون غلاماً
لنا فيه منافع وقرّة عين ، أختار له أحسن الأسماء ، وأحضر له سائر الأدباء .
فقالت المرأة : ما يحملك — أيها الرجل — على أن تتكلم بما لا تدري : أكون
أم لا ؟ ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذي أراق على رأسه السمن
والعسل . قال لها : وكيف كان ذلك ؟ !

١ ابن عرس : حيوان كالفار واعتده بعضهم من أنواع الفأرو عنده العداوة للحية
والتمساح وهو المعروف عند العامة فى أيامنا (بالعرس) أو العروسة
٢ الأياس بالكسر : اليأس والقنوط

قالت : زعموا أن ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن والعسل . وكان يأكل منه قوته وحاجته ، ويرفع الباقي ويجعله في جرّة فيعلقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت . فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره - والعكازة في يده ، والجرّة معلقة على رأسه - فكّر في غلاء السمن والعسل فقال : سأبيع ما في هذه الجرّة بدينار وأشتري به عشرة أعنز . فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر بطناً . ولا تلبث إلا قليلا حتى تصير غنما كثيرة إذا ولدت أولادها . ثم حزر^١ا على هذا النحو بسنين ، فوجد ذلك أكثر من أربعمئة أعنز . فقال : أنا أشتري بها مائة من البقر ، بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة . وأشتري أرضا وبذرا وأستأجر



الناسك وقد سال ما في الجرّة على رأسه



لناسك يتخيل ما سيجنه من جرّة السمن والعسل

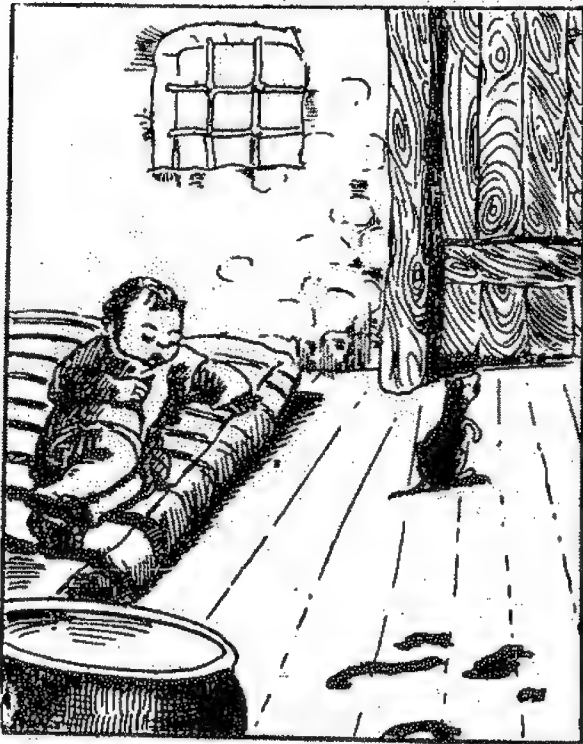
أكرة^٢ ، وأزرع على الثيران ، وأنتفع بالبان الإناث وتناجها . فلا يأتي على خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا . فأبني بيتا فاخرا وأشتري

١ يقال حزر الشيء يحزر كيضرب وينصر حزرأ ومحزرة : قدره بالحدس والتخمين

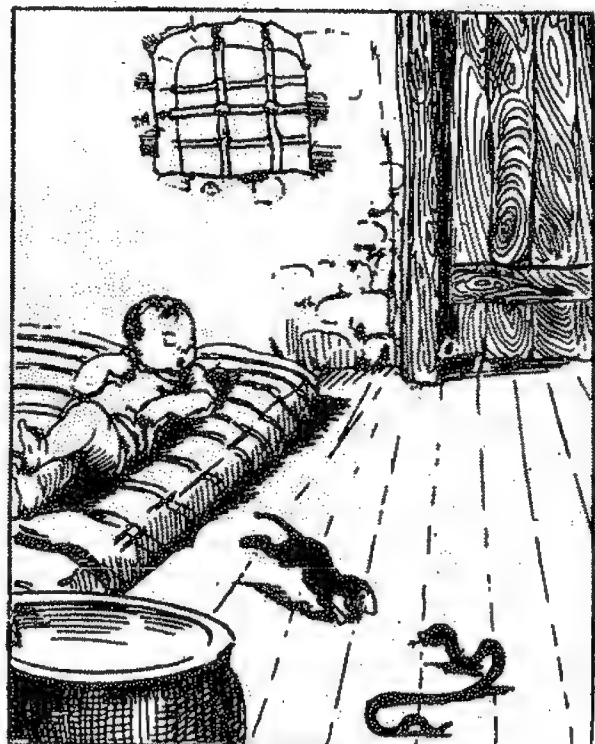
٢ أكار وهو العامل

إمَاء^١ وعبيداً ، وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن . ثم تأتي بـغلام سريّ نجيب . فأختار له أحسن الأسماء . فإذا ترعرع أدبته ، وأحسنّت تآديبه ، وأشدّد عليه في ذلك . فإن يقبل مني وإلا ضربت رأسه بهذه العكازة هكذا . وأشار بيده إلى الجرة فكسرها . فسأل ما كان فيها على وجهه .

وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره ، وما لا تدري : أيصحّ أم لا يصحّ ؟ فاعتظ الناسك بما حكّت زوجته . ثم إن المرأة ولدت غلاماً جميلاً ، ففرّح به أبوه . وبعد أيام حان لها أن تتطهر . فقالت المرأة للناسك : أقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والغلام . فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه . ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن^٢ عنده : كان قد رباه صغيراً ، فهو عنده عديل ولده . فتركه الناسك



ابن عرس متبهج بعد قتل الأسود



ابن عرس يهجم لمقاتلة الأسود

عند الصبي^٣ ، وأغلق عليهما البيت ، وذهب مع الرسول . فخرج من بعض

أجّار البيت حية سوداء . فدنت من الغلام ، فضربها ابن عرس ، ثم وثب عليها فقتلها . ثم قطعها وامتلاّفه من دمها . ثم جاء الناسك ، وفتح الباب . فالتقاء ابن عرس كاللبشر له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثاً بالدم - وهو مذعور - طار عقله ، وظنّ أنه قد خنق ولده ، ولم يتشبّت في أمره ، ولم يتروّ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظنّ من ذلك . ولكن ضرب ابن عرس ضربة بعكازة كانت في يده على أمّ رأسه فمات . ودخل الناسك ، فرأى الغلام سليماً حياً وعنده أسود مقطّع . فلما عرف القصة وتبيّن له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه ، وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ، ولم أغدّر هذا الغدر . ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال ،



الناسك يندم وزوجه تؤنبه



الناسك يقتل ابن عرس

فقلت له : ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له . فقلت : هذه ثمرة العجلة . فهذا مثل من لا يتشبّت في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة (انقضى باب الناسك وابن عرس)

باب الجرذ والسنور

قال دبشليم الملك لبیدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب ، فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاته بعض أعدائه ومصالحته ، فسلم من الخوف وأمن ، ثم وَفَى لمن صالحه منهم . قال الفيلسوف : إن المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة أبداً . وربما حلت المودة إلى العداوة ، وصارت العداوة ولاية وصدقة . ولهذا حوادث وعمل وتجارب . وذو الرأي يُحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديداً : أما من قَبَلَ العدوَّ فبالباس . وأما من قَبَلَ الصديق فبالاستئناس . ولا تمنع ذا العقل عداوة في نفسه لعدوه من مقاربتة والاستئناس به ، على دَفْعِ مَخَوْفٍ — أو جرٍّ مرغوب ، ومن عمل في ذلك بالحزم ظفر بحاجته . ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعاً من الورطة والشدة . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال بيدبا : زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومي . وكان قريباً منه جحر جرذ يقال له فريدون . وكان الصيادون كثيراً ما يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير . فنزل ذات يوم صياد . فنصب حباله قريباً من موضع رومي . فلم يلبث أن وقع فيها ، فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومي . فبينما هو يسعى إذ بصر به في الشراك ، فسُرَّ واستبشر . ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس

يريد أخذه ، وفي الشجرة يوماً يريد اختطافه . فتحير في أمره ، وخاف إن رجع وراءه أخذه ابن عرس ، وإن ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم ، وإن تقدم أمامه افترسه السنور . فقال في نفسه : هذا بلاء قد اكتنفتني^١ ، وشرور تظاهرت علي^٢ ، ومحن قد أحاطت بي

وبعد ذلك فمى عقلي . فلا يفزعني أمرى ، ولا يهولني شأني ، ولا يلحقني الدهش ، ولا يذهب قلبي شعاعا^٣ . فالعقل لا يفرق^٤ عند سداد رأيه ، ولا يعزب^٥ عنه ذهنه على حال . وإنما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذى الرأى مجهوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمى عليه أمره . ولست أرى لى من هذا البلاء مخلصا إلا مصالحة السنور ، فإنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه . ولعله إن سمع كلامى الذى أكلمه به ووعى عنى فصيح خطابى ، ومحض صدق الذى لا خلاف فيه ، ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي إياه نخلص جميعا

ثم إن الجرذ دنا من السنور ، فقال له : كيف حالك ؟ قال له السنور : كما تحب في ضنك وضيق . قال : وأنا اليوم شريكك في البلاء . ولست أرجو لنفسى خلاصا إلا بالذى أرجوك فيه الخلاص . وكلامى هذا ليس فيه كذب ولا خديعة . وابن عرس ها هو كامن لى ، والبوم يرصدنى ، وكلاهما لى ولك عدو . فإن جعلت لى الأمان قطعت حبالك وخلصتك من هذه الورطة . فإذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه : كالسفينة

١ أحاط بي ٢ تعاونت ٣ متفرقا ٤ لا يخاف ٥ لا يغيب

والركاب في البحر ، فبالسفينة ينجون ، وبهم تنجو السفينة . فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له : إن قولك هذا لشبيه بالحق . وأنا أيضاً راغب فيما أرجو لك ولنفسى به الخلاص . ثم إنك إن فعلت ذلك فسأشكر ما بقيت . قال الجرذ : فإني سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها إلا حبلاً واحداً أبقيه لأستوثق لنفسي منك . ثم أخذ في قرص حبائله . ثم إن البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا . ثم إن الجرذ أبطأ على رومي في قطع الحبائل . فقال له : مالى لا أراك مجدداً في قطع حبائلي ؟ ! فإن كنت قد ظفرت بحاجك فتغيرت عما كنت عليه ، وتوانيت في حاجتي ، فما ذلك من فعل الصالحين . فإن الكريم لا يتوانى في حق صاحبه . وقد كان لك في سابق مودتي من الفائدة والنفع ما قد رأيت . وأنت حقيق أن تكافئني بذلك ، ولا تذكر العداوة التي بيني وبينك . فالذى حدث بيني وبينك من الصلح حقيق أن ينسبك ذلك مع ما في الوفاء من الفضل والأجر ، وما في الغدر من سوء العاقبة . فإن الكريم لا يكون إلا شكوراً غير حقوق تنسيه الخلّة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد يقال : إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر ، ومن اذا تضرع إليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر . قال الجرذ : إن الصديق صديقان ، طائع ومضطر ، وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المصرة : فأما الطائع فيسترسل إليه ويؤمن في جميع الأحوال . وأما المضطر في بعض الأحوال يسترسل إليه ، وفي بعضها يتحذر منه . ولا يزال العاقل يرهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقى

ويخاف . وليس عاقبة التواصل من المتواصل إلا طلب عاجل النفع وبلوغ مأموله . وأنا واف لك بما جعلت لك ، ومحترس منك مع ذلك ، من حيث أخافك تخوفاً أن يُصيبني منك ما أُلجأتني خوفاً إلى مصالحتك ، وألجأتك إلى قبول ذلك مني . فإن لكل عمل حيناً . فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته . وأنا قاطع حبالك كلها ، غير أني تارك عُقدة واحدة أرتهنك بها . ولا أقطعها إلا في الساعة التي أعلم أنك فيها عني مشغول . وذلك عند معاينتي



السنور وقد وثب على الشجرة والجرذ يدخل جحراً



الجرذ أمام السنور والبوم وابن عرس

الصياد . ثم إن الجرذ أخذ في قطع حبال السنور . فبينما هو كذلك إذ وافى الصياد . فقال له السنور : الآن جاء الجِدُّ في قطع حبالني . فأجهد الجرذ نفسه في القرض . حتى إذا فرغ وثب السنور إلى الشجرة على دَهَش من الصياد . ودخل الجرذ بعض الأجحار . وجاء الصياد فأخذ حباله مقطعة . ثم انصرف خائباً

ثم إن الجرذ خرج بعد ذلك . وكرِه أن يدنو من السنور . فناداه

السنور: أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندي ، ما منعك من الدنو إلى ؟ لأجازيك بأحسن ما أسديت^١ إلى . هلم إلى ، ولا تقطع إخواني . فإنه من اتخذ صديقاً وقطع إخوانه وأضاع صداقته حُرِمَ ثمرة إخوانه ، وأيس من نفعه الإخوان والأصدقاء . وإن يدك^٢ عندي لا تنسى . وأنت حقيق أن تلتبس مكافأة ذلك مني ومن إخواني وأصدقائي . ولا تخافن مني شيئاً . واعلم أن ما قبلي لك مبدول . ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قل . فناده الجرد: رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة ، وهي أشد من العداوة الظاهرة ، ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المقتلم^٣ . ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن^٤ الفيل ، فيدوسه ويقتله . وإنما سمى الصديق صديقاً لما يرجى من نفعه ، وإنما سمى العدو عدواً لما يُخاف من ضرره . والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة . وإذا خاف ضرر الصديق أظهر له العداوة . ألا ترى تتبع البهائم أمهاتها^٥ رجاء ألبانها . فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها . وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله منه فلم يخف شره ، لأن أصل أمره لم يكن عداوة . فأما من كان أصل أمره عداوة جوهريّة ، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فإنه إذا زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته ، فتحوّلت عداوة ، وصار

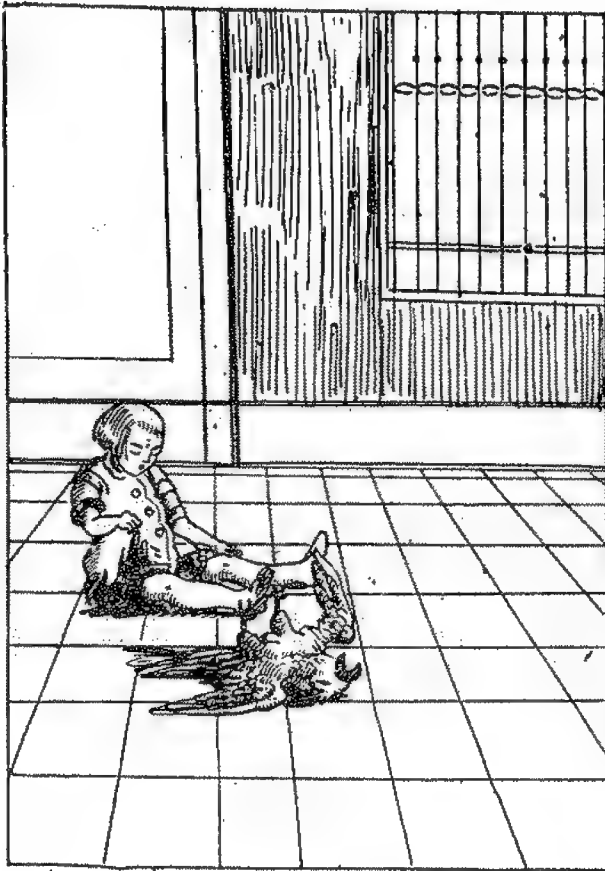
١ أحسنت ٢ نعمتك ٣ الهاجج ٤ جمع فرسن بكسرتين بينهما
سكون وهو بمنزلة الحف للبعير ، ونونه زائدة ٥ الام ويقال فيها أمة وأمه
وجمع الاولى والثانية : أمات وجمع الثالثة أمهات وقد فرق بعض اللغويين فقال (الامهات)
للعاقل والامات لغيره

إلى أصل أمره : كالماء الذي يسخن بالنار فإذا رُفِعَ عنها عاد باردًا . وليس
من أعدائي عدوّ أضرت لي منك . وقد اضطررتني وإياك حاجة إلى ما أحدثنا
من المصالحة . وقد ذهب الأمر الذي احتجت إلى واحتجت إليك فيه ،
وأخاف أن يكون مع ذهابه عود العداوة . ولا خير للضعيف في قرب العدو
القوى ، ولا للدليل في قرب العدو العزيز . ولا أعلم لك قبلي حاجة إلا أن
تكون تريد أكل . ولا أعلم لي قبلك حاجة ، وليس عندي بك ثقة فإني
قد علمت أن الضعيف المحترس من العدو القوى أقرب إلى السلامة من
القوى إذا اغترّ بالضعيف واسترسل^١ إليه . والعاقل يصلح عدوّه إذا اضطرّ
إليه ، ويصانعه ويظهر له ودّه ، ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد
من ذلك بُدًّا . ثم يجعل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلا . وأعلم
أن سريع الاسترسال لا تُقال عثرته . والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه
بما جعل له من نفسه ، ولا يثق به كل الثقة ، ولا يأمنه على نفسه مع القرب
منه . وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع . وأنا أودك من بعيد ، وأحب لك من
البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ، ولا^٢ عليك أن تجازيني على
صنيعي إلا بمثل ذلك إذ لا سبيل إلى اجتماعنا والسلام

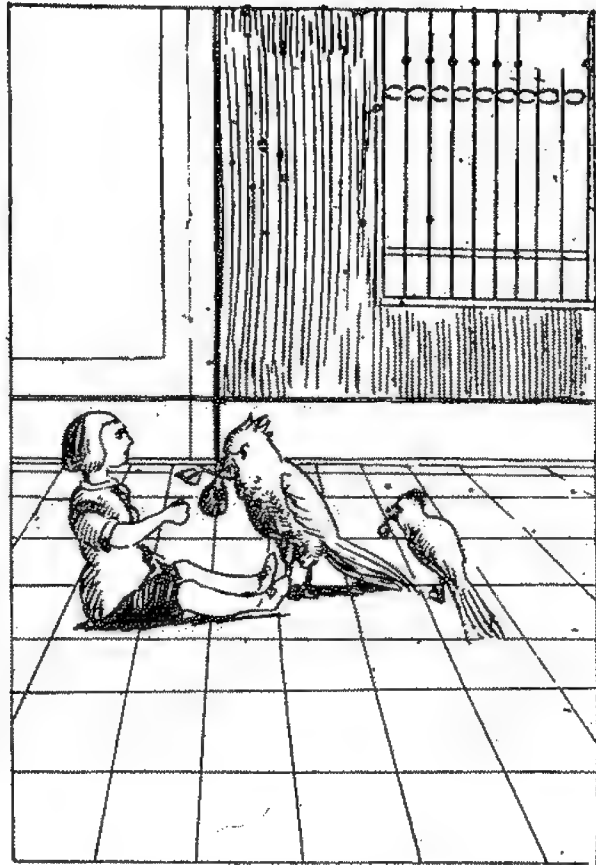
(انقضى باب الجرذ والسنور)

باب الملك^١ والطارئ فزة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لى
مثل أهل الترات^٢ الذين لا بدّ لبعضهم من اتقاء بعض . قال بيدبا : زعموا
أن ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون وكان له طائر يقال له : فزة^٣ .
وكان له فرخ . وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق . وكان الملك
بهما مُعجبا . فأمر بهما أن يُجعلا عند امرأته ، وأمرها بالمحافظة عليهما .
واتفق أن امرأة الملك ولدت غلاما . فألف الفرخ الغلام ، وكلاهما طفلان
يلعبان جميعا . وكان فزة يذهب إلى الجبل كل يوم فيأتي بها كبة لا تعرف .
فيُطعم ابن الملك شطرها . ويُطعم فرخه شطرها . فأسرع ذلك في نشأتهما ،



ابن الملك يغضب فيقتل ابن فزة



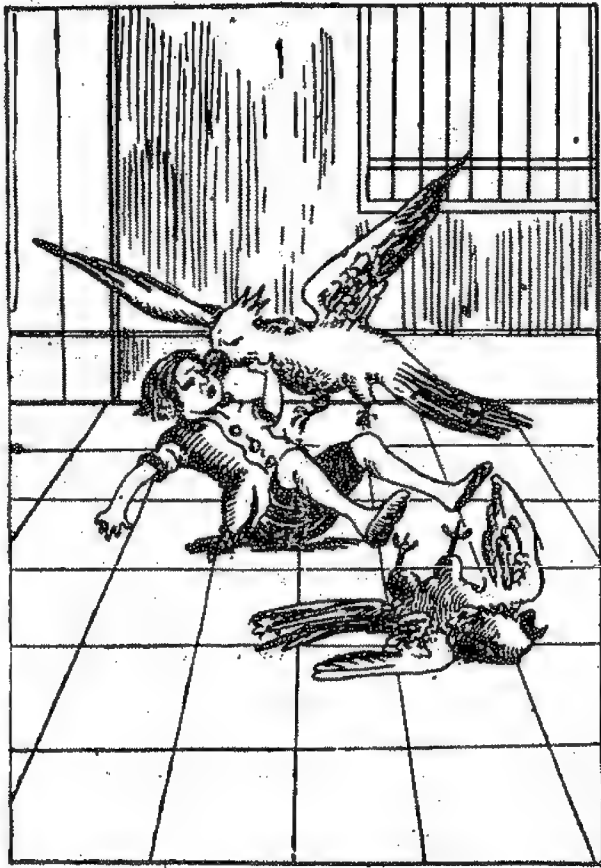
الطارئ فزة يطعم ابن الملك وفرخه

١ بعض النسخ قد جعل لهذا الباب عنواناً هو (باب ابن الملك . .) وبعض آخر
حذف لفظ « ابن » ولعله أصوب فإن معناه إنما هو يدور حوالى الملك (لا ابنه)
٢ الترات جمع ترة بالكسر وهى الثأر ٣ فزة : اسم علم

وزاد في شبابهما ، وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفظة إكراماً وتعظيماً ومحبة . حتى إذا كان يوم من الأيام وفترة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام ذرق في حجره ، فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الأرض فمات . ثم إن فترة أقبل فوجد فرخه مقتولا . فصاح وحزن ، وقال : قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ! . ويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حية لهم ولا حرمة^٢ ، ولا يحبون أحداً ، ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من غناء ، واحتاجوا إلى ما عنده من علم ، فيكرمونه لذلك . فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ، ولا إخاء ، ولا إحسان ، ولا غفران ذنب ، ولا معرفة حق ! . هم الذين أمرهم مبنى على الرياء والفجور ، وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ، ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم . ومنهم



الملك يريدون يستأمن فترة لينتقم



الطائر فترة يفتأ عين الغلام

هذا الكفور الذى لارحمة له ، الغادر بأليفه وأخيه . ثم وثب فى شدة حنقه على وجه الغلام ففققاً عينه وطار ، فوقع على شجرة . ثم إنه بلغ الملك ذلك فجزع أشدَّ الجزع . ثم طمع أن يحتال له . فوقف قريباً منه وناداه . وقال له : إنك آمن ، فانزل يا فتنة . فقال له — أيها الملك — إن الغادر مأخوذ بغدره ، وإنه إن أخطأه عاجل العقوبة لم يُخطئه الآجل^١ ، حتى إنه يدرك الأعقاب^٢ وأعقاب الأعقاب . وإن ابنك غدر بابنى فعجلت له العقوبة . قال الملك : لعمرى قد غدرنا بابنك فانتقممت منا فليس لك قبلكنا ولا لنا قبلك وتر^٣ مطلوب . فارجع إلينا آمناً . قال فتنة : لست براجع إليك أبداً . فإن ذوى رأى قد نهوا عن قرب الموتور^٤ . فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمه إياك إلا وحشة منه ، وسوء ظن به . فإنه لا تجدد للحقود الموتور أماناً هو أوثق لك من الذعر منه ، ولا أجود من البعد عنه . والاحتراس منه أولى . وقد كان يقال : إن العاقل يعدُّ أبويه أصدقاء ، والإخوة رفقاء ، والأزواج أئفاء ، والبنين ذكراً . والبنات خصماء ، والاقارب غرماً ، ويعدُّ نفسه فريداً ، وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت عندكم من الحزن عبثاً ثقيلاً لا يحمله معى أحد . وأنا ذاهب فعليك منى السلام

١ الآجل : خلاف العاجل ، وهو البعيد ٢ الاعقاب : جمع عقب بالفتح وهو الولد وقد يطلق على ولد الولد ٣ الوتر بالكسر . الثأر ٤ الموتور : الذى قتل له القاتل ولم يأخذ بثأره

قال له الملك : إنك لو تكون قد اجترأت بما صنعناه بك . أو كان
صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الأمر كما ذكرت . فأما إذ كنا
نحن بدأناك فما ذنبك ؟ وما الذي يمنعك من الثقة بنا ؟ هلم فارجع . فإنك
آمن . قال فترة : أعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواقع مكنة موجهة ،
فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب ، والقلب أعدل على القلب شهادة
من اللسان . وقد علمت أن قلبي لا يشهد لسانك ، ولا قلبك للساني . قال
الملك : ألم تعلم أن الضغائن والأحقاد تكون بين كثير من الناس ؟ فمن كان
ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته . قال فترة : إن ذلك
لكما ذكرت . ولكن ليس ينبغي لذي الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور
الحقود ناس ما وثر به ، ولا مصروف عنه فكره فيه . وذو الرأي يتخوف
المكر والخديعة والحيل ، ويعلم أن كثيراً من العدو لا يستطيع بالشدة
والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة ، كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن .
قال الملك : إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع
الحفاظ ، وإن هو خاف على نفسه ، حتى إن هذا الخلق يكون في أوضع
الدواب منزلة ، فقد علمت أن العتابين يلعبون بالكلاب ثم يذبونها
ويأكلونها . ويرى الكلب الذي قد ألفتهم ذلك فلا يدعوه إلى مفارقتهم ،
ولا يمنعهم من ألفتهم إياهم . قال فترة : إن الأحقاد مخوفة حينما كانت .
فأخوفها وأشدّها ما كان في أنفس الملوك ، فإن الملوك يدينون بالانتقام
ويرون الدرك والطلب بالوتر مكرمة وفخراً . وإن العاقل لا يفتر بسكون
الحقد إذا سكن . فإنما مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محرراً كما مثل الحجر

المكنون ما لم يجد حطبا ، فليس ينفك الحقد متطلعا إلى العال كما تبتغي
النار الحطب ، فإذا وجد علة استمر استمرار النار ، فلا يُطفئه حسن كلام ،
ولا لين ، ولا رفيق ، ولا خضوع ، ولا تضرع ، ولا مصانعة ، ولا شيء
دون تلف الأنفس . مع أنه ربّ واتر يطمع في مراجعة الموتور بما يرجو أن
يقدر عليه من النفع له والدفع عنه . ولكنّي أنا أضعف عن أن أقدر على شيء
يذهب به ما في نفسك . ولو كانت نفسك منطوية لي على ما تقول ما كان
ذلك عني مُغنيا ، ولا أزال في خوف ووحشة وسوء ظنّ ما اصطحبنا .

فليس الرأي بيني وبينك إلا الفراق ، وأنا أقرأ عليك السلام
قال الملك : لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضررا ولا نفعا ، وأنه
لا شيء من الأشياء صغيرا ولا كبيرا يُصيب أحدا إلا بقضاء وقدر معلوم :
وكما أن خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلائق منه
شيء : كذلك فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك . وليس لك في الذي صنعت
بأبني ذنب ، ولا لأبني فيما صنع بأبنيك ذنب ، إنما كان ذلك كله قدرا
مقدورا . وكلانا له علة فلا نؤاخذ بما أتانا به القدر . قال فترة : إن القدر
لكما ذكرت ، لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقّي المخاوف والاحتباس من
المكاره ، ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذًا بالحزم والقوة . وأنا أعلم أنك
تكلمني بغير ما في نفسك . والأمر بيني وبينك غير صغير ، لأن ابنك قتل
أبني ، وأنا فقأت عين ابنك ، وأنت تريد أن تشتفي بقتلي وتختلني عن
نفسي . والنفس تأبى الموت . وقد كان يقال : الفاقة بلاء ، والحزن بلاء ،

وقرب العدو بلاء ، وفراق الأحبة بلاء ، والسقم بلاء والهرم بلاء ، ورأس
البلايا كلها الموت . وليس أحد بأعلم بما في نفس الموجه الحزين ممن ذاق
مثل ما به . فأنا بما نفسى عالم بما في نفسك للمثل الذى عندى من ذلك .
ولا خير فى صحبتك فإنك لم تتذكر صنيعى بابنك ، ولن أتذكر صنيع ابنك
بابنى إلا أحدث ذلك لقلوبنا تغييرا

قال الملك : لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما فى نفسه وينساه
ويهمله حتى لا يذكر منه شيئا ، ولا يكون له فى نفسه موقع . قال قنزة : إن
الرجل الذى فى باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشى فلا بد أن
تُشكأ^١ قرحته ، والرجل الأرمد العين إذا استقبل بها الريح تعرض لأن
تزداد رمدا . وكذلك الوتر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك .
ولا ينبغي لصاحب الدنيا إلا توقى المهالك والمتالف ، وتقدير الأمور ، وقلة
الاعتماد على الحول والقوة ، وقلة الاغترار بمن لا يأمن . فإنه من اتكل على
قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق الخوف فقد سعى فى حتف نفسه .
ومن لا يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه فرما غص بها فمات . ومن
اغترى بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه .
وليس لأحد النظر فى القدر الذى لا يدري ما يأتیه منه ، ولا ما يصرف
عنه . ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك .
والعاقل لا يثق بأحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا .

١ يقال شكأ القرحة من باب قطع : قشرها قبل أن تبرأ فندبت

وأنا كثير المذاهب . وأرجو ألا أذهب وجهاً إلا أصبت فيه ما يُغنيني .
 فإن خلا لا خمساً من تزودهن كفينه في كل وجه ، وأنسنه في كل غربة ،
 وقرّبن له البعيد ، وأكسبنه المعاش والإخوان : أولاهن كفت الأذى ،
 والثانية حسن الأدب ، والثالثة مجانبة الرّيب ، والرابعة كرم الخلق ،
 والخامسة النبيل^١ في العمل . وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئاً طابت
 نفسه عن المال والأهل والولد والوطن ، فإنه يرجو الخلف من ذلك كله ،
 ولا يرجو عن النفس خافاً . وشرّ المال ما لا إنفاق منه ، وشرّ الأزواج التي
 لا تواتي بعلمها^٢ . وشرّ الولد العاصي العاق لوالديه ، وشرّ الإخوان الخاذل
 لأخيه عند النكبات والشدائد ، وشرّ المملوك الذي يخافه البريء ، ولا
 يواظب على حفظ أهل مملكته ، وشرّ البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن .
 وإنه لا أمن لي عندك — أيها الملك ولا طمأنينة لي في جوارك . ثم ودّع
 الملك وطار . فهذا مثل ذوى الأوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض
 (انقضى باب ابن الملك والطار)



باب الأسد وابن آوى

قال ديبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثل الملك الذى يُراجع من أصابته منه عقوبة من غير جُرم ، أو جَفْوَة من غير ذنب . قال الفيلسوف : إن الملك لو لم يراجع من أصابته منه جَفْوَة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأُضرَّ ذلك بالأمور . ولكن الملك حقيق أن ينظرُ فى حال من ابتلى بذلك ، ويخبر ما عنده من المنافع . فإن كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته ، فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته فإن الملك لا يستطيع ضبطه إلا مع ذوى الرأى . وهم الوزراء والأعوان . ولا يُنتفع بالوزراء والأعوان إلا بالمودَّة والنصيحة . ولا مودَّة ولا نصيحة إلا لذوى الرأى والعفاف . وأعمال السلطان كثيرة ، والذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون ، ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل . والمثل فى ذلك مثل الأسد وابن آوى . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال الفيلسوف : زعموا أن ابن آوى كان يسكن فى بعض الدُّحال وكان متزهِّداً متعفِّفاً مع بنات آوى وذئاب وثعالب . ولم يكن يصنع ما يصنعن ، ولا يُغير كما يُغرن ، ولا يُهرِّيق دما ، ولا يأكل لحما . فخاصته تلك السباع ، وقلن : لا نرضى بسيرتك ، ولا رأيك الذى أنت عليه من تزهِّدك ! مع أن تزهِّدك لا يغنى عنك شيئاً . وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحدنا تسعى معنا

١ الدحال بالكسر : جمع دحل بالفتح ويضم وهو نقب ضيق فيه ، تتسع أسفله حتى يستطيع أن يمشى فيه

وتفعل فعلنا . فما الذي كفك عن الدماء ؟ وعن أكل اللحم ؟ قال ابن آوى :
 إن صحبتي إيا كن لا تؤمنني إذا لم أوثم نفسي ، لأن الآثام ليست من قبل
 الأماكن والأصحاب ، ولكنها من قبل القلوب والأعمال : ولو كان
 صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحاً ، وصاحب المكان السيء يكون
 عمله فيه سيئاً كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه^١ لم يأنم . ومن
 استحياه^٢ في معركة القتال أثم . وإني إنما صحبتك بنفسى ، ولم أصحبك
 بقلبي وأعمالي ، لأنى أعرف ثمره الأعمال ، فلزمت حالى . وثبت ابن آوى



ابن آوى الزاهد في صحبة الملك



ابن آوى الزاهد المتعفف

على حاله تلك . واشتهر بالنسك والزهد حتى بلغ ذلك أسداً كان ملك تلك
 الناحية . فرغب فيه لما باغى عنه من العفاف والنزاهة والزهد والأمانة .

١ المحراب : من معانيه أشرف أماكن البيت ، وأريد به هنا موضع تعبدته

٢ أبقاه حياً

فأرسل إليه يستدعيه . فلما حضر كلمه وأنسه . فوجده في جميع الأمور وفق
 غرضه ، ثم دعاه بعد أيام إلى صحبتته . وقل له : تعلم أن عمالي كثير وأعواني
 جم غفير ، وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج . وقد بلغني عنك عفاف وأدب
 وعقل ودين ، فازددت فيك رغبة ، وأنا موليك من عملي جسيما ، ورافعا
 إلى منزلة شريفة ، وجاعلك من خاصتي . قال ابن آوى : إن الملوك أحقاء
 باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم ، وهم أحرى ألا يكرهوا
 على ذلك أحداً . فإن المكره لا يستطيع المبالغة في العمل . وإني لعمل
 السلطان كاره ، وليس لي به تجربة ، ولا بالسلطان رفيق . وأنت ملك السباع ،
 وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير ، فيهم أهل نبل وقوة ، ولهم على
 العمل حرص ، وعندهم به وبالسلطان رفيق ، فإن استعملتهم أغنوا عنك ،
 واغتبطوا لأنفسهم بما أصابهم من ذلك . قال الأسد : دع عنك هذا ،
 فإني غير معفيك من العمل . قال ابن آوى : إنما يستطيع خدمة السلطان
 رجلان ، لست بواحد منهما : إما فاجر مصانع^١ ينال حاجته بفجوره ، ويسلم
 بمصانعته ، وإما مغفل لا يحسده أحد ! فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق
 والعفاف فلا يخلط ذلك بمصانعته . وحينئذ قل أن يسلم على ذلك ، لأنه
 يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد : أما الصديق فينافسه
 في منزلته ، ويبغى عليه فيها ، ويعاديها لأجلها . وأما عدو السلطان
 فيضطأ^٢ عليه لنصيحته لسلطانه وإغناؤه عنه . فإذا اجتمع عليه هذان

الصنفان فقد تعرض للهلاك . قال الأسد : لا يكونن بغى أصحابي عليك وحسد هم إياك مما يعرض في نفسك ، فأنت معي وأنا أ كفيك ذلك وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همّك . قل ابن آوى : إن كان الملك يريد الإحسان إلىّ فليدعني في هذه البرية أعيش آمناً قليل اللهم راضياً يعيش من الماء والعشب ، فإنني قد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول عمره ، وأن قليلاً من العيش في أمن وطأ نينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب . قال الأسد : قد سمعت مقالتك ، فلا تخف شيئاً مما أراك تخاف منه ، ولست أجده بداً من الاستعانة بك في أمري . قل ابن آوى : أما إذا أباي الملك إلا ذلك فليجعل لي عهداً : إن بغى عليّ أحد من أصحابه عنده ممن هو فوق مخافة على منزلته ، أو ممن هو دوني لينازعني في منزلي — فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك عليّ — ألا يعجل في أمري ، وأن يتثبت فيما يرفع إليه ويذكر عنده من ذلك ، ويفحص عنه ، ثم ليصنع ما بدا له . فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسى فيما يحب وعملت له فيما أولانى بنصيحة واجتهاد ، وحرصت على ألا أجعل له على نفسى سبيلاً . قال الأسد : لك ذلك علىّ وزيادة . ثم ولّاه خزائنه واختص به دون أصحابه وزاد في كرامته .

فلما رأى أصحاب الأسد ذلك غاظهم وساء لهم . فاجتمعوا كيدهم ، واتفقوا كلهم على أن يحملوا عليه الأسد . وكان الأسد قد استطاب لحماً ففرل منه

مقداراً ، وأمره بالاحتفاظ به ، وأن يرفعه في أحصن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه . فأخذوه من موضعه ، وحملوه إلى بيت ابن آوى نخباًوه فيه ، ولا علم له به . ثم حضروا يكذبونه إن جرت في ذلك حال . فلما كان من الغد ودعا الأسد بفدائه فقد ذلك اللحم ، فالتسه ولم يجده . وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة . فحضر الذين عملوا المكيدة ، وقعدوا في المجلس . ثم إن الملك سأل عن اللحم وشدّد فيه وفي المسألة عنه . فنظر بعضهم إلى بعض ! فقال أحدهم قول الخبر الناصح : إنه لا بدّ لنا من أن نخبر الملك بما يضرّه وينفعه — وإن شقّ ذلك على من يشق عليه — وإنه بلغنى أن ابن آوى هو الذى ذهب باللحم إلى منزله . قال الآخر : لا أراه يفعل هذا ! ولكن انظروا وافحصوا ، فإن معرفة الخلائق شديدة . فقال الآخر : لعمري ما تكاد السرائر تعرف ، وأظنكم إن فحصتم عن هذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى . وكل شيء يذكر من عيوبه وخياناته نحن أحق أن نصدقه . قال الآخر : اتن وجدنا هذا حقاً فليست بالخيانة فقط ، ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك . قال الآخر : أنتم أهل العدل والفضل ، لا أستطيع أن أكذبكم ، ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك إلى بيته من يقتشه . قال آخر : إن كان الملك مفتشاً منزله فليعجل ، فإن عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان . ولم يزالوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع في نفس الأسد ذلك . فأمر بابن آوى فحضر . فقال له : أين اللحم الذى أمرتك بالاحتفاظ به ؟ قال : دفعته إلى صاحب

الطعام ليقرب به إلى الملك . فدعا الأسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبيع مع القوم على ابن آوى . فقال : مادفع إلى شيئا . فأرسل الأسد أميناً إلى بيت ابن آوى ليقتشه فوجد فيه ذلك اللحم ، فأتى به الأسد . فدنا من الأسد ذئب لم يكن تكلم في شيء من ذلك ، وكان يظهر أنه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق . فقال : بعد أن اطّلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه ، فإنه إن عفا عنه لم يطّلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب . فأمر الأسد بابن آوى أن يخرج ويحتفظ به . فقال بعض جلساء الملك : إني لأعجب من رأى الملك ومعرفة بالأمور . كيف يخفى عليه أمر هذا ؟ ولم يعرف خبته ومخادعته ؟! وأعجب من



ابن آوى الزاهد يتهم باخفائه اللحم في منزله الأسد يأمر بابن آوى الزاهد أن يقتل

هذه أنى أراه سيصفح عنه بعد الذى ظهر منه . فأرسل الأسد بعضهم رسولا إلى ابن آوى يلتمس منه العذر ، فرجع إليه الرسول برسالة كاذبة

اختلقها . فغضب الأسد من ذلك وأمر ابن آوى أن يقتل . فعلت أم
الأسد أنه قد عجل في أمره ، فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخروه .
ودخلت على ابنها ، فقالت : يا بُنَيَّ بائٍ ذنب أمرت بقتل ابن آوى ؟
فأخبرها بالأمر . فقالت : يا بُنَيَّ ^١ عجلت ! وإنما يسلم العاقل من الندامة
بترك العجلة والتثبت ، والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب
ضعف الرأي ، وليس أحد أحوج إلى التؤدة والتثبت من الملوك : فإن
المرأة بزوجها ، والولد بوالديه ، والمتعلم بالمعلم ، والجند بالقائد ، والناسك بالدين
والعامة بالملوك ، والملوك بالتقوى ، والتقوى بالعقل ، والعقل بالتثبت والأناة ،
ورأس الكل الحزم ، ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزالهم منازلهم
على طبقاتهم ، واتهامه بعضهم على بعض ، فإنه لو وجد بعضهم إلى هلاك
بعض سبيلا لفعل ، وقد جرّبت ابن آوى وبلّوت رأيه وأمانته ومروءته .
ثم لم تزل مادحاً له راضياً عنه ، وليس ينبغي للملك أن يستخونه بعد ارتضائه
إياه وائتمانه له ، ومنذ مجيئه إلى الآن لم يطلع على خيانة إلا على العفة
والنصيحة ، وما كان من رأى الملك أن يعجل عليه لأجل طابق لحم ^٢ .
وأنت — أيها الملك — حقيق أن تنظر في حال ابن آوى لتعلم أنه لم يكن
ليعرض للحم استودعته إياه . ولعل الملك إن فحص عن ذلك ظهر له أن

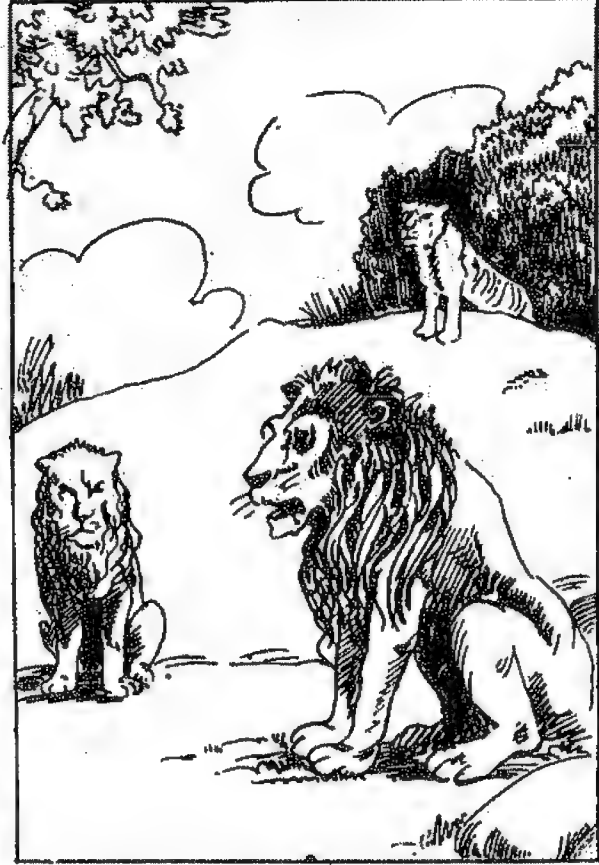
١ بني منادى وأصله مصفر ابن فتصغيره « بنو » لان « ابن » أصله بنو .
فاجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت أحدها بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء
ثم أضيف « بني » إلى ياء المتكلم ولكنها (أي ياء المتكلم) قلبت ألفاً للتخفيف ثم
حذفت كذلك ، ومن أجل ذلك بقيت الفتحة على الياء دليلاً عليها

٢ قطعة منه ويقال أيضاً لنصف الشاة

ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الأمر ، وهم الذين ذهبوا باللحم إلى بيته ، فوضموه فيه . فإن الحِدَاة إذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطير ، والكلب إذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب . وابن آوى — منذ كان إلى اليوم — نافع . وكان محتملا لكل ضرر في جنب منفعة تصل إليك ، ولكل عناء يكون لك فيه راحة ، ولم يكن يطوى دونك سرًا .

فبينما أم الأسد تقصّ عليه هذه المقالة إذ دخل على الأسد بعض ثقاته ، فأخبره ببراءة ابن آوى . فقالت أم الأسد ، بعد أن اطعم الملك على براءة ابن آوى : إن الملك حقيق ألا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرأوا على ما هو أعظم من ذلك ، بل يعاقبهم عليه لكيلا يعودوا إلى مثله . فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور للحسنى الجريء على الغدر ، الزاهد في الخير ، الذى لا يوقن بالآخرة . وينبغي أن يجزى بعمله . وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة . ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير . والأولى لك أن تراجع ابن آوى وتعطف عليه . ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك إليه من الإساءة ، فإن من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال : وهو من عُرف بالصلاح والكرم ، وحسن العهد ، والشكر والوفاء ، والمحبة للناس ، والسلامة من الحسد ، والبعد من الأذى ، والاحتمال للإخوان والأصحاب ، وإن ثقلت عليه منهم المؤنة . وأما من ينبغي تركه فهو من عُرف بالشراسة ولؤم العهد ، وقلة الشكر والوفاء ، والبعد من الرحمة والورع ، واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها . وقد عرفت ابن

آوى وجرّبه ، وأنت حقيق بمواصلته
فدعا الأسد بابن آوى واعتذر إليه مما كان منه ، ووعدّه خيراً ، وقل :



الأسد يرد ابن آوى الزاهد الى صحبته وكرامته

أم الأسد تقص عليه خبر السعاية

إني معتذر إليك وراذك إلى منزلتك . فقال ابن آوى : إن شر الأخلاء من
التمس منفعة نفسه بضر أخيه ، ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه ، أو
كان يريد أن يرضيه بغير الحق لأجل اتباع هواه . وكثيراً ما يقع ذلك
بين الأخلاء ، وقد كان من الملك إلى ما علم فلا يفلُظن على نفسه ما أخبره
به أنى به غير واثق ، وأنه لا ينبغي لي أن أصحبه . فإن الملوك لا ينبغي أن
يصحبوا من عاقبوه أشد العقاب ، ولا ينبغي لهم أن يرفضوه أصلاً ، فإن ذا
السلطان إذا عزل كان مستحقاً للكرامة في حالة إبعاده والإقضاء له . فلم

يلتفت الأسد إلى كلامه . ثم قال له : إني قد بلّوت طباعك وأخلاقك ،
وجربت أماناتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من تمحلّ الحيل لتحميلي
عليك ، وإني منزلك من نفسى منزلة الأخيار الكرماء . والكريم تنسيه
الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد عدنا إلى
الثقة بك فعد إلى الثقة بنا ، فإن لنا ولك بذلك غبطة وسروراً . فعاد
ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي وضاعف له الملك الكرامة ، ولم تزده الأيام
إلا تقرباً من السلطان (انقضى باب الأسد وابن آوى)

باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت

قال دبشليم الملك لبيدا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي
مثلا في الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت
سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه^١ : أبالحم ؟ أم بالمروءة ؟ أم بالشجاعة ؟
أم بالجود ؟ . قال بيدبا : إن أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم ، وبه
تثبت السلطنة . والحلم رأس الأمور وملاكها ، وأجود ما كان في الملوك ،
كالذى زعموا من أنه كان ملك يدعى بلاذ ، وكان له وزير يدعى إيلاذ ،
وكان متعبداً ناسكاً . فنام الملك ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام
أفرغته ، فاستيقظ مرعوباً . فدعا البراهمة : وهم النساءك ليعبروا رؤياه . فلما

١ . ملاك الشيء بالكسر ويفتح : ما يقوم به

حضروا بين يديه قصّ عليهم ما رأى . فقالوا بأجمعهم : لقد رأى الملك



الملك بلاذيقص على البراهمة رؤياه

عجبا . فإن أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله . قال الملك : قد أمهلتم . فخرجوا من عنده ، ثم اجتمعوا في منزل أحدهم ، واثمروا بينهم ، وقالوا : قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثأركم ، وتنتقمون به من عدوكم . وقد علمتم أنه قتل منا بالأمس اثني عشر ألفا . وها هو قد أطلعنا على سره ، وسألنا تفسير رؤياه . فها هو نغلاظ له القول ، ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد ونأمر . فنقول : ادفع إلينا أحبائك ومن يكرّم عليك حتى تقتلهم ، فإننا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر إلا بقتل من نسمي لك . فإن قال الملك : ومن تريدون أن تقتلوا ؟ سموهم لي . قلنا : نريد المليكة إيراخت أمّ جوير

المحمودة ، أكرم نسائك ، ونريد جویر أحبّ بنیک إلیک ، وأفضلهم عندک . ونريد ابن أخیک الکریم ، وإیلاد خلیاک ، وصاحب أمرک ونريد (کآلا) الکاتب صاحب سرک ، وسيفک الذی لا یوجد مثله ، والفیل الأبیض الذی لا تلحقه الخیل ، والفرس الذی هو مرکبک فی القتال ، ونريد الفیلین الآخرین العظیمین اللذین یكونان مع الفیل الذکر ، ونريد البُختی^١ السریع القوی ، ونريد کباریون الحکیم الفاضل العالم بالأُمور لنتقم منه بما فعل بنا . ثم نقول : إنما ینبغی لک — أيها المَلک — أن تقتل هؤلاء الذین سمّیناهم لک ، ثم تجعل دماءهم فی حوض تملأه ثم تقعد فیهِ . فإذا خرجت من الحوض اجتمعنا — نحن معاشرَ البراهمة — من الآفاق الأربعة نجول حولک ، فنزقیک ونتفلّ علیک ، ونمسح عنک الدم ، ونغسلک بالماء والذهن الطیب . ثم تقوم إلی منزلک البهی ، فیدفع الله بذلک البلاء الذی تتخوّفه علیک . فإن صبرت — أيها المَلک — وطابت نفسک عن أحبّائک الذین ذکرنا لک ، وجعلتهم فداءک تخلصت من البلاء ، واستقام لک مُلکک وسلطانک ، واستخلفت من بعدهم من أحببت . وإن أنت لم تفعل تخوّفنا علیک أن یغصب ملکک أو تهلك . فإن هو أطاعنا فیما نأمره قتلناه أیّ قتلة شئنا .

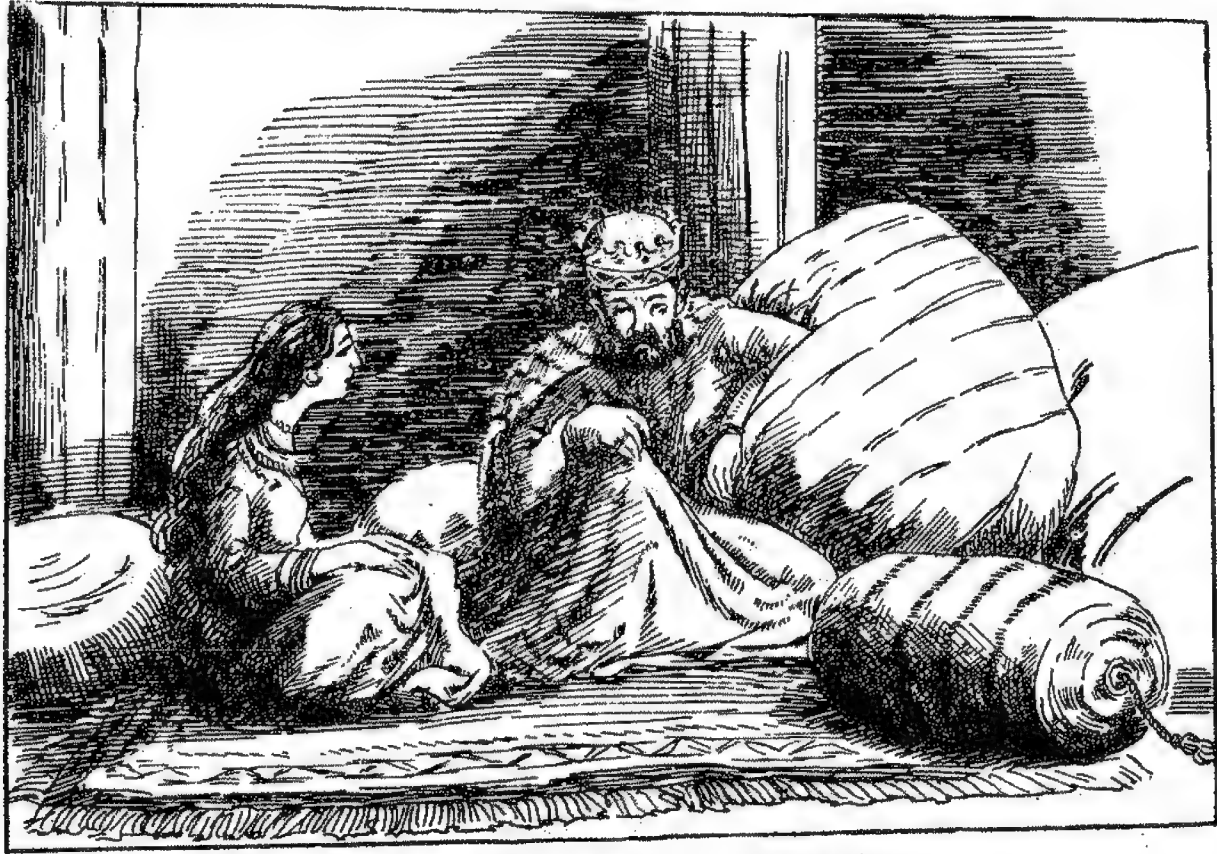
فلما أجمعوا أمرهم علی ما ائتمروا به رجعوا إلیه فی الیوم السابع ، وقالوا له : أيها المَلک ، إنا نظرنا فی کتبنا فی تفسیر ما رأیت ، وفحصنا عن الرأی

١ البختی : واحد البختی ، وكذلك البخت بالضم وهي الابل الخراسانية

فيما بيننا . فلتكن لك — أيها الملك الطاهر الصالح — الكرامة ، ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا إلا أن نخلو بنا . فأخرج الملك من كان عنده ، وخلصهم . فحدثوا بالذي ائتمروا به . فقال لهم : الموت خير لي من الحياة إن أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسي ، وأنا ميت لا محالة ، والحياة قصيرة ، ولست كل الدهر ملكا ، وإن الموت عندي وفراق الأحباء سواء . قال له البرهميون : إن أنت لم تغضب أخبرناك ، فأذن لهم . فقالوا : أيها الملك ، إنك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك ، فاحتفظ بنفسك وملكك ، واعمل هذا الذي لك فيه الرجاء العظيم على ثقة ويقين ، وقر عيننا بملكك في وجوه أهل مملكته الذين شرفت وكرمت بهم ، ولا تدع الأمر العظيم وتأخذ بالضعيف . فلك نفسك إيثارا لمن تحب . واعلم — أيها الملك — أن الإنسان إنما يحب الحياة محبة لنفسه ، وأنه لا يحب من أحب من الأحاب إلا ليتمتع بهم في حياته ، وإنما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك ، وإنك لم تنل ملكك إلا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين ، وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك !! فاستمع كلامنا . فانظر لنفسك منها ، ودع ما سواها فإنه لا خطر له . فلما رأى الملك أن البرهميين قد أغلظوا له في القول واجترأوا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه . وقام من بين ظهرانيهم ، ودخل إلى حجرته ، فخر على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب السمكة إذا خرجت من الماء ! وجعل يقول في نفسه ما أدرى : أي الأمرين أعظم في نفسي ؟ أملك أم قتل أحبائي ؟ ولن أنال الفرح ما عشت ، وليس ملكي بباق على الأبد ، ولست بالمصيب سوى في ملكي ، وإني

لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت . وكيف أقدر على القيام بملكي إذا هلك
وزيري إيلاذ؟ وكيف أضبط أُمري إذا هلك فيلي الأبيض وفرسي الجواد؟ !
وكيف أدعى ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله؟ وما أصنع بالدنيا
بعدهم؟ ثم إن الحديث فشا في الأرض بحزن الملك وهمه . فلما رأى إيلاذ
ما نال الملك من الهم والحزن فكر بحكمة ونظر ، وقال : ما ينبغي لي أن
أستقبل الملك فأسأله عن هذا الأمر الذي قد ناله من غير أن يدعوني . ثم
انطلق إلى إيراخت ، فقال : إني منذ خدمت الملك إلى الآن لم يعمل عملا
إلا بمشورتى ورأى ، وأراه يكتم عني أمرا لا أعلم ما هو ، ولا أراه يظهر
منه شيئا ، وإني رأيته خالياً مع جماعة البرهيمين منذ ليال ، وقد احتجب
عنا فيها . وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شيء من أسرارهم ، فليست
آمنهم أن يُشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه سوء ، فقومي وادخلي
عليه فأسأله عن أمره وشأنه ، وأخبريني بما هو عليه وأعلميني ، فإنني لست
أقدر على الدخول عليه . فلعل البرهيمين قد زينوا له أمرا ، وحملوه على
خطة قبيحة . وقد علمت أن من خلق الملك أنه إذا غضب لا يسأل أحداً ،
وسواء عنده صغير الأمور وكبيرها . فقالت إيراخت : إنه كان بيني وبين
الملك بعض العتاب ، فليست بداخلة عليه في هذه الحال . فقال لها إيلاذ :
لا تحملي عليه الحق في مثل هذا ، ولا يخطرُن ذلك على بالك ، فليس يقدر
على الدخول عليه أحد سواك . وقد سمعته كثيراً يقول : ما اشتد غمّي
ودخلت على إيراخت إلا سرّى ذلك عني . فقومي إليه واصفحي عنه ،

وكلمه بما تعلمين أنه تطيب به نفسه ، ويذهب الذي يحزنه ، وأعلميني بما يكون جوابه . فإنه لنا ولأهل المملكة أعظم الراحة . فانطلقت إيراخت ، فدخلت على الملك ، فجلست عند رأسه ، فقالت : ما الذي بك ؟ أيها الملك المحمود ، وما الذي سمعت من البراهمة ؟ فأنى أراك محزوناً . فأعلمني



الملكة إيراخت تريد أن تعلم ما بالملك

ما بك . فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونؤاسيك بأنفسنا . فقال الملك : أيتها السيدة : لا تسأليني عن أمرى ، فتزيديني غماً وحزناً ، فإنه أمر لا ينبغي أن تسأليني عنه . قالت : أوقد نُزِلْتُ عندك منزلة من يستحق هذا ؟ إنما أحمد الناس عقلاً من إذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشدّ ضبطاً ، وأكثرهم استماعاً من أهل النصيح ، حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة . فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة . ولا تُدخلن عليك شيئاً من الهم والحزن ، فإنهما لا يردان شيئاً مقضياً ، إلا أنهما يُحلان الجسم ، ويشفيان

العدو . قال لها الملك : لا تسأليني عن شيء ، فقد شققت عليّ^١ . والذي تسأليني عنه لا خير فيه ، لأن عاقبته هلاكى وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسى : وذلك أن البراهمة زعموا : أنه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتى . ولا خير في العيش بعدكم . وهل أحد يسمع بهذا إلا اعتراه الحزن ؟

فلما سمعت ذلك إيراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر الملك جزعا . فقالت : أيها الملك لا تجزع . فنحن لك الفداء . ولك فى سواى ومثلى من الجوارى ما تقرّ به عينك ، ولكنى أطلب منك — أيها الملك — حاجة يحملنى على طلبها حى لك ، وإيثارى إياك ، وهى نصيحتى لك . قال الملك : وما هى ؟ قالت : أطلب منك ألا تثق بعدها بأحد من البراهمة ولا تشاورهم فى أمر حتى تثبت فى أمرك ، ثم تشاور فيه رقاتك مرارا ، فإن القتل أمر عظيم ، ولست تقدر على أن تحيى من قتلت . وقد قيل فى الحديث . إذا لقيت جوهرًا لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه . وأنت — أيها الملك — لا تعرف أعداءك . واعلم أن البراهمة لا يحبونك . وقد قتلت منهم بالأمس اثنى عشر ألفًا ، ولا تظن أن هؤلاء ليسوا من أولئك . ولعمري ما كنت جديرًا أن تخبرهم برؤياك ، ولا أن تطلعهم عليها . وإنما قالوا لك ما قالوا لأجل الحقد الذى بينك وبينهم ، لعلمهم يهلكونك ويهلكون أحبائك ووزيرك ، فيبلغوا قصدهم منك . فأظنك لو قبلت منهم فقتلت من أشاروا

١ يقال : شق على فلان : أوقعه فى المشقة

بقتله ظفروا بك وغلبوك على مملكك ، فيعود الملك إليهم كما كان . فانطلق إلى كباريون الحكيم فهو عالم فطن ، فأخبره عما رأيت في رؤياك ، واسأله عن وجهها وتأويلها

فلما سمع الملك ذلك سرى عنه ما كان يجده من الغم ، فأمر بفرسه فأخرج ، فركبه ، ثم انطلق إلى كباريون الحكيم . فلما انتهى إليه نزل عن فرسه ، وسجد له ، وقام مطأطئاً الرأس بين يديه . فقال له الحكيم : ما بالاك ؟



الملك بلاذنام كباريون الحكيم

أيها الملك ، ومالي أراك متغير اللون ؟ فقال له الملك : إني رأيت في المنام ثمانية أحلام ، فقصصتها على البراهمة ، وأنا خائف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى أن يغضب مني ملكي ، أو أن أغلب عليه . فقال له الحكيم : إن شئت فاقصص رؤياك علي . فلما قص عليه الملك رؤياه قال : لا يحزنك — أيها الملك — هذا الأمر ، ولا تخف منه :

أما السمكتان الحمران اللتان رأيتهما قائمتين على أذناهما ، فإنه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلمة فيها عقدان من الدر والياقوت الأحمر : قيمتهما أربعة آلاف رطل من ذهب . فيقوم بين يديك . وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك ، فإنه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الأرض مثلهما ، فيقومان بين يديك . وأما الحية التي رأيتهما تدب على رجلك اليسرى ، فإنه يأتيك من ملك صنعين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله . وأما الدم الذي رأيت كأنه خضب به جسدك ، فإنه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة أرجوان يضيء في الظلمة . وأما ما رأيت من غسلك جسمك بالماء ، فإنه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك . وأما ما رأيت من أنك على جبل أبيض ، فإنه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل . وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار ، فإنه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك بإكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت . وأما الطير الذي رأيت ضربه رأسك بمنقاره ، فلست مفسراً ذلك اليوم ، وليس بضارك فلا توجلن منه ، ولكن فيه بعض السخط والإعراض عن تحبه . فهذا تفسير رؤياك — أيها الملك — وأما هذه البرد ، فإنهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعاً فيقومون بين يديك . فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله

فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل ، فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للأشراف ، وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم .

فلما رأى الملك ذلك اشتدَّ عَجَبُهُ وفرحه من علم كباريُون ، وقال : ما وُقِّتَ حين قصصت رؤياي على البراهمة ، فامروني بما أمروني به . ولولا أن الله تعالى تداركني برحمته لكنت قد هلكت وأهلك . وكذلك لا ينبغي لكل أحد أن يسمع إلا من الأخلاء ذوى العقول . وإن إيراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به النجاح . فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت . ثم قال لإيلاذ : خذ الإكليل والثياب ، واحملها واتبعني بها إلى مجلس النساء . ثم إن الملك دعا إيراخت وحورقناه أكرم نسائه بين يديه . فقال لإيلاذ : ضع الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتأخذ أيها شاءت ، فوضعت الهدايا بين يدي إيراخت . فأخذت منها الإكليل ، وأخذت حورقناه كسوة من أنحف الثياب وأحسنها . وكان من عادة الملك أن يكون ليلة عند إيراخت وليلة عند حورقناه . وكان من سنة الملك أن تهيب له المرأة التي يكون عندها في ليلتها أرزا بجلاوة قطعته إياه . فأتى الملك إيراخت في نوبتها ، وقد صنعت له أرزا . فدخلت عليه بالصحفة والإكليل على رأسها ، فعلمت حورقناه بذلك ، فغارت من إيراخت ، فلبست تلك الكسوة ، ومرت بين يدي الملك ، وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس . فلما رآها الملك أعجبه . ثم التفت إلى إيراخت ، فقال : إنك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزانتنا مثلها . فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغیظ . فضربت بالصحفة رأس الملك . فسال الأرز على وجهه .

فقام الملك من مكانه ، ودعا بإيلاذ . فقال له : ألا ترى — وأنا ملاك العالم —
كيف حقرتني هذه الجاهلة ، وفعلت بي ما ترى . فانطلق بها فاقتلها ولا



الملك يأمر وزيره إيلاذ بقتل إيراخت

ترحمها . فخرج إيلاذ من عند الملك ، وقال : لا أقتلها حتى يسكت عنه الغضب .
فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء ،
وليس الملك بصابر عنها ، وقد خلصته من الموت ، وعملت أعمالا صالحة ،
ورجاؤنا فيها عظيم ، ولست آمنه أن يقول . لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني ؟
فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية . فإن رأيت نادما حزينا على
ما صنع جئت بها حية ، وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت إيراخت من
القتل ، وحفظت قلب الملك ، واتخذت عند عامة الناس بذلك يدا . وإن
رأيت فرحا مستريحا مصوبا رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها لا يفوت

ثم انطلق بها إلى منزله ووكل بها خادماً من أمثائه بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك . ثم خضب سيفه بالدم ، ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال : أيها الملك ، إني قد أمضيت أمرك في إيراخت . فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب ، وذكر جمال إيراخت وحسنها ، واشتد أسفه عليها ، وجعل يعزّي نفسه عنها ويتجلّد . وهو مع ذلك يستحي أن يسأل إيلاذ : أحقاً أمضى أمره فيها أم لا ؟ ورجا لما عرف من عقل إيلاذ ألا يكون قد فعل ذلك . ونظر إليه إيلاذ بفضل عقله ، فعلم الذي به . فقال له : لا تهتم ولا تحزن — أيها الملك — فانه ليس في الهم والحزن منفعة ، ولكهما يُنخلان الجسم ويُفسدانه . فاصبر — أيها الملك — على ما لست بقادر عليه أبداً ، وإن أحب الملك حديثه بحديث يسليه . قال : حدثني

قل إيلاذ : زعموا أن حمامتين ذكراً وأنثى ملأ عشهما من الحنطة والشعير . فقال الذكر للأنثى : إنا إذا وجدنا في الصحارى ما نعيش به فلنسنا نأكل مما ههنا شيئاً . فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحارى شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه . فرضيت الأثى بذلك ، وقالت له : نعم ما رأيت . وكان ذلك الحبّ ندياً حين وضعاه في عشهما . فانطلق الذكر فغاب . فلما جاء الصيف يبس الحبّ وانضمر . فلما رجع الذكر رأى الحبّ ناقصاً . فقال لها : أليس كنا أجمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً ؟ فلم أكلته ؟ فجعلت تخلف أنها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تعتذر إليه فلم يصدقها . وجعل ينقرها حتى ماتت . فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء

تندى الحب ، وامتلاً العش كما كان . فلما رأى الذكر ذلك ندم ، ثم اضطلع
إلى جانب حمامته ، وقال : ما ينفعني الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم
أجدك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكرت في أمرك ، وعلمت أنى قد ظلمتك ،
ولا أقدر على تدارك ما فات . ثم استمر على حزنه . فلم يطعم طعاماً ولا
شراباً حتى مات إلى جانبها .

والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة ، ولا سيما من يخاف الندامة
كما ندم الحمام الذكر

وقد سمعت أيضاً أن رجلاً دخل الجبل وعلى رأسه كارة^١ من العدس ،
فوضع الكارة عن ظهره ليستريح . فنزل قرد من شجرة . فأخذ ملء كفه
من العدس ، وصعد إلى الشجرة . فسقطت من يده حبة . فنزل في طلبها
فلم يجدها . وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع . وأنت أيضاً — أيها
الملك — عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن ، وتطلب التي
لا تجد . فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون إيراخت قد هلكت . فقال
لإيلاذ : لم لا تأنيت وثبتت ؟ بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة ، فتعلقت
بها ، وفعلت ما أمرتك به من ساعتك . قال إيلاذ : إن الذى قوله واحد
لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ، ولا اختلاف لقوله . قال الملك :
لقد أفسدت أمري ، وشدت حزنى بقتل إيراخت . قال إيلاذ : اثنان
ينبغى لهما أن يحزنا : الذى يعمل الإثم في كل يوم ، والذى لا يعمل خيراً

قط ، لأن فرحهما في الدنيا ونعيمهما قليل ، وندامتُهما إذا يعاينان الجزاء
طويلة لا استطاع إحصاؤها . قال الملك : لئن رايت إيراخت حية لا أحزن
على شيء أبدا : قال إيلاذ . اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا : المجتهد في البر
كل يوم والذي لم يَأْت قط . قال الملك : ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر
مما نظرت . قال إيلاذ : اثنان لا ينظران : الأعمى ، والذي لا عقل له :
وكما أن الأعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد ،
كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من
المسيء . قال الملك : لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي . قال إيلاذ : اثنان
هما الفرحان : البصير والعالم ، فكما أن البصير يبصر أمور العالم وما فيه
من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد ، فكذلك العالم يبصر البر والإثم ،
ويعرف عمل الآخرة ، ويتبين له نجاته ، ويهتدي إلى صراط مستقيم . قال
الملك : ينبغي لنا أن نتباعد منك يا إيلاذ ، ونأخذ الحذر ، ونلزم الاتقاء .
قال إيلاذ : اثنان ينبغي أن يتباعد منهما : الذي يقول : لا بر ولا إثم ،
ولا عقاب ولا ثواب ، ولا شيء عليّ مما أنا فيه ، والذي لا يكاد يصرف
بصره عما ليس له بمحرّم ، ولا أذنه عن استماع السوء ، ولا قلبه عما تهتم به
نفسه من الإثم والحرص . قال الملك : صارت يدي من إيراخت صِفرا . قال
إيلاذ : ثلاثة أشياء أصفار : النهر الذي ليس فيه ماء . والأرض التي ليس
فيها ملك . والمرأة التي ليس لها بعل . قال الملك : إنك يا إيلاذ لتلقى الجواب .
قال إيلاذ . ثلاثة يُلَقون الجواب : الملك الذي يعطى ويقسم من خزائنه .

١ أي تلهمه ويريد أنه سريع البديهة

والمرأة المهتدة إلى من تهوى من ذوى الحسب . والرجل العالم الموفق للخير
ثم إن إيلاذ لما رأى الملك اشتد به الأمر قل : أيها الملك ، إن
إيراخت بالحياة . فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه ، وقل : يا إيلاذ ، إنما
منعني من الغضب ما أعرف من نصيحتك ، وصدق حديثك . وكنت
أرجو لمعرفتي بعلمك ألا تكون قد قتلت إيراخت ، فإنها وإن كانت أتت
عظيما وأغلظت في القول فلم تأت به عداوة ولا طلب مضرة ، ولكنها فعلت
ذلك للغيرة ، وكان ينبغي لي أن أعرض عن ذلك وأحتمله ، ولكنك
يا إيلاذ أردت أن تختبرني وتتركني في شك من أمرها . وقد اتخذت
عندي أفضل الأيدي وأنا لك شاكر . فانطلق فائتني بها . فخرج من
عند الملك فأتى إيراخت وأمرها أن تزيّن . ففعلت ذلك ، وانطلق بها



الملكة إيراخت بين يدي الملك حامدة مكفرة

إلى الملك : فلما دخلت سجدت له ، ثم قامت بين يديه وقالت : أحمد الله

تعالى ، ثم أحمد الملك الذي أحسن إلى . وقد أذنب الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلاً بعده . فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته . ثم أحمد إيلاذ الذي أخر أمرى وأنجاني من الهلكة ، لعلمه برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده . وقل الملك لا إيلاذ : ما أعظم يدك عندي ! وعند إيراخت ، وعند العامة ، إذ قد أحيتها بعد ما أمرت بقتلها ، فأنت الذي وهبها لي اليوم . فأني لم أزل واثقاً بنصيحتك وتدابيرك ، وقد ازدادت اليوم عندي كرامة وتعظيماً ، وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى ، وتحكم عليه بما تريد . فقد جعلت ذلك إليك ، ووثقت بك . قل إيلاذ : أدام الله لك — أيها الملك — الملك والسرور . فلست بمحمود على ذلك ، فإنما أنا عبدك ، لكن حاجتي ألا يجعل الملك في الأمر الجسم الذي يندم على فعله وتكون عاقبته النعم والحزن ، ولا سيما في مثل هذه الملكة الصالحة المشفقة التي لا يوجد في الأرض مثلاً . فقال الملك : بحق قلت يا إيلاذ ، وقد قبات قولك ، وأست عاملاً بعدها عملاً صغيراً ولا كبيراً فضلاً عن مثل هذا الأمر العظيم الذي ما سلمت منه إلا بعد المؤامرة والنظر والتردد إلى ذوي العقول ومشاورة أهل المودة والرأي . ثم أحسن الملك جائزة إيلاذ ، ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا بقتل أحبائه ، فأطلق فيهم السيف ، وقرت عين الملك وعيون أهل مملكته ، وحمدوا الله وأثنوا على كبارين لسعة علمه وفضل حكمته ، إذ بعلمه خلص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة .

(انقضى باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)

باب اللبؤة^١ والأسوار^٢ والشعهر

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثلاً في شأن من يدع ضرر غيره إذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ، ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره . قال الفيلسوف : إنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم إلا أهل الجَهالة والسفه وسوء النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة ، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة ، وبما يلزمهم من تبعه ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول . وإن سلم بعضهم من ضرر بعض بمنية عرضت له قبل أن ينزل به وبال ما صنع . فإن من لم يفكر في العواقب لم يأمن المصائب ، وحقيق ألا يسلم من المعاطب . وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير ، فارتدع عن أن يغشي أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان ، وحصل له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره في العاقبة : فنظير ذلك حديث اللبؤة والأسوار والشعهر . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الفيلسوف : زعموا أن لبؤة كانت في غيضة^٣ ، ولها شبلان ، وأنها خرجت في طلب الصيد وخلفتها في كهفها . فربهما أسوار ، فحمل عليهما ورماهما فقتلهما ، وسلخ جلديهما فاحتقبهما^٤ ، وانصرف بهما إلى منزله . ثم إنها رجعت . فلما رأت ما حل بهما من الأمر الفظيع اضطربت

١ أنثى الأسد ٢ الرامي بالسهم وهو يضم ويكسر
٣ الغيضة : مجتمع الشجر في مغيض ماء ٤ احتقبهما : حملهما خلفه

وصاحت وضجت . وكان إلى جنبها شَعر . فلما سمع ذلك من صياحها قال لها : ما هذا الذي تصنعين ؟ وما نزل بك ؟ فأخبريني به ، قالت اللبوة :



اللبوة والشعر نظرا إلى بقايا شبلها

شبلای مرّ بهما أسوار فقتلها ، وسلخ جلديهما فاحتقبهما ، ونبذهما بالعراء^١ . قال لها الشعر : لا تضجّي وأنصفي من نفسك . واعلمي أن هذا الاسوار لم يأت إليك شيئا إلا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله ، وتأتين إلى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعزّ عليه مثل ما تجدين بشبليك . فاصبري على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك . فإنه قد قيل . كما تدّين تدان . ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب ، وهما على قدره في الكثرة والقلة : كالزراع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره . قالت

١ العراء بالفتح : الفضاء

اللبؤة : يئن لي ما تقول ، وأفصح لي عن إشارته . قال الشعر : كم أتى لك من العمر ؟ قالت اللبؤة : مائة سنة . قال الشعر : ما كان قوتك ؟ قالت اللبؤة : لحم الوحش . قال الشعر : ما كان يطعمك إياه ؟ قالت اللبؤة : كنت أصيد الوحش . وآكله . قال الشعر : أرأيت الوحوش التي كنت تأكلين ؟ أما كان لها آباء وأمهات ؟ قالت : بلى . قال الشعر : فما بالي لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والأمهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك ؟ ! أما إنه لم ينزل بك منزل إلا لسوء نظرك في العواقب ، وقلة تفكيرك فيها ، وجهالتك بما يرجع عليك من ضررها . فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الشعر عرفت أن ذلك مما جنت على نفسها ، وأن عملها كان جوراً وظلماً . فتركت الصيد ، وانصرفت عن أكل اللحم إلى أكل الثمار والنسك والعبادة . فلما رأى ذلك ورشان^١ كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قال لها : قد كنت أظن أن الشجرة عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء . فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم ، فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك ، وتحولات إلى رزق غيرك ، فانتقصته ودخات عليه فيه . علمت أن الشجرة العام أثمرت كما كانت تُثمر قبل اليوم . وإنما أتت قلة الثمر من جهتك . فويل للشجر ، وويل للثمار ، وويل لمن كان عيشه منها . ما أسرع هلاكهم ! إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ، ولم يكن معتاداً لأكلها . فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار ، وأقبلت على

أكل الحشيش والعبادة . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما
انصرف بضرٍ يصيبه عن ضرِّ الناس : كاللبؤة التي انصرفت — لما لقيت في
شبلها — عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان . وأقبلت على
النسك والعبادة . والناس أحق بحسن النظر في ذلك ، فإنه قد قيل : مالا ترضاه
لنفسك لا تصنعه لغيرك . فإن في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى
ورضا الناس . (انقضى باب البؤة والاسوار والشعور)

باب الناسك والضيف

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي
مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشا كاه ، ويطلب غيره فلا يدركه .
ليبقى حيران متردداً . قال الفيلسوف : زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك
عابد مجتهد . فنزل به ضيف ذات يوم . فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه
به . فأكلا منه جميعاً . ثم قال الضيف : ما أحلى هذا التمر وأطيبه ! فليس
هو في بلادى التي أسكنها ، وليته كان فيها . ثم قال أرى أن تساعدنى على
أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا ، فإنى لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا
بمواضعها . فقال له الناسك : ليس لك في ذلك راحة ، فإن ذلك يثقل عليك ،
لعل ذلك لا يوافق أرضكم مع أن بلادكم كثيرة الأثمار ، فما حاجة مع كثرة
ثمارها إلى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد . ثم قال له الناسك : إنه
لا يعدّ حلماً من طلب مالا يجدد ، وإنك سعيد الجدد إذا قنعت بالذى تجد

وزهدت فيما لا تجدد . وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية : فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه . فتكلف أن يتعلمه ، وعالج في ذلك نفسه أياما . فقال الناسك لضيفه : ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك ! وتكلف من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب . قال الضيف : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الناسك : زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشى . فأعجبه مشيتها ، وطمع أن يتعلمها . فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها ، وأيس منها ، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها ، فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته ، وصار أقبح الطير مشيا . وإنما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه ، وأقبات على لسان العبرانية وهو لا يشاكك . وأخاف ألا تدركه وتنسى لسانك وترجع إلى أهلك ، وأنت شرهم لسانا . فإنه قد قيل : إنه يعد جاهلا من تكلف من الأمور ما لا يشاكه ، وليس من عمله ، ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل

(انقضى باب الناسك والضيف)

١ الحجلة : واحدة الحجل وهو جنس له أربعة أنواع : الحجل الحقيقي ، والتدرج والسمانى ، والسلوى : والحجل الحقيقي قريب الحجم من الحمام الكبير وجسمه عجل ورأسه صغير ومنقاره قصير . قنب قليلا وجناحه قصيران ولونه رمادى ملون ، يعيش أسرابا قليلة ويقتات بالاعشاب والحبوب والحشرات ويتخذ أدحيته في شقوق الأرض ، تبيض أنثاه من ١٢ الى ٢٠ بيضة وتقوم بحضنها وحدها

باب السائح والصائغ

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثلاً في شأن الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه . قال الفيلسوف : أيها الملك ، إن طبائع الخلق مختلفة ، وليس مما خلقه الله في الدنيا مما يمشي على أربع ، أو على رجلين ، أو يطير بجناحين شيء هو أفضل من الإنسان . ولكن من الناس البرّ والفاجر . وقد يكون في بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة ، وأشدّ محاماة على حرمة وأشكر للمعروف وأقوم به . وحينئذ يجب على ذوى العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه ، ولا يضعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ، ولا يصطنعوا أحداً إلا بعد الخبرة بطرائقه ، والمعرفة بوفائه ومودّته وشكره . ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقربته إذا كان غير محتمل للصنعة ، ولا أن يمنعوا معروفهم ورّفدهم للبعيد إذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه ، لأنه يكون حينئذ عارفاً بحق ما اصطنع إليه ، مؤدياً لشكر ما أنعم عليه ، محموداً بالنصح ، معروفاً بالخير ، صدوقاً ، عارفاً ، مؤثراً لحيد الفعال والقول . وكذلك كل من عرّف بالخصال المحمودة ووُثق منه بها كان للمعروف موضعاً ، ولتقريبه واصطناعه أهلاً . فإن الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلا بعد النظر إليه والجلس لعروقه ، ومعرفة طبيعته ، وسبب علته . فإذا عرف ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته : فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفى أحداً ولا يستخلصه إلا بعد الخبرة ، فإن من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطراً في ذلك ، ومشرفاً منه على هلاك

وفساد . ومع ذلك ربما صنع الإنسان المعروف مع الضعيف الذي لم يجرب شكره ولم يعرف حاله في طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة . وربما حذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم . وقد يأخذ ابن عرس فيدخله في كهـ ويخرجه من الآخر : كالذي يحمل الطائر على يده ، فإذا صاد شيئا انتفع به وأطعمه منه . وقد قيل : لا ينبغي لذي العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم ، ولكنه جدير بأن يبلوهم ، ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم . وقد مضى في ذلك مثل ضربه بعض الحكماء . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ ؟

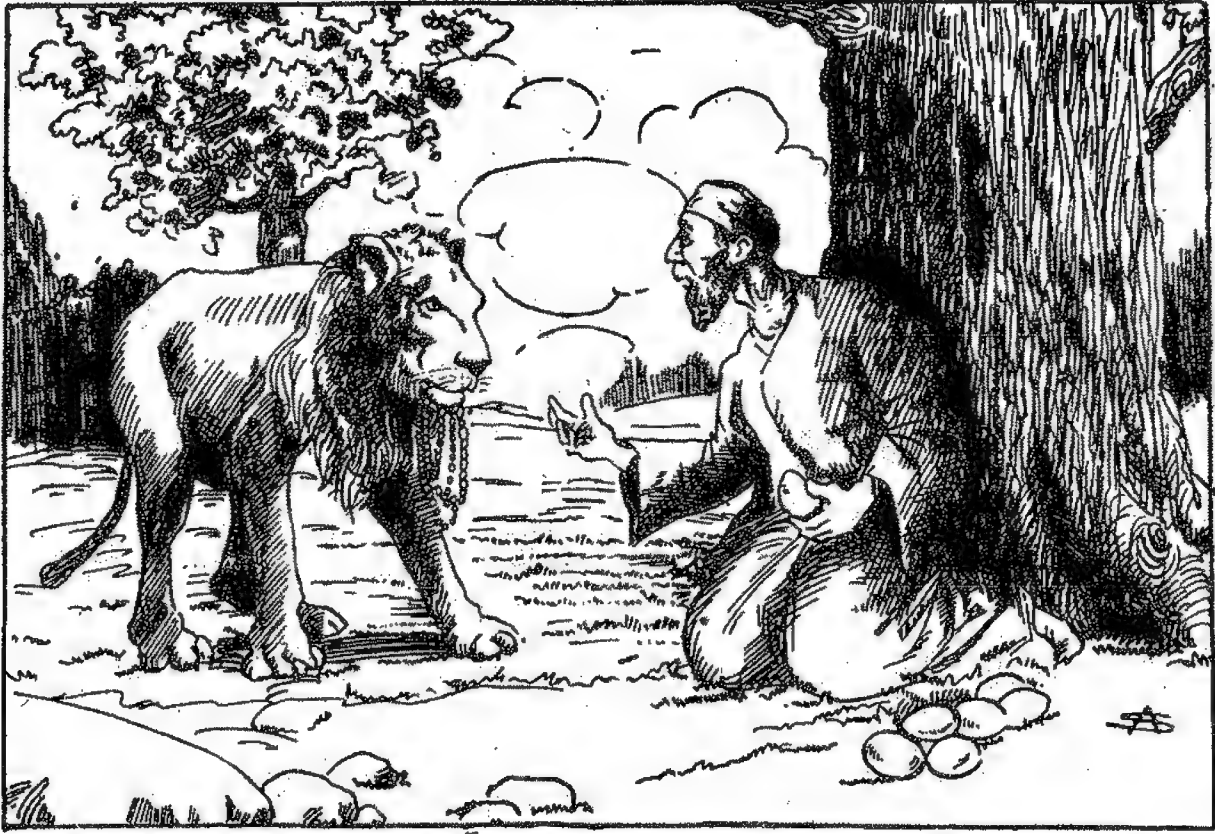
قال الفيلسوف : زعموا أن جماعة احتفروا ركية فوق فيـ رجل صائغ وحية وقرد و ببر^١ . ومر بهم رجل ساج فأشرف على الركية . فبصر بالرجل والحية والبر والقرد ، ففكر في نفسه ، وقال : لست أعلم لا خرتي عملا



السائح يخرج الرجل وهذه الحيوانات تجذره غدر الانسان

أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء فأخذ حبلا وأدلاه

إلى البئر . فتعلق به القرد خلفته فخرج . ثم أدلاه ثانية ، فالتفت به الحية
فخرجت . ثم أدلاه الثالثة ، فتعلق به البير فأخرجه ، فشكر له صنيعه وقلن
له : لا تخرج هذا الرجل من الركبة * فإنه ليس أقل شكراً من الإنسان .
ثم هذا الرجل خاصة ، ثم قال له القرد : إن منزلي في جبل قريب من مدينة
يقال لها نَوَادِرْخَتْ . فقال له البير : أنا أيضاً في أجمّة إلى جانب تلك المدينة .
قالت الحية : أنا أيضاً في سور تلك المدينة ، فإن أنت مررت بنا يوماً من
الدهر واحتجت إلينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا
من المعروف . فلم يلتفت السائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان ، وأدلى
الحبل فأخرج الصائغ ، فسجد له ، وقال له : لقد أوليتني معروفاً ، فإن أتيت
يوماً بمدينة نَوَادِرْخَتْ فاسأل عن منزلي فأنا رجل صائغ لعل أكافئك بما
صنعت إلى من المعروف فانطلق الصائغ إلى مدينته ، وانطلق السائح إلى
جانبه . فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة .
فانطلق فاستقبله القرد فسجد له ، وقبل رجله ، واعتذر إليه ، وقال : إن
القرد لا يملك شيئاً . ولكن أقعد حتى آتيك ، وانطلق القرد وأتاه بفاكهة
طيبة ، فوضعها بين يديه . فأكل منها حاجته . ثم إن السائح انطلق حتى
دنا من باب المدينة . فاستقبله البير ، فخرّ له ساجداً ، وقال له : إنك قد
أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك . فانطلق البير فدخل بعض الحيطان
إلى بنت الملك فقتلها ، وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائح : ومن
أين هو ؟ فقال في نفسه : هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء . فكيف لو قد



البربحى. السائح بعقد ابنة الملك

أتيت إلى الصائغ ؟ فإنه إن كان مُعسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا الحلى
 فيستوفى ثمنه ، فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه ، وهو أعرف بثمنه . فانطلق
 السائح فأتى إلى الصائغ . فلما رآه رحّب به وأدخله في بيته . فلما بصُر بالحلى
 معه عرفه . وكان هو الذى صاغه لابنة الملك . فقال للسائح : اطمئن حتى
 آتيك بطعام ، فلست أرضى لك ما فى البيت . ثم خرج وهو يقول : قد
 أصبت فرصتي . أريد أن أنطلق إلى الملك وأدّاه على ذلك ، فتحسن منزلتي
 عنده . فانطلق إلى باب الملك ، فأرسل إليه : إن الذى قتل ابنتك وأخذ
 حليها عندي . فأرسل الملك وأتى بالسائح . فلما نظر الحلى معه لم يمهله ،
 وأمر به أن يعذب ، ويطاف به فى المدينة ويصلب . فلما فعلوا به ذلك
 جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أتى أطعت القرد والحية والوبر فيما

أمرني به وأخبرني من قلة شكر الإنسان لم يضر أمرى إلى هذا البلاء



الملك يامر بالسائح أن يعذب

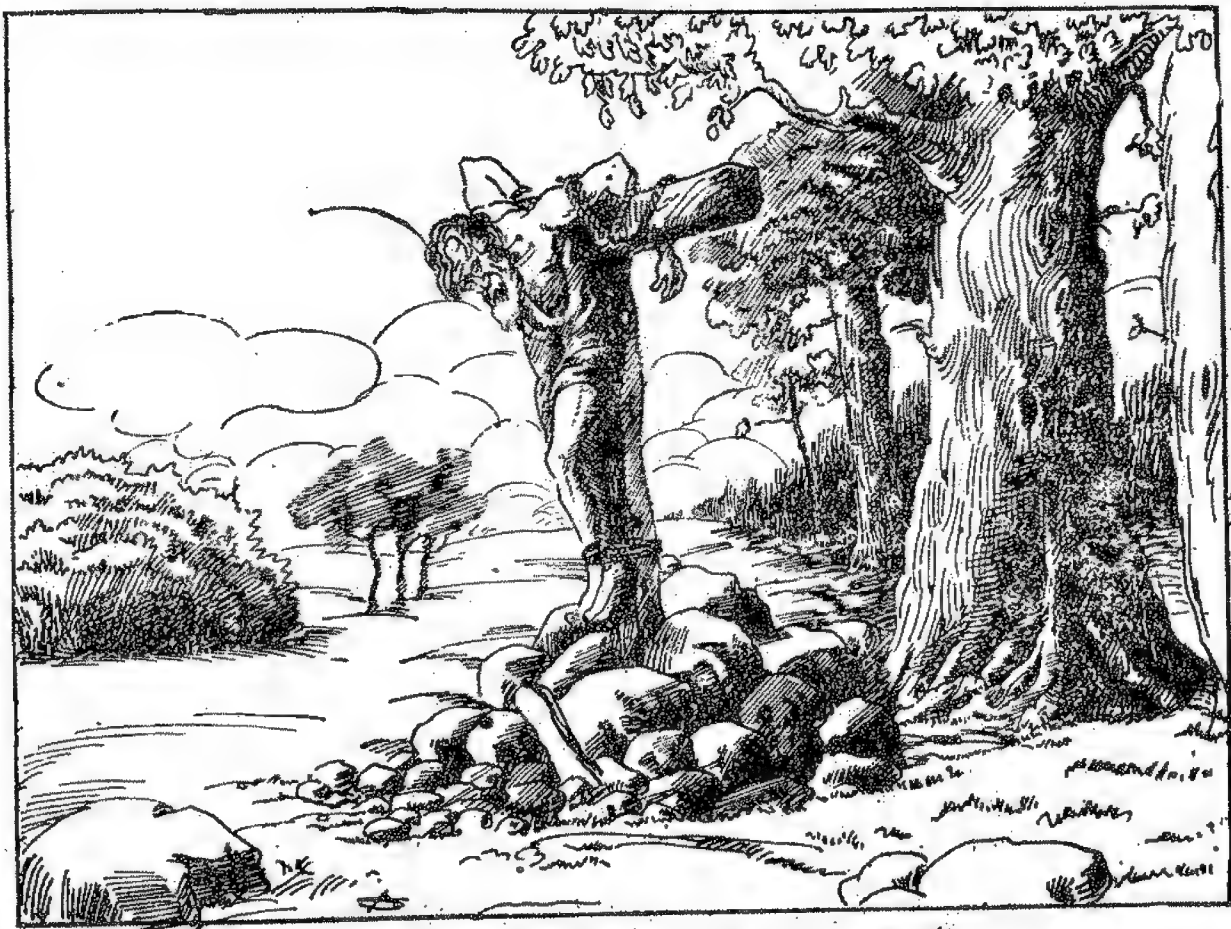
وجعل يكرّر هذا القول . فسمعت مقالته تلك الحية ، فخرجت من جحرها
فعرفته ، فاشتد عليها أمره ، فجعلت تحتال في خلاصه . فانطلقت حتى لدغت
ابن الملك . فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه ، فلم يُغنوا عنه شيئاً . ثم
مضت الحية إلى أخت لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من
المعروف ، وما وقع فيه . فرقت له وانطلقت إلى ابن الملك وتخايلت له .
وقالت : إنك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً .
وانطلقت الحية إلى السائح فدخلت عليه السجن ، وقالت له : هذا الذي
كنت نهيته عنك من اصطناع المعروف إلى هذا الإنسان ولم تطعني . وأنته

بورق ينفع من سمها ، وقالت له : إذا جاءوا بك لترقى ابن الملك فاسقه من



الحية تقدم الى السائح في سجنه وورق ينفع من سمها

ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، وإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه ، فإنك تنجو
إن شاء الله تعالى . وإن ابن الملك أخبر الملك أنه سمع قائلا يقول : إنك
لن تبرأ حتى يرقىك هذا السائح الذي حبس ظلما . فدعا الملك بالسائح وأمره
أن يرقى ولده . فقال : لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة ،
فيبرأ بإذن الله تعالى ، فسقاه فبرئ الغلام ، ففرح الملك بذلك ، وسأله عن
قصته فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة ، وأمر بالصائغ أن يُلصَب .
فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح . ثم قل
الفيلسوف للملك . ففي صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه إياه وشكر



الصانع يصلب ويعذب لجحوده وكفراته

البهائم له وتخليص بعضها إيا عبدة لمن اعتبر . وفكرة لمن تنكر ، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم قرّبوا أو بعدوا لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه . (انقضى باب السائح والصانع)

✽ باب ابن الملك وأصحابه ✽

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فإن كان الرجل لا يصيب الخير إلا بعقله ورأيه وثبته في الأمور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير ؟ ! والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر ؟ ! قال بديبا : كما أن الإنسان لا يبصر إلا بعينه ، ولا يسمع إلا بأذنيه ، كذلك العمل إنما هو بالحلم والعقل والتثبت . غير أن القضاء

والقدر يغلبان على ذلك . ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه . قال الملك
وكيف كان ذلك ؟ !

قال الفيلسوف: زعموا أن أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة: أحدهم
ابن ملك ، والثاني ابن تاجر ، والثالث ابن شريف ذو جمال ، والرابع ابن
أكّار ، وكانوا جميعاً محتاجين ، وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع
غربة : لا يملكون إلا ما عليهم من الثياب . فبينما هم يمشون إذ فكروا في أمرهم
وكان كل إنسان منهم راجعاً إلى طباعه ، وما كان يأتيه منه الخير . قال ابن
الملك : إن أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر . والذي قدّر على الإنسان يأتيه
على كل حال ، والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور . وقال
ابن التاجر : العقل أفضل كل شيء . وقال ابن الشريف : الجمال أفضل
مما ذكرتم . ثم قال ابن الأكّار : ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل
فلما قرّبوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون .
فقالوا لابن الأكّار : انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاماً ليومنا هذا .
فانطلق ابن الأكّار وسأل عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام
أربعة نفر . فعرفوه أن ليس في المدينة شيء أعزّ من الحطب ، وكان الحطب
منها على فرسخ . فانطلق ابن الأكّار فاحتطب طناً من الحطب ، وأتى به
المدينة ، فباعه بدرهم ، واشترى به طعاماً ، وكتب على باب المدينة - عمل
يوم واحد إذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم - ثم انطلق إلى أصحابه بالطعام

فأكلوا . فلما كان من الغد قالوا : ينبغي للذي قال : إنه ليس شيء أعز من الجمال أن تكون نوبته . فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة . ففكر في نفسه ، وقال : أنا لست أحسن عملاً ، فما يدخلني المدينة ؟ ثم استخيا أن يرجع إلى أصحابه بغير طعام ، وهم يتفارقهم ، فانطلق حتى أسند ظهره إلى شجرة عظيمة ، فغلبه النوم فنام . فمر به رجل من عظماء المدينة فراه جماله ، وتوسم فيه شرف النجار^١ ، فرق له ومنحه خمسمائة درهم ، فكتب على باب المدينة — جمال يوم واحد يساوي خمسمائة درهم — وأتى بالدرهم إلى أصحابه . فلما أصبحوا في اليوم الثالث قالوا لابن التاجر : انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئاً . فانطلق ابن التاجر ، فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع : قد قدمت إلى الساحل ، فخرج إليها جماعة من التجار يريدون أن يتتاعوا مما فيها من المتاع . فجلسوا يتشاورون في ناحية من المركب ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا يومنا هذا لا نشترى منهم شيئاً حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا ، مع أننا محتاجون إليه ، وسيرخص . فخالف الطريق وجاء إلى أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيه بمائة ألف دينار نسيئة^٢ وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى . فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم ، وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة — عقل يوم

واحد ثمنه مائة ألف درهم - فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك : انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك . فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب المدينة ، فجلس على متكا في باب المدينة ، واتفق أن ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولداً ولا أحداً ذا قرابة ، فمروا عليه بجنائزة الملك ، ولم يحزن ، وكلهم يحزنون . فأنكروا حاله ، وشتمه البواب ، وقال له : من أنت يا هذا ؟ وما يجلسك على باب المدينة ؟ ولا نراك تحزن لموت الملك ، وطرده البواب عن الباب . فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه . فلما دفنوا الملك ورجعوا بصبر به البواب فغضب ، وقال له : ألم أنك عن الجلوس في هذا الموضع ؟ وأخذته فحبسه . فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم ، وكل منهم يتطاول ينظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب : إني رأيت أمس غلاماً جالساً على الباب ، ولم أره يحزن لحزننا ، فكلّمته فلم يجبني ، فطرده عن الباب . فلما عدت رأيته جالساً . فأدخلته السجن مخافة أن يكون عينا . فبعثت أشرف أهل المدينة إلى الغلام فجاءوا به وسألوه عن حاله ، وما أقدمه إلى مدينتهم . فقال : أنا ابن ملك فريزان ، وإنه لما مات والدي غلبني أخى على الملك ، فهربت من يده حذراً على نفسي حتى انتهيت إلى هذه الغاية . فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم ، وأثنوا على أبيه خيراً . ثم إن الأشرف اختاروا الغلام أن يملكوه عليهم ، ورضوا به . وكان لاهل تلك المدينة سنة : إذا ملكوا عليهم ملكاً حملوه على فيل أبيض وطاقوا به حوالى المدينة . فلما فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب

فأمر أن يكتب : إن الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل في الدنيا من خير أو شر إنما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل . وقد ازدادت في ذلك اعتباراً بما ساق الله إلى من الكرامة والخير .

ثم انطلق إلى مجلسه فجلس على سرير ملكه . وأرسل إلى أصحابه الذين كان معهم فأحضرهم ، فأشرك صاحب العقل مع الوزراء . وضم صاحب الاجتهاد إلى أصحاب الزرع . وأمر لصاحب الجمال بمال كثير . ثم نفاه كي لا يُفْتَنَ به . ثم جمع علماء أرضه وذوى رأى منهم ، وقال لهم : أما أصحابي فقد تيقنوا أن الذى رزقهم الله — سبحانه وتعالى — من الخير إنما هو بقضاء الله وقدره ، وإنما أحب أن تعلموا ذاك وتستيقنوه ، فإن الذى منحني الله وهياًه لي إنما كان بقدر ، ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد . وما كنت أرجو إذ طردني أخى أن يصيبني ما يعيشني من القوت ، فضلاً عن أن أصيب هذه المنزلة . وما كنت أومل أن أكون بها ، لأنى قد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل منى حسناً وجمالاً ، وأشدّ اجتهاداً ، وأسد رأياً . فساقني القضاء إلى أن اعتزرت بقدر من الله . وكان في ذلك الجمع شيخ ، فنهض حتى استوى قائماً ، وقال : إنك قد تكلمت بكلام كامل عقلي وحكمة ، وإن الذى بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك . وقد حققت ظننا فيك ، ورجاءنا لك . وقد عرفنا ما ذكرت ، وصدقناك فيما وصفت . والذى ساق الله إليك من الملك والكرامة كنت أهلاً له ، لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأى . وإن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأياً . وقد أحسن الله إلينا إذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرمنا بك . ثم قام

شيخ آخر سأل . فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال : إني كنت أخدم
— وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً — رجلاً من أشراف الناس ، فلما بداني
رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل . وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين .
فأردت أن أتصدق بأحدهما وأستبقى الآخر . فأتيت السوق . فوجدت
مع رجل من الصيادين زوج هُدهُدٍ . فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما
إلا بدينارين . فاجتهدت أن يبيعهما بدينار واحد ، فأبى . فقلت في نفسي :
أشتري أحدهما وأترك الآخر . ثم فكرت وقلت : لعلهما يكونان زوجين
ذكرا وأنثى فأفرق بينهما . فأدركني لهما رحمة . فتوكلت على الله وابتعتهما
بدينارين وأشفقت — إن أرسلتهما في أرض عامرة — أن يُصادا ولا يستطيعا
أن يطيرا مما ليقا من الجوع والهزال ، ولم آمن عليهما الآفات . فانطلقت
بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار ، بعيد عن الناس والعمران . فأرسلتهما
فطارا ووقعا على شجرة مثمرة . فلما صارا في أعلاها شكرا لي ، وسمعت
أحدهما يقول للآخر : لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ،
واستبقنا ونجانا من الهلكة ، وإنا نخليقان أن نكافئه بفعله . وإن في
أصل هذه الشجرة جرّة مملوءة دنانير . أفلا ندله عليها فيأخذها . فقلت
لها : كيف تدلانني على كنز لم تره العيون ، وأنتما لم تبصرا الشبكة . فقالا :

١ الهدد بضمتين بينهما سكون ويقال له الهداهد وأما جمعه فهداهد بالفتح : طير
ذو خطوط وألوان كثيرة ومنقاره طويل يستعين به على التقاط الدود من بين أخاديد
الأرض ويعلو رأسه قنبرة ذات ريشات يطويها وينشرها ، وهو شديد الخذر لذلك تراه
دائم التلفت يمينا وشمالا تبيض أثنائه من بيضتين إلى أربعة وهو منتن الطبع وقد يتخذ
أخوصته في بعض المزابل والكوى في المنازل

إن القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء وغطى البصر . وإنما
صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكثر . فاحتفرت
واستخرجت البرنية^١ ، وهي مملوءة دنائير ، فدعوت لهما بالعافية . وقلت لهما :
الحمد لله الذى علمكما ما لم تعلمما ، وأتما تطيران فى السماء . وأخبرتكما بما تحت
الأرض . فقالا لي - أيها العاقل - أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء
لا يستطيع أحد أن يتجاوزه ؟ وأنا أخبر الملك بذلك الذى رأيته . فإن أمر
الملك أتيته بالمال فأودعته خزائنه . فقال الملك : ذلك لك ، وموفر عليك .
(انقضى باب ابن الملك وأصحابه)

✽ باب الحمامة والشعب ومالك الحزين^٢ ✽

وهو باب من يرى رأى لغيره ولا يراه لنفسه . قال الملك للفيلسوف :
قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثلاً فى شأن الرجل الذى يرى رأى
لغيره ولا يراه لنفسه . قال الفيلسوف : إن مثل ذلك مثل الحمامة والشعب
ومالك الحزين . قال الملك : وما مثلهن ؟

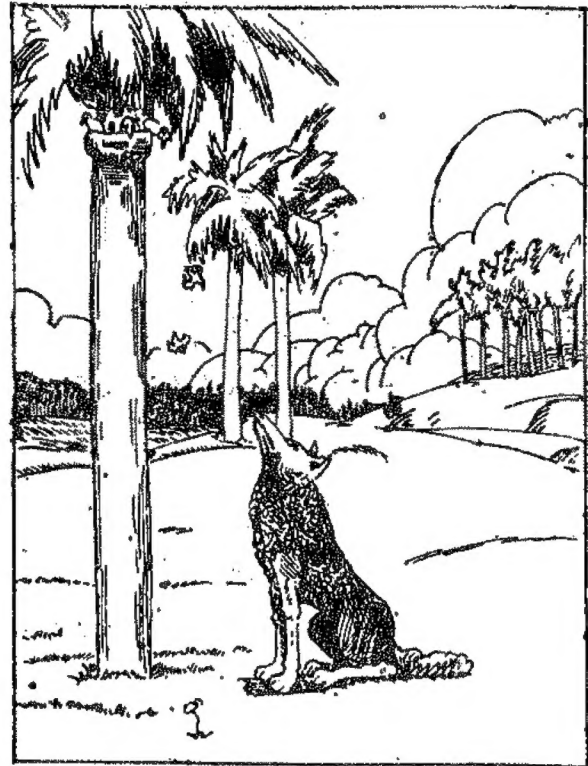
قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة
فى السماء . فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش إلى رأس تلك النخلة فلا
يمكن أن تنقل ما تنقل وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة ،

١ البرنية بالفتح : أناء من خزف ٢ مالك الحزين : طائر طويل العنق
والرجلين يعرف بين القرويين بأبو قردان يلزم المياه وهو شديد الحمق حتى أنه يقال
عنه إذا نقص الماء من حوله أحجم عن الشرب حتى لا يجف فيموت بذلك ظمأ

اطول النخلة . فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها . فإذا
فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر
ما ينهض فراخها ، فيقف بأصل النخلة . فيصيح بها ويتوعدّها أن يرقى إليها .
فتلقى إليه فراخها . فبينما هي ذات يوم قد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك
الحزين . فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كثيبة حزينة شديدة الهم قال
لها مالك الحزين : يا حمامة : مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟ فقالت له :
يامالك الحزين : إن ثعلباً دهيت به : كلما كان لى فرخان جاءنى يهدّنى



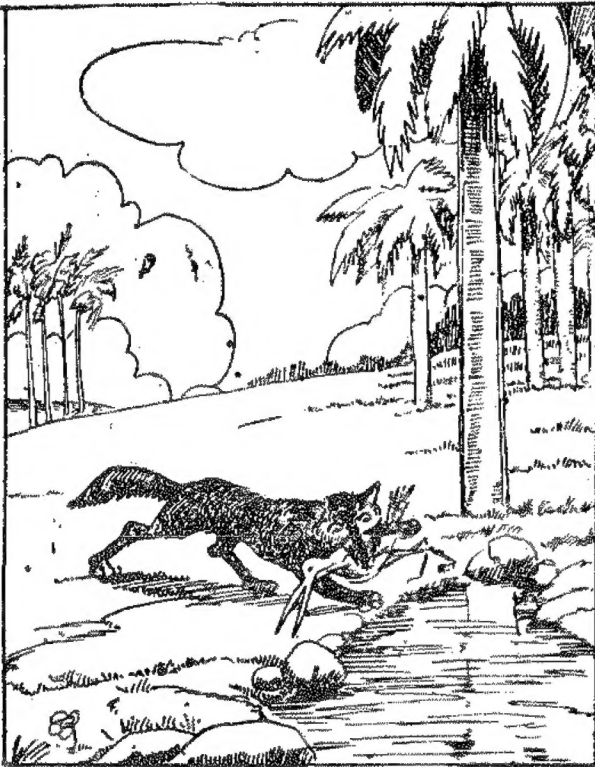
الثعلب ينقض على الفراخ فياكلها



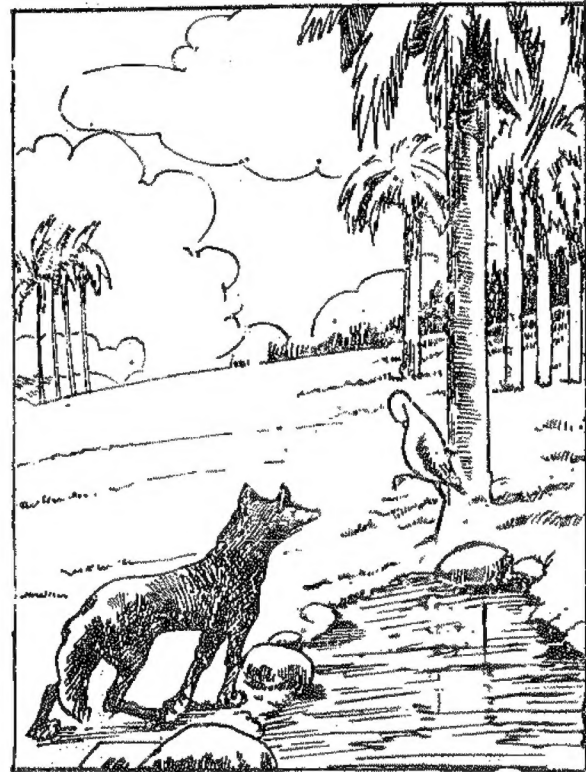
الثعلب يتوعد الحمامة لتنتى بفراخها

ويصيح فى أصل النخلة ، فأفرق منه فأطرح إليه فرخى . قال لها مالك
الحزين : إذا أتاك ليفعل ذلك فقولى له : لا ألقى إليك فرخى ، فارق إلى ،
وغرّر بنفسك . فإذا فعلت وأكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى . فلما
علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر . فأقبل الثعلب

فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها . ثم صاح كما كان يفعل . فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين . فقال لها الثعلب : أخبرينى : من علمك هذا . قالت علمنى مالك الحزين . فتوجه الثعلب حتى أتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفاً . فقال له الثعلب : يامالك الحزين إذا أبتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك ؟ قال : عن شىالى . قال : فإذا أبتك عن شىمالك . فأين تجعل رأسك ؟ قال : أجعله عن يمينى أو خلفى . قال : فإذا أبتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله ؟ قال أجعله تحت جناحى . قال : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتهيأ لك . قال : بلى . قال : فأرنى : كيف تصنع ؟ فلعمرى — يامعشر الطير — لقد فضلكم الله علينا : إنكن تدرين فى ساعة واحدة مثل ما ندرى فى سنة ، وتبلغن ما لا نبلغ ، وتدخلن رءوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهنيئاً لكن . فأرنى ؟ فأدخل



الثعلب وقد وثب على مالك الحزين فقتله



الثعلب يخدع مالك الحزين

الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه . فأخذه فهمزه همزة

دَقَّتْ عنقه . ثم قال : يا عدوَّ نفسه : ترى الرأى للحمامة وتعلِّمها الحيلة لنفسها
وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك . ثم اجهز عليه وأكاه .
فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا المكان سكَّت الملك . فقال
له الفيلسوف - أيها الملك - عشت ألف سنة . وملكت الأقاليم السبعة ،
وأعطيت من كل شيء سبباً مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ،
ومساعدة القضاء والقدر لك ، فإنه قد كُمل فيك الحلم والعلم ، وزكمتك العقل
والقول والنية ، فلا يوجد في رأيك نقص ، ولا في قولك سقط ولا عيب ،
وقد جمعت النجدة واللين ، فلا توجد جباناً عند اللقاء ، ولا ضيق الصدر
عندما ينوبك من الأشياء . وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان
الأمور ، وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها ، فأبلغتك في ذلك غاية
نصحي واجتهدت فيه برأى ونظري ومبلغ فطنتي التماساً لقضاء حقك وحسن
النية منك بإعمال الفكرة والعقل . فجاء كما وصفت لك من النصيحة والموعظة
مع أنه : ليس الأمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه ، ولا الناصح بأولى
بالنصيحة من المنصوح ، ولا المعلم للخير بأسعد من متعلِّمه منه . فافهم ذلك
أيها الملك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

